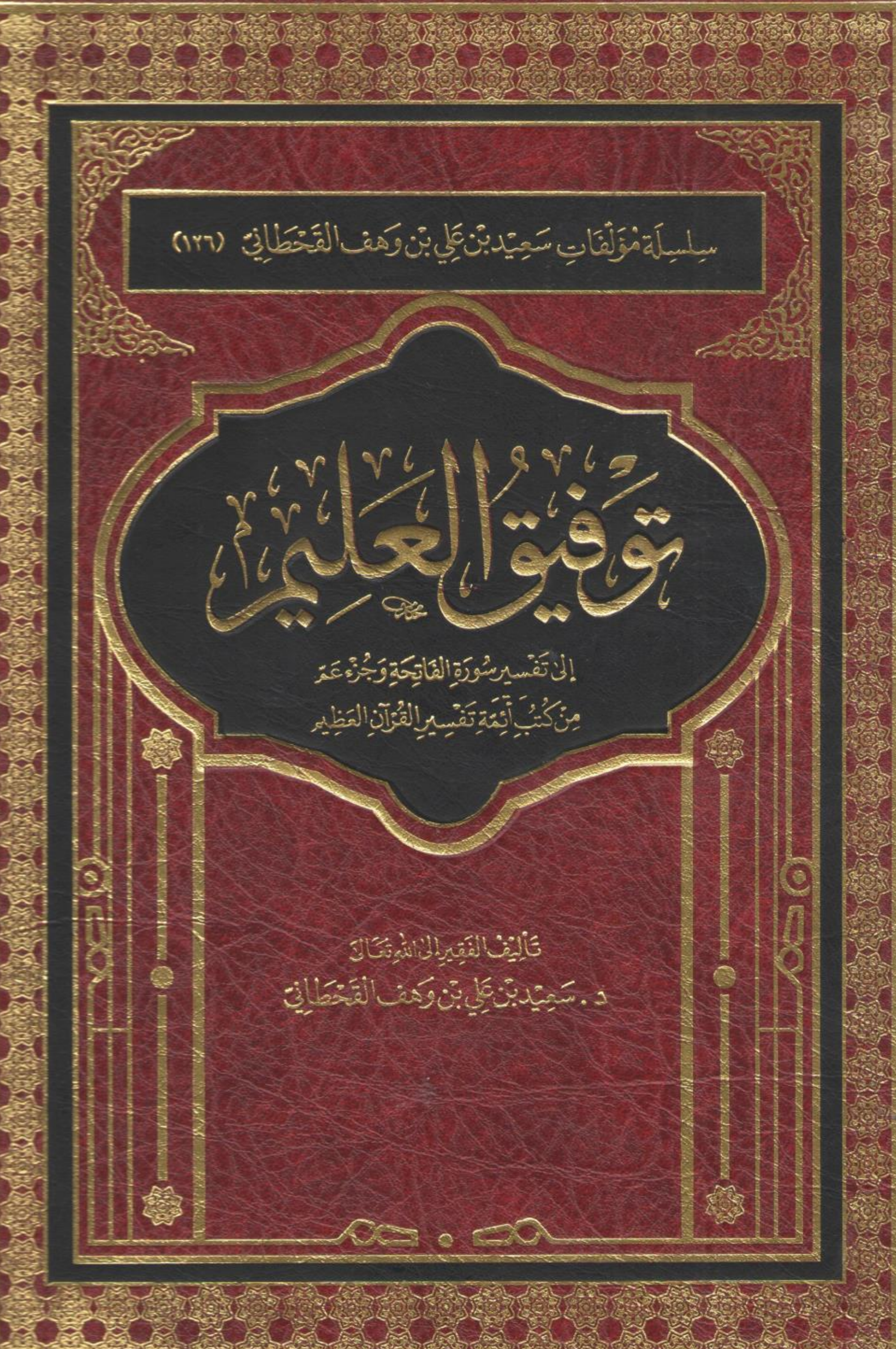

سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١٢٦)
توفيق العليم
إلى تفسير سورة الفاتحة وجزء عم
من كتب أئمة تفسير القرآن العظيم
تأليف الفقير إلى الله تعالى
د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

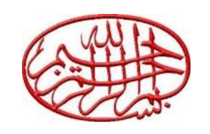
سلسلة مؤلفات سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١٢٦)

توفيق العليم

إلى تفسير سورة الفاتحة وجزء عم من كتب أئمة تفسير القرآن الحكيم

تأليف الفقير إلى الله تعالى

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني



ح سعيد بن علي بن وهف القحطاني ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف

توفيق العليم إلى تفسير سورة الفاتحة وجزء عم من كتب أئمة تفسير القرآن الحكيم:/

سعيد بن علي بن وهف القحطاني – الرياض ١٤٣٩هـ

ص: سم،

ردمك: ٤- ٥٩٣٠- ٠٢- ٦٠٣- ٩٧٨

١- القرآن –سورة الفاتحة – تفسير ٢- القرآن- جزء عم –تفسير

أ. العنوان

ديوي ٦، ٢٢٧ ١٤٣٩ /٢٢٣٨

رقم الإيداع: ٢٢٣٨/ ١٤٣٩

ردمك: ٤- ٥٩٣٠- ٠٢- ٦٠٣- ٩٧٨

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤٣٩هـ ٢٠١٧م

من رغب طلب هذا الكتاب، فليطلبه من:

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

ص.ب ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١ – المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٠٢٢٥٦٤- فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

الكتاب في موقع د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني:

https://www.binwahaf.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيآت أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلِ فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده، ورسوله، وخِيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد.

فهذا تفسير سورة الفاتحة، وجزء عم، انتقيته من كتب أئمة التفسير: تفسير الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ المسمى:بـ«**جامع البيان في تأويل آي القرآن**»، وتفسير الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ المسمى بـ«**معالم التنزيل**»، وتفسير الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ، المسمى بـ«**الجامع لأحكام القرآن**»، وتفسير الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، المسمى بـ«**تفسير القرآن العظيم**»، وتفسير العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ المُسمَّى بـ«**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**»، وتفسير العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، المسمى بـ«**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**»، وتفسير العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، المسمى بـ«**تفسير القرآن الكريم جزء عم والفاتحة**»، وعزوت جميع الآيات إلى سورها، وخرّجت جميع الأحاديث من مصادرها الأصيلة، وذكرت حكم أهل العلم عليها.

وقد استفدت كثيراً من تقريرات، وتعليقات سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وسمَّيْتُ هذا الكتاب: «**توفيق العليم إلى تفسير سورة الفاتحة وجزء عم من كتب أئمة تفسير القرآن الحكيم**».

وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي، وبعد مماتي، وينفع به من انتهى إليه؛ فإنه خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا، ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله، وسلم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى الله تعالى

سعيد بن علي بن وهف القحطاني

حرر في يوم الثلاثاء ٢٤/ ٣/ ١٤٣٩هـ

١- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾

أولاً: أسماء الفاتحة:

١- **يُقَالُ لَهَا: الْفَاتِحَةُ**، أَيْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ خَطًّا، وَبِهَا تُفْتَتَحُ الْقِرَاءَةُ فِي الصَّلَاةِ.

٢- **وَيُقَالُ لَهَا** أَيْضًا: **أُمُّ الْكِتَابِ** عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَقَدْ ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**»[١].

٣- **وَيُقَالُ لَهَا: الْحَمْدُ**، وَيُقَالُ لَهَا: الصَّلَاةُ، لِقَوْلِهِ عليه السلام عَنْ رَبِّهِ: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي**»[٢].

٤- **وَسُمِّيَتِ الْفَاتِحَةُ: صَلَاةً**؛ لِأَنَّهَا شَرْطٌ فِيهَا.

٥- **وَيُقَالُ لَهَا: الرُّقْيَةُ**؛ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي الصَّحِيحِ حِينَ رَقَى بِهَا الرَّجُلَ السَّلِيمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟**»[٣].

قَالُوا: وَكَلِمَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ كَلِمَةً، وَحُرُوفُهَا مِائَةٌ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ حَرْفًا، قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ كتاب التفسير: وسميت أم الكتاب، أنه يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلَاةِ[٤].

وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِرُجُوعِ مَعَانِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ.

وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: الْفَاتِحَةُ؛ لِأَنَّهَا تُفْتَتَحُ بِهَا الْقِرَاءَةُ، وَافْتَتَحَتِ الصَّحَابَةُ بِهَا كِتَابَةَ الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ.

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٧٠٤. وسنن أبي داود، برقم ١٤٥٧، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٤٥٢.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٩٠٤.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٢٢٧٦، مسلم، برقم ٢٢٠١.

(٤) صحيح البخاري، قبل الحديث برقم ٤٤٧٤.

٦-وَصَحَّ تَسْمِيَتُهَا بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي، قَالُوا: لِأَنَّهَا تُثَنَّى فِي الصَّلَاةِ، فَتُقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنْ كَانَ لِلْمَثَانِي مَعْنًى آخَرُ غَيْرُ هَذَا، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ[(١)].

٧-وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ**»[(٢)].

ثانياً: فَضْلِ الْفَاتِحَةِ

١- وعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ**» قَالَ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[(٣)].

٢- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلاَثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً، أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟ قَالَ: لاَ، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قُلْنَا: لاَ تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ، أَوْ نَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**»[(٤)].

٣- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ**»، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: «**هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ**»، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: «**أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**»[(٥)].

---

(١) تفسير ابن جرير، ١/ ١٠٧-١٠٨.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٧٠٤.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٥٠٠٦.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٥٠٠٧، وصحيح مسلم، برقم ٢٢٠١.

(٥) صحيح مسلم، برقم ٨٠٦.

٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قَالَ: «أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ، فَسَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى»: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ «لَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ حَتَّى يَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ أَسْمِعْهُمْ وَلَا تَجْهَرْ، حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْكَ الْقُرْآنَ»[2].

٥- **تَتَعَيَّنُ قِرَاءَةُ الْفَاتِحَةِ فِي الصَّلَاةِ**، وَلَا تُجْزِئُ الصَّلَاةُ بِدُونِهَا لحديث: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ»[3].

٦- وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[4].

ثالثاً: وجوب قراءة الفاتحة على المأموم:

اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة على المأموم على ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٣٩٥.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٧٤٩٠.

(٣) صحيح مسلم، برقم ٣٩٥.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٧٥٦.

القول الأول: أَنَّهُ تَجِبُ عَلَيْهِ قِرَاءَتُهَا، كَمَا تَجِبُ عَلَى إِمَامِهِ؛ لِعُمُومِ الْأَحَادِيثِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

القول الثَّانِي: لَا تَجِبُ عَلَى الْمَأْمُومِ قِرَاءَةٌ بِالْكُلِّيَّةِ، لَا الْفَاتِحَةُ، وَلَا غَيْرُهَا، لَا فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ، وَلَا السِّرِّيَّةِ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَجِبُ الْقِرَاءَةُ عَلَى الْمَأْمُومِ فِي السِّرِّيَّةِ لِمَا تَقَدَّمَ، وَلَا تَجِبُ فِي الْجَهْرِيَّةِ[(١)].

قال **الإمام شيخنا ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأظهر وجوبها حتى في الجهرية؛ لأن العام يقضي عليه الخاص، وأحاديث الفاتحة خاصة تقضي على جميع العمومات، فيقرأها في الجهرية، والسرية: الإمام، والمأموم، والمنفرد، الكل يقرؤونها في كل ركعة، فالمعنى الأظهر، والصواب أنها تقرأ في كل ركعة»[(٢)].

رابعاً: تَفْسِيرِ الاسْتِعَاذَةِ

الاستعاذة هِيَ الالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَالِالْتِصَاقُ بِجَنَابِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، وَالْعِيَاذَةُ تَكُونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ، وَاللِّيَاذُ يَكُونُ لِطَلَبِ جَلْبِ الْخَيْرِ، كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّنْ أُحَاذِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ(٣)

وَمَعْنَى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَيْ: أَسْتَجِيرُ بِجَنَابِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي، أَوْ دُنْيَايَ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، أَوْ يَحُثَّنِي عَلَى فِعْلِ مَا نُهِيتُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يكفّه عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللَّهُ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ، وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ إِلَيْهِ؛ لِيَرُدَّهُ طَبْعُهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَأَمَرَ بِالاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَشْوَةً، وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ جَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ شِرِّيرٌ بِالطَّبْعِ، وَلَا يَكُفُّهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، لَا أَعْلَمُ لَهُنَّ رَابِعَةً، قَوْلُهُ فِي الْأَعْرَافِ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ**

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٦٦.

(٢) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير سورة الفاتحة للإمام ابن كثير، ص ٧٩.

(٣) ديوان المتنبي، ٢/ ٢٢٥، وقد ذكر الإمام ابن كثير، في البداية والنهاية، ١١/ ٢٩٢: «وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ شيخ الإسلام أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق، ويقول: إنما يصلح هذا لجناب اللهَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَخْبَرَنِي الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يَقُولُ: رُبَّمَا قُلْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي السُّجُودِ، أدعو اللهَّ بما تضمناه من الذلّ والخضوع».

بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فَهَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْبَشَرِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦ -٩٨]، وَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ حم السَّجْدَةِ: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤ -٣٦].

والشيطان فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ، فَهُوَ بَعِيدٌ بِطَبْعِهِ عَنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ، وَبَعِيدٌ بِفِسْقِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَقِيلَ: مُشْتَقٌّ مِنْ شَاطَ؛ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كِلَاهُمَا صَحِيحٌ فِي الْمَعْنَى، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ أَصَحُّ[1].

والرّجيم: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيْ: أَنَّهُ مَرْجُومٌ، مَطْرُودٌ عَنِ الْخَيْرِ كُلِّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥][2].

خامساً: تفسير سورة الفاتحة:

١ - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

افْتَتَحَ بِهَا الصحابةُ كِتَابَ اللَّهِ، وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ مِنْ سورة النَّمْلِ، ثمّ اختلفوا: هل هِيَ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، أَوْ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ كُتِبَتْ فِي أَوَّلِهَا، أَوْ أَنَّها بَعْضُ آيَةٍ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، أَوْ أَنَّهَا كَذَلِكَ فِي الْفَاتِحَةِ دُونَ غَيْرِهَا، أَوْ أَنَّهَا إِنَّمَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ، لَا أَنَّهَا آيَةٌ عَلَى أَقْوَالٍ لِلْعُلَمَاءِ سَلَفًا، وَخَلَفًا[3].

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصواب أنها آية مستقلة من كتاب الله جلَّ وعلا، وعلامة فصل بين السور، آية مستقلة، فليست من الفاتحة، ولا من غيرها، بل هي آية مستقلة، للفصل بين السور، هذا أحسن ما قاله العلماء

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ١٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ١٧٧.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ١٧٧.

فيها، وهي بعض آية من سورة النمل، والفاتحة سبع آيات من دونها، أولها: الحمد لله رب العالمين، وآخرها: غير المغضوب عليهم ولا الضالين»[١].

وعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: «كَانَتْ مَدًّا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ»[٢].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «كَانَ يُقَطِّعُ[٣] قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾»[٤].

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ لَا يُجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَهَذَا هُوَ الثَّابِتُ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، وَطَوَائِفِ مِنْ سَلَفِ التَّابِعِينَ وَالْخَلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالثَّوْرِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَعِنْدَ الْإِمَامِ مَالِكٍ: أَنَّهُ لَا يَقْرَأُ الْبَسْمَلَةَ بِالْكُلِّيَّةِ، لَا جَهْرًا وَلَا سِرًّا»[٥].

فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالْقِرَاءَةِ، بِـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَكَانَ إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ لَمْ يَسْجُدْ، حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ، لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ جَالِسًا، وَكَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ التَّحِيَّةَ، وَكَانَ يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقْبَةِ الشَّيْطَانِ، وَيَنْهَى أَنْ يَفْتَرِشَ الرَّجُلُ ذِرَاعَيْهِ افْتِرَاشَ السَّبُعِ، وَكَانَ يَخْتِمُ الصَّلَاةَ بِالتَّسْلِيمِ»[٦].

---

(١) تعليقات ابن باز على مقدمة تفسير ابن كثير، وتفسير سورة الفاتحة، ص ١٠٥.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٥٠٤٦.

(٣) يقطّع قراءته: يعني يقف على رؤوس الآيات، من باب الترتيل: تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة، ص ١٠٩.

(٤) مسند أحمد، ٤٤/ ٢٠٦، برقم ٢٦٥٨٣، وصححه لغيره محققو المسند، وسنن أبي داود، برقم ٤٠٠١، وسنن الترمذي، برقم ٢٩٢٧، وسنن الدارقطني، برقم ١١٩١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٨٩٣، برقم ٩١٣١.

(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ١٨١.

(٦) صحيح مسلم، برقم ٤٩٨.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ رضي الله عنهما كَانُوا يَفْتَتِحُونَ الصَّلاَةَ بِـ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]»[١].

وعن قتادة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ قَالَ: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لَا يَذْكُرُونَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ، وَلَا فِي آخِرِهَا»[٢].

وقال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «أَجْمَعُوا عَلَى صِحَّةِ صَلَاةِ مَنْ جَهَرَ بِالْبَسْمَلَةِ وَمَنْ أَسَرَّ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ»[٣].

قال **الإمام شيخنا ابن باز** رحمه الله: «وهذا هو الأصح من أقوال العلماء، قول أكثر الجمهور، فمن السنة الإسرار بالبسملة لا يجهر بها، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الراشدين، وجمهور أهل العلم، وهو مذهب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، حتى أن مالكاً لا يرى قراءتها بالكلية، والقول بهذا ضعيف، والصواب أنها تقرأ لكن سراً... فإذا جهر بعض الناس في بعض الأحيان حتى يعلم المأمومون أنها تقرأ، وحتى لا يظن ظان أنها تترك، فلا بأس، ويكون من باب التعليم، كما فعل أبو هريرة رضي الله عنه»[٤].

فَضْلُ البَسْمَلَة:

عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ، عَمَّنْ كَانَ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَهُ عَلَى حِمَارٍ، فَعَثَرَ الْحِمَارُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: صَرَعْتُهُ بِقُوَّتِي، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ، تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ**»[٥].

وَتُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْأَكْلِ لِمَا ذكر عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: كُنْتُ فِي حِجْرِ

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٧٤٣، وصحيح مسلم، برقم ٣٩٩.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٣٩٩، والترمذي، ٢٤٤، والنسائي، برقم ٩٠٩، .

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ١٨٢.

(٤) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة، ص ١١٠.

(٥) مسند أحمد، ٣٤/ ١٩٨، برقم ٢٠٥٩١، وصححه محققو المسند، وسنن أبي داود، برقم ٤٩٨٢، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١٠٣٨٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ١١٨، برقم ٣١٢٨.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[١].

وتُسْتَحَبُّ عِنْدَ الْجِمَاعِ لِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**»[٢].

وَتُسْتَحَبُّ الْبَسْمَلَةُ فِي أَوَّلِ كلّ عملٍ، وتُسْتَحَبُّ **عِنْدَ دخول الخلاء**، وتُستحب **فِي أَوَّلِ الْوُضُوءِ**، وَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَوْجَبَهَا عِنْدَ الوضوء عند الذِّكْرِ، **والصَّوابُ** أنّها تَجِبُ في أوَّل الوضُوءِ مَعَ الذِّكْرِ، وتسْقطُ عندَ النِّسْيَانِ، وَالصَّوَابُ وُجُوبهَا عندَ الذَّبحِ، والنَّحْر معَ الذِّكْرِ»[٣].

وَمِنْ هَاهُنَا يَنْكَشِفُ لَكَ أَنَّ الْقَوْلَيْنِ عِنْدَ النُّحَاةِ فِي تَقْدِيرِ الْمُتَعَلِّقِ بِالْبَاءِ فِي قَوْلِكَ: ﴿**بِاسْمِ اللَّهِ**﴾، هَلْ هُوَ اسْمٌ، أَوْ فِعْلٌ مُتَقَارِبَانِ، وَكُلٌّ قَدْ وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ؛ أَمَّا مَنْ قَدَّرَهُ بِاسْمٍ، تَقْدِيرُهُ: بِاسْمِ اللَّهِ ابْتِدَائِي، فَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [هُود: ٤١][٤].

«وَمَنْ قدره بالفعلِ أمراً، أو خبراً نحو: أبدأ بسم اللَّه، أو ابتدأت باسم اللَّه؛ فلقوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [العَلَق: ١]، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ، فَإِنَّ الْفِعْلَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَصْدَرٍ، فَلَكَ أَنْ تُقَدِّرَ الْفِعْلَ وَمَصْدَرَهُ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْفِعْلِ الَّذِي سَمَّيْتَ قَبْلَهُ: إِنْ كَانَ قياماً، أو قعوداً، أو أكلاً، أو شراباً، أَوْ قِرَاءَةً، أَوْ وُضُوءًا، أَوْ صَلَاةً، فَالْمَشْرُوعُ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ قبلِ الشُّرُوعِ فِي ذَلِكَ، كُلِّهِ تَبَرُّكًا، وَتَيَمُّنًا، وَاسْتِعَانَةً عَلَى الْإِتْمَامِ، وَالتَّقَبُّلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[٥].

قال **الإمام ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**بسم اللَّه**» أبتدئ، هذا يعم إذا قدرته اسماً: أبتدئ في الصلاة، في الوضوء، في الأكل، أما إذا قدرته فعلاً، فيختلف حسب

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٢٠٢٢.

(٢) صحيح البخاري، برقم ١٤١، ومسلم، برقم ١٤٣٤، واللفظ له.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١/ ١٨٦ - ١٩٠.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ١٩٠.

(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ١٩١.

المبدوء به، فإن كان عند الأكل، فيقدر بسم اللَّه أكلي، أو باسم اللَّه آكل، وإن كان وضوءاً: بسم اللَّه أتوضأ، وإن غير ذلك فعلى حسبه»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف؛ وهذا المحذوف يقدَّر فعلاً متأخراً مناسباً؛ فإذا قلت: «باسم اللَّه»، وأنت تريد أن تأكل؛ تقدر الفعل: «باسم اللَّه آكل»»[٢].

﴿اللَّه﴾: عَلَم عَلَى الرَّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يُقَال إِنَّهُ الِاسْم الْأَعْظَم؛ لِأَنَّهُ يُوصَف بِجَمِيعِ الصِّفَات، كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤]، فَأَجْرَى الْأَسْمَاء الْبَاقِيَة كُلّهَا صِفَات لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»[٣]، و«اللَّه»: اسم لا يُسمّى به غيره تبارك وتعالى.

﴿الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾: اِسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنْ الرَّحْمَة عَلَى وَجْه الْمُبَالَغَة، وَرَحْمَن أَشَدّ مُبَالَغَة مِنْ رَحِيم، وَفِي كَلَام اِبْن جَرِير مَا يُفْهَم مِنْهُ حِكَايَة الِاتِّفَاق عَلَى هَذَا[٤].

«وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى الِاشْتِقَاقِ حديث عبد الرحمن بن عَوْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ»[٥]، وَهَذَا نَصٌّ فِي الِاشْتِقَاقِ، فَلَا مَعْنَى

---

(١) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة، ص ١١٨.

(٢) تفسير الفاتحة لابن عثيمين، ص ٦.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٢٧٣٦، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٧٧.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ١٩٢.

(٥) سنن الترمذي، برقم ١٩٠٧، ولفظه: «عَبْدُ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»، وهو في مسند أحمد، ٣/ ٢١٦، برقم ١٦٨٦، وصححه لغيره محققو المسند،والألباني في =

لِلْمُخَالَفَةِ وَالشّقَاقِ، وَإِنْكَارُ الْعَرَبِ لَهُ لِجَهْلِهِمْ بِاللَّهِ، وَبِمَا وَجَبَ لَهُ»[١].

قَالَ أَبُو عَلِيّ الْفَارِسِيُّ: الرَّحْمنَ: اسْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ، يَخْتَصُّ بِهِ اللَّهُ تعالى، والرَّحِيمِ: إِنَّمَا هُوَ فِي جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٤٣]»[٢].

وعن ابن عباس في قوله ﷻ: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ... والرحمن: قال المترحم على خلقه، الرحيم بعباده فيما ابتدأهم به من كرامته، ويروى عنه أيضاً أنّه قال: الرحمن الرحيم: اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر، وقيل في الجمع بينهما: إنَّ الرحمن أشدُّ مبالغة، والرحيم أخصُّ منه؛ فالرحمن لجميع الخلق، والرحيم للمؤمنين خاصة»[٣].

ولعله بمعنى أرفق، كما في حديث عائشة: «**إِنَّ الله رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»[٤].

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: الرَّحْمنِ إِذَا سُئِلَ أَعْطَى، وَالرَّحِيمِ إِذَا لَمْ يُسْأَلْ يغضبْ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»[٥].

وَقَدْ أَخَذَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ هَذَا الْمَعْنَى فقال:

لا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حاجةً ... وسَلِ الذي أبوابُهُ لا تُغْلَقُ

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ ... وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ»[٦]

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ عن الْعَرْزَمِيِّ[٧]: «الرَّحْمَنَ الرَّحِيمِ: قَالَ الرَّحْمَنَ لِجَمِيعِ

= صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٣٣٧، برقم ٢٥٢٨..

(١) تفسير القرطبي، ١/ ١٠٤.

(٢) تفسير القرطبي، ١/ ١٠٥.

(٣) إعراب القرآن لقوام السنة الأصبهاني، ص ٤.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٥٩٣.

(٥) سنن الترمذي، برقم ٣٣٧٣، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٥٨، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥١٣، وسنن ابن ماجه، برقم ٣٨٢٧ ولفظه: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللهَ سُبْحَانَهُ، غَضِبَ عَلَيْهِ»، ومسند أحمد، ١٥/ ٤٤٨، برقم ٩٧١٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥٤.

(٦) تفسير القرطبي، ١/ ١٠٦، وابن كثير، ١/ ١٢٥.

(٧) هكذا صححها الإمام ابن باز في تعليقه على تفسير الفاتحة، ص ١٣٣، وهو هكذا في نسخة دار طيبة المحققة، ١/ ١٢٦.

الْخَلْق، الرَّحِيم قَالَ: بِالْمُؤْمِنِينَ»[1].

قَالُوا: وَلِهَذَا قَالَ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾[الفرقان: ٥٩]، وَقَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥]، فَذَكَرَ الِاسْتِوَاء بِاسْمِهِ الرَّحْمَن لِيَعُمّ جَمِيع خَلْقه بِرَحْمَتِهِ، وَقَالَ ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣]، فَخَصَّهُمْ بِاسْمِهِ الرَّحِيم، قَالُوا: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَن أَشَدّ مُبَالَغَة فِي الرَّحْمَة لِعُمُومِهَا فِي الدَّارَيْنِ لِجَمِيعِ خَلْقه، وَالرَّحِيم خَاصَّة بِالْمُؤْمِنِينَ.

أَمَّا الرَّحِيم، فَإِنَّهُ تعالى وَصَفَ بِهِ غَيْرَهُ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، كَمَا وَصَفَ غَيْرَهُ بِذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان: ٢]، وَالْحَاصِل أَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى مَا يُسَمَّى بِهِ غَيْره، وَمِنْهَا مَا لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْره، كَاسْمِ اللَّه، وَالرَّحْمَن، وَالْخَالِق، وَالرَّزَّاق، وَنَحْو ذَلِكَ؛ فَلِهَذَا بَدَأَ بِاسْمِ اللَّه، وَوَصَفَهُ بِالرَّحْمَنِ؛ لِأَنَّهُ أَخَصّ وَأَعْرَف مِنْ الرَّحِيم؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَة أَوَّلًا إِنَّمَا تَكُون بِأَشْرَف الْأَسْمَاء؛ فَلِهَذَا اِبْتَدَأَ بِالْأَخَصِّ فَالْأَخَصّ[2].

وَعَنْ الْحَسَن قَالَ: الرَّحْمَن: اِسْم لَا يَسْتَطِيع النَّاس أَنْ يَنْتَحِلُوهُ، تَسَمَّى بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[3].

وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيث أُمّ سَلَمَة أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَة رَسُول اللَّه ﷺ، فَقَالَتْ: «**كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً**: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤]»[4]، فَقَرَأَ بَعْضهمْ كَذَلِكَ، وَهُمْ طَائِفَة، وَمِنْهُمْ مَنْ وَصَلَهَا بِقَوْلِهِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَكُسِرَتْ الْمِيم لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَهُمْ الْجُمْهُور[5].

---

(١) تفسير الطبري، ١/ ١٢٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ١٩٩.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١/ ٢٦، .
(٤) مسند أحمد، ٤٤/ ٢٠٦، برقم ٢٦٥٨٣، وصححه لغيره محقق المسند، وأبو داود، برقم ٤٠٠١، والترمذي، ٢٩٢٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٥٠٠٠.
(٥) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠١.

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعمُّ جميع الأسماء الحُسْنى، ﴿اللَّهِ﴾ هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة، لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال»[١].

٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: الْقُرَّاء السَّبْعَة عَلَى ضَمّ الدَّال فِي قَوْله: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾ هُوَ مُبْتَدَأ وَخَبَر، وَرُوِيَ عَنْ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة، وَرُؤْبَة بْن الْعَجَّاج أَنَّهُمَا قَالَا: ﴿الْحَمْدَ لِلَّهِ﴾ بِالنَّصْبِ، وَهُوَ عَلَى إِضْمَار فِعْل، وَعَنْ الْحَسَن وَزَيْد بْن عَلِيّ ﴿الْحَمْدِ لِلَّهِ﴾ بِكَسْرِ الدَّال إِتْبَاعًا لِلْأَوَّلِ الثَّانِي.

قَالَ أَبُو جَعْفَر بْن جَرِير مَعْنَى ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾ الشُّكْر لِلَّهِ خَالِصًا دُون سَائِر مَا يُعْبَد مِنْ دُونه، وَدُون كُلّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلْقه بِمَا أَنْعَمَ عَلَى عِبَاده مِنْ النِّعَم الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَدَد، وَلَا يُحِيط بِعَدَدِهَا غَيْره أَحَد فِي تَصْحِيح الْآلَات لِطَاعَتِهِ، وَتَمْكِين جَوَارِح أَجْسَام الْمُكَلَّفِينَ لِأَدَاءِ فَرَائِضه، مَعَ مَا بَسَطَ لَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ مِنْ الرِّزْق، وَغَذَّاهُمْ بِهِ مِنْ نَعِيم الْعَيْش، مِنْ غَيْر اِسْتِحْقَاق مِنْهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَمَعَ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنْ الْأَسْبَاب الْمُؤَدِّيَة إِلَى دَوَام الْخُلُود فِي دَار الْمَقَام فِي النَّعِيم الْمُقِيم، فَلِرَبِّنَا الْحَمْد عَلَى ذَلِكَ كُلّه أَوَّلًا وَآخِرًا.

وَقَالَ اِبْن جَرِير رحمه الله: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾ ثَنَاء أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسه، وَفِي ضِمْنه أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾، قَالَ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَوْل الْقَائِل: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾ ثَنَاء عَلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاته الْعُلَا، وَقَوْله: الشُّكْر لِلَّهِ ثَنَاء عَلَيْهِ بِنِعَمِهِ وَأَيَادِيه، ثُمَّ شَرَعَ فِي رَدّ ذَلِكَ بِمَا حَاصِله: أَنَّ جَمِيع أَهْل الْمَعْرِفَة بِلِسَانِ الْعَرَب يُوقِعُونَ كُلًّا مِنْ الْحَمْد وَالشُّكْر مَكَان الْآخَر، وَقَدْ نَقَلَ السُّلَمِيّ هَذَا الْمَذْهَب أَنَّهُمَا سَوَاء عَنْ جَعْفَر الصَّادِق، وَابْن عَطَاء مِنْ الصُّوفِيَّة.

وَقَالَ اِبْن عَبَّاس: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ﴾: كَلِمَة كُلّ شَاكِر[٢].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «واشْتُهِرَ عِنْد كَثِير مِنْ الْعُلَمَاء مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّ الْحَمْد هُوَ الثَّنَاء بِالْقَوْلِ عَلَى الْمَحْمُود بِصِفَاتِهِ اللَّازِمَة وَالْمُتَعَدِّيَة، وَالشُّكْر لَا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠١.

يَكُون إِلَّا عَلَى الْمُتَعَدِّيَة، وَيَكُون بِالْجِنَانِ وَاللِّسَان وَالْأَرْكَان، كَمَا قَالَ الشَّاعِر:

أَفَادَتْكُمْ النَّعْمَاء مِنِّي ثَلَاثَة ... يَدِي، وَلِسَانِي، وَالضَّمِير الْمُحَجَّبَا»[1]

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «...كلام ابن جرير في هذا عظيم، وهو يحكي عن أهل اللغة لا في اصطلاح الناس، واصطلاح الناس كون الشكر في مقابل النعم، والحمد في مقابل النعم وغيرها اصطلاح ما يعارض اللغة، واصطلاحات الناس لهم، فقول ابن جرير هنا أظهر، وأن الحامد شاكر إذا أدَّى حقّ النعم، فإذا لم يؤدها فهو حامد لا شاكر، فالشكر يكون باللسان، ويكون بالعمل، ويكون بالقلب، والحمد يكون باللسان، ويكون بالقلب، والمقصود أن الحامد لله شاكر لله، مُثنٍ عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذا صدق في ذلك، وأتبع القول العمل، كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، جعل الذكر أولاً مقدماً، ثم أتى بالشكر، فذكر الله يكون بتسبيحه، وتهليله، وتحميده، وغير ذلك من أنواع الذكر، والشكر يكون بأداء حقه مع الثناء»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحمد»: وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم؛ الكمال الذاتي، والوصفي، والفعلي؛ فهو كامل في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ ولا بد من قيد وهو «المحبة، والتعظيم»؛ قال أهل العلم: «لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة، ولا تعظيم: لا يسمى حمداً؛ وإنما يسمى مدحاً»؛ ولهذا يقع من إنسان لا يحب الممدوح؛ لكنه يريد أن ينال منه شيئاً؛ تجد بعض الشعراء يقف أمام الأمراء، ثم يأتي لهم بأوصاف عظيمة، لا محبة فيهم؛ ولكن محبة في المال الذي يعطونه، أو خوفاً منهم؛ ولكن حمدنا لربنا عَزَّ وَجَلَّ حمدَ محبةٍ، وتعظيمٍ؛ فلذلك صار لا بد من القيد في الحمد أنه وصف المحمود بالكمال مع المحبة، والتعظيم؛ و «أل» في «الحمد» للاستغراق: أي استغراق جميع المحامد»[3].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠٢.

(٢) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة، ص ١٤٤.

(٣) تفسير الفاتحة لابن عثيمين، ١٢.

وقال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لَمْ يَذْكُرْ لِحَمْدِهِ هُنَا ظَرْفًا مَكَانِيًّا، وَلَا زَمَانِيًّا، وَذَكَرَ فِي سُورَةِ الرُّومِ أَنَّ مِنْ ظُرُوفِهِ الْمَكَانِيَّةِ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ١٨]، وَذَكَرَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ أَنَّ مِنْ ظُرُوفِهِ الزَّمَانِيَّةِ: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]، وَقَالَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ سَبَأٍ: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١]، وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي «الْحَمْدُ» لِاسْتِغْرَاقِ جَمِيعِ الْمَحَامِدِ»[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل، بجميع الوجوه»[٢].

وَأَمَّا الْمَدْح فَهُوَ أَعَمّ مِنْ الْحَمْد؛ لِأَنَّهُ يَكُون لِلْحَيّ وَلِلْمَيِّتِ وَلِلْجَمَادِ أَيْضًا، كَمَا يُمْدَح الطَّعَام وَالْمَكَان وَنَحْو ذَلِكَ، وَيَكُون قَبْل الْإِحْسَان وَبَعْده، وَعَلَى الصِّفَات الْمُتَعَدِّيَة وَاللَّازِمَة أَيْضًا، فَهُوَ أَعَمّ[٣].

وَعن جَابِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ**»[٤]:

وفي الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[٥].

والألف، واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد، وصنوفه لله تعالى[٦].

﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: وَالرَّبّ هُوَ الْمَالِك الْمُتَصَرِّف، وَيُطْلَق فِي اللُّغَة عَلَى

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ١/ ١٠١.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠٢.
(٤) سنن الترمذي، برقم ٣٣٨٣، وحسنه، وابن ماجه، برقم ٣٨٠٠، وصححه محققو مسند أحمد، ٣٥/ ٣٨٦، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٢١، برقم ١٥٢٦.
(٥) سنن الترمذي، برقم ٣٥٨٥، وموطأ مالك، ١/ ٢١٤، برقم ٣٢، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٢٦، برقم ١٥٣٦.
(٦) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٠٧.

السَّيِّد، وَعَلَى الْمُتَصَرِّف لِلْإِصْلَاح، وَكُلّ ذَلِكَ صَحِيح فِي حَقّ اللَّه تَعَالَى، وَلَا يُسْتَعْمَل الرَّبّ لِغَيْرِ اللَّه، بَلْ بِالْإِضَافَةِ، تَقُول: رَبّ الدَّار، رب كَذَا، وَأَمَّا الرَّبّ فَلَا يُقَال إِلَّا لِلَّهِ ﷻ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ الِاسْم الْأَعْظَم، وَالْعَالَمِينَ جَمْع عَالَم، وَهُوَ كُلّ مَوْجُود سِوَى اللَّه ﷻ، وَالْعَالَم جَمْع لَا وَاحِد لَهُ مِنْ لَفْظه، وَالْعَوَالِم أَصْنَاف الْمَخْلُوقَات فِي السَّمَوَات، وَفِي الْبَرّ وَالْبَحْر، وَكُلّ قَرْن مِنْهَا، وَجِيل يُسَمَّى عَالَمًا أَيْضًا، وَعَنْ اِبْن عَبَّاس: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ رَبّ الْعَالَمِينَ﴾: الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْق كُلّه: السَّمَوَات وَالْأَرْضون، وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنهنَّ، مِمَّا نَعْلَم وَمِمَّا لَا نَعْلَم[1].

وَقَالَ الزَّجَّاج: الْعَالَم كُلّ مَا خَلَقَ اللَّه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة.

قال القرطبي: «وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ: كل العالمين أَصَحُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ؛ لِأَنَّهُ شَامِلٌ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَوْجُودٍ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قالَ فِرْعَوْنُ وما رَبُّ الْعالَمِينَ * قالَ رَبُّ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ وما بَيْنَهُمَا﴾ [الشعراء: ٢٣- ٢٤]، ثُمَّ هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَلَامَةِ، لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مُوجِدِهِ»[2].

وَالْعَالَم مُشْتَقّ مِنْ الْعَلَامَة، قُلْت: لِأَنَّهُ عَلَم دَالّ عَلَى وُجُود خَالِقه، وَصَانِعه، وَوَحْدَانِيّته، كَمَا قَالَ اِبْن الْمُعْتَزّ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَه ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدهُ الْجَاحِد
وَفِي كُلّ شَيْء لَهُ آيَة ... تَدُلّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِد[3]

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الرب: هو المربي جميع العالمين، وهم من سوى الله، بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء، فما بهم من نعمة، فمنه تعالى، وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم،

(١) تفسير ابن كثير، ٢٠٨.
(٢) تفسير القرطبي، ١/ ١٣٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٢١٠.

ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة، فدل قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على انفراده بالخلق، والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار»[1].

وقال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا مَا الْعَالَمُونَ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤]، قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: اشْتِقَاقُ الْعَالَمِ مِنَ الْعَلَامَةِ ؛ لِأَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَلَامَةٌ لَا شَكَّ فِيهَا عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ، مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَالْجَلَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وَالْآيَةُ فِي اللُّغَةِ: الْعَلَامَةُ»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «الرب»: هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق، والملك، والتدبير؛ فهو الخالق المالك لكل شيء، المدبر لجميع الأمور؛ و«العالمين»: قال العلماء: كل ما سوى الله فهو من العالَم؛ وُصفوا بذلك؛ لأنهم عَلَم على خالقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ففي كل شيء من المخلوقات آية تدل على الخالق: على قدرته، وحكمته، ورحمته، وعزته، وغير ذلك من معاني ربوبيته»[3].

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «العوالم لا يحصيها إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو رب العالمين، والعالمون أنواع المخلوقات، ولا يحصي عددها إلا الله، هو الذي يحصي عدد المخلوقات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي في البحر، والذي في البر، والذي في السماء، والذي في داخل الأرض، لا يعلمه إلا الله جلَّ وعلا، فالعوالم لا يحصيها إلا هو، وهو ربها جلَّ وعلا، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.

(٢) أضواء البيان، ١/ ١٠١.

(٣) تفسير الفاتحة والبقرة لابن عثيمين، ص ١٢ – ١٣.

(٤) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة لابن كثير، ص ١٥٦.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «يشمل العوالم الحية التي لها روح، والعوالم الجامدة؛ لأنها كلها عوالم: الماء عالم، والسموات عالم، والأرض عالم، والجبال عالم»[١].

وقال : أيضاً: «في قوله: ﴿رب العالمين﴾: إشارة إلى أنه المتصرف فيهم، ومالكهم، ومدبر أمورهم، وفيه ترهيب لهم من عصيانه، وأنه قادر على إهلاك من يشاء، وتعذيب من يشاء، ثم قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾ ترغيب لهم في رحمته، واللجوء إليه، والاستقامة على أمره وطاعته سبحانه، رجاء أن تحصل لهم الرحمة، ثم جاء ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ للجمع بين الرجاء أو الخوف»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويطلق الدين على الطاعة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، أي: الطاعة، والعبادة عند اللَّه الإسلام، ولكن هنا يُراد به الحساب: أن اللَّه يجازيهم بأعمالهم، ويحاسبهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر»[٣].

٣- وَقَوْله تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: تَقَدَّمَ الْكَلَام عَلَيْهِ فِي الْبَسْمَلَة بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَته.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَصَفَ نَفْسَهُ تَعَالَى بَعْدَ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، بِأَنَّهُ ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾؛ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي اتِّصَافِهِ بِـ﴿رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ تَرْهِيبٌ قَرَنَهُ بِـ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، لِمَا تَضَمَّنَ مِنَ التَّرْغِيبِ؛ لِيَجْمَعَ فِي صِفَاتِهِ بَيْنَ الرَّهْبَةِ مِنْهُ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ أَعْوَنَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَمْنَعَ، كَمَا قَالَ: ﴿نَبِّئْ عِبادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذابِي هُوَ الْعَذابُ الْأَلِيمُ﴾[الحجر: ٤٩-٥٠]، وَقَالَ: ﴿غافِرِ الذَّنْبِ وَقابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقابِ ذِي الطَّوْلِ﴾[غافر: ٣]»[٤].

وَفِي صَحِيح مُسْلِم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»[٥].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٦٠.

(٢) تعليقات الإمام ابن باز على تفسير الفاتحة لابن كثير، ص ١٦١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٤) تفسير القرطبي، ١/ ١٣٩.

(٥) صحيح مسلم، برقم ٢٧٥٥.

قال العلامة السعدي رحمه الله: ((﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة، التي وسعت كل شيء، وعمّت كُلَّ حيّ، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها، واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها: الإيمان بأسماء الله، وصفاته، وأحكام الصفات: فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء، يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة، يقدر على كل شيء))[1].

٤- ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: قَرَأَ بَعْض الْقُرَّاء ﴿مَلِك يَوْم الدِّين﴾، وَقَرَأَ آخَرُونَ ﴿مَالِك﴾، وَكِلَاهُمَا صَحِيح مُتَوَاتِر فِي السَّبْع[2].

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: ((وكلها قراءة صحيحة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾))[3].

وَتَخْصِيص الْمُلْك بِيَوْمِ الدِّين لَا يَنْفِيه عَمَّا عَدَاهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ الْإِخْبَار بِأَنَّهُ رَبّ الْعَالَمِينَ، وَذَلِكَ عَامّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَإِنَّمَا أُضِيف إِلَى يَوْم الدِّين؛ لِأَنَّهُ لَا يَدَّعِي أَحَد هُنَالِكَ شَيْئًا، وَلَا يَتَكَلَّم أَحَد إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[النبأ: ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[طه: ١٠٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[هود: ١٠٥].

وَقَالَ الضَّحَّاك عَنْ اِبْن عَبَّاس: ﴿مَالِك يَوْم الدِّين﴾، يَقُول: لَا يَمْلِك أَحَد مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْم حُكْمًا، كَمُلْكِهِمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: وَيَوْم الدِّين يَوْم الْحِسَاب لِلْخَلَائِقِ، وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة، يَدِينهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ: إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْهُ، وَكَذَلِكَ قَالَ غَيْره مِنْ الصَّحَابَة، وَالتَّابِعِينَ، وَالسَّلَف وَهُوَ ظَاهِر.

وَالْمَلِك فِي الْحَقِيقَة هُوَ اللَّه عز وجل قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٥٠.
(٣) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة لابن كثير، ص ٦٣.

الْمَلِك الْقُدُّوس السَّلَام﴾[الحشر: ٢٣]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رِوَايَةً قَالَ: «**أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ**»، وَقَالَ سُفْيَانُ غَيْرَ مَرَّةٍ: «**أَخْنَعُ الْأَسْمَاءِ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ**»، هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ**»، [قال الإمام مسلم]: زَادَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي رِوَايَتِهِ «**لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ** ﷻ»[1]، وَفِيهِمَا عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَطْوِي اللهُ** ﷻ **السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»[2].

وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ﴿**لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[غافر: ١٦]، فَأَمَّا تَسْمِيَةُ غَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا بِمَلِكٍ فَعَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا**﴾[البقرة: ٢٤٧]، ﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ**﴾[الكهف: ٧٩]، ﴿**إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا**﴾[المائدة: ٢٠]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ «**مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ**»[3].

وَالدِّينُ: الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ**﴾[النور: ٢٥]، وَقَالَ: ﴿**أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾ [الصافات: ٥٣]، أَيْ مَجْزِيُّونَ مُحَاسَبُونَ، وَفِي الْحَدِيثِ: ورُوي عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ يرفعه: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ**»[4]، أَيْ: حَاسَبَ نَفْسَهُ لِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ عُمَرُ ﷺ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَأَهَّبُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ عَلَى مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ»، ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ**﴾[الحاقة: ١٨].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر، وينهى، ويثيب، ويعاقب، ويتصرف

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٢٠٦، صحيح مسلم، برقم ٢١٤٣.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٨١٢، ومسلم، برقم ٣٧٨٦، واللفظ له.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٢٧٨٨، وصحيح مسلم، برقم ١٩١٢.

(٤) مسند أحمد، ٢٨/ ٣٥٠، برقم ١٧١٢٣، وسنن الترمذي، برقم ٢٤٥٩، وسنن ابن ماجه، برقم ٤٢٦٠. وحسنه البغوي في شرح السنة، ١٤/ ٣٠٨، وسكت النووي على تحسين الترمذي في رياض الصالحين.

بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها؛ لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق تمام الظهور، كمال ملكه، وعدله، وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق، حتى أنه يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار، كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين، ولغيره من الأيام»[(١)].

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله: «﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: لَمْ يُبَيِّنْهُ هُنَا، وَبَيَّنَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ الْآيَةَ [الانفطار: ١٧-١٩]، وَالْمُرَادُ بِالدِّينِ فِي الْآيَةِ الْجَزَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، أَيْ: جَزَاءُ أَعْمَالِهِمْ بِالْعَدْلِ»[(٢)].

٥- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَرَأَ السَّبْعَةُ وَالْجُمْهُورُ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ مِنْ ﴿إِيَّاكَ﴾.

وَنَسْتَعِين - بِفَتْح النُّون أَوَّل الْكَلِمَة - فِي قِرَاءَة الْجَمِيع، سِوَى يَحْيَى بْن وَثَّاب، وَالْأَعْمَش؛ فَإِنَّهُمَا كَسَرَاهَا، وَهِيَ لُغَة بَنِي أَسَد، وَرَبِيعَة وَبَنِي تَمِيم.

وَالْعِبَادَة فِي اللُّغَة مِنْ الذِّلِّ، يُقَال: طَرِيق مُعَبَّد، وَبَعِير مُعَبَّد، أَيْ: مُذَلَّل، وَفِي الشَّرْع عِبَارَة عَمَّا يَجْمَع كَمَال الْمَحَبَّة، وَالْخُضُوع وَالْخَوْف، وَقَدَّمَ الْمَفْعُول، وَهُوَ «إِيَّاكَ»، وَكُرِّرَ لِلِاهْتِمَامِ وَالْحَصْر، أَيْ: لَا نَعْبُد إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّل إِلَّا عَلَيْك، وَهَذَا هُوَ كَمَال الطَّاعَة، وَالدِّين كُلّه يَرْجِع إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْض السَّلَف: الْفَاتِحَة سِرّ الْقُرْآن، وَسِرّهَا هَذِهِ الْكَلِمَة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾، فَالْأَوَّل تَبَرُّؤٌ مِنْ الشِّرْك، وَالثَّانِي تَبَرُّؤٌ مِنْ الْحَوْل، وَالْقُوَّة، وَالتَّفْوِيض إِلَى اللَّه عز وجل، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي غَيْر آيَة مِنْ الْقُرْآن، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[هود: ١٢٣]، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾[الملك: ٢٩]، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[المزمل: ٩]، وَكَذَلِك هَذِهِ الْآيَة الْكَرِيمَة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.

(٢) أضواء البيان، ١/ ١٠٣.

وَتَحوُّل الْكَلَامِ مِنْ الْغَيْبَة إِلَى الْمُوَاجَهَة بِكَافِ الْخِطَاب، وَهُوَ مُنَاسَبَة؛ لِأَنَّهُ لَمَّا أَثْنَى عَلَى الله، فَكَأَنَّهُ اِقْتَرَبَ وَحضرَ بَيْن يَدَيْ اللَّه تَعالَى؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾، وَفِي هَذَا دَلِيل عَلَى أَنَّ أَوَّل السُّورَة خَبَر مِنْ الله تَعالَى بِالثَّنَاءِ عَلَى نَفْسه الْكَرِيمَة بِجَمِيلِ صِفَاته الْحُسْنَى، وَإِرْشَاد لِعِبَادِهِ بِأَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ بِذَلِكَ؛ وَلِهَذَا لَا تَصِحّ صَلَاة مَنْ لَمْ يَقُلْ ذَلِك، وَهُوَ قَادِر عَلَيْهِ، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُبَادَة بْن الصَّامِت قَالَ : قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: «لاَ صَلاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ»[١].

وَفِي صَحِيح مُسْلِم مِنْ حَدِيث الْعَلَاء بْن عَبْد الرَّحْمَن مَوْلَى الْحُرَقَة عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْره، قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْن، وَلِعَبْدِي مَا سَأَل، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[٢].

وَقَالَ الضَّحَّاك عَنْ اِبْن عَبَّاس رضي الله عنهما ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد﴾ يَعْنِي: إِيَّاكَ نُوَحِّد، وَنَخَاف، وَنَرْجُوك يَا رَبّنَا لَا غَيْرك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ عَلَى طَاعَتك، وَعَلَى أُمُورنَا كُلّهَا، وَقَالَ قَتَادَة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾: يَأْمُركُمْ أَنْ تُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَة، وَأَنْ تَسْتَعِينُوهُ عَلَى أُمُوركُمْ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد﴾ عَلَى ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَهُ هِيَ الْمَقْصُودَة، وَالِاسْتِعَانَة وَسِيلَة إِلَيْهَا، وَالِاهْتِمَام، وَالْحَزْم تَقْدِيم مَا هُوَ الْأَهَمّ، فَالْأَهَمّ، وَاَللَّه أَعْلَم .

فَإِنْ قِيلَ : فَمَا مَعْنَى النُّون فِي قَوْله تَعالَى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فَإِنْ كَانَتْ لِلْجَمْعِ فَالدَّاعِي وَاحِد، وَإِنْ كَانَتْ لِلتَّعْظِيمِ، فَلَا يُنَاسِب هَذَا الْمَقَام، وَقَدْ أُجِيبَ بِأَنَّ الْمُرَاد مِنْ ذَلِكَ الْإِخْبَار عَنْ جِنْس الْعِبَاد، وَالْمُصَلِّي فَرْد

(١) صحيح البخاري، برقم ٧٥٦، وتقدم.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٣٩٥، وتقدم.

مِنْهُمْ، وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ فِي جَمَاعَة، أَوْ إِمَامهمْ، فَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسه، وَعَنْ إِخْوَانه الْمُؤْمِنِينَ بِالْعِبَادَةِ الَّتِي خُلِقُوا لِأَجْلِهَا، وَتَوَسَّطَ لَهُمْ بِخَيْرٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَجُوز أَنْ تَكُون لِلتَّعْظِيمِ، كَأَنَّ الْعَبْدَ قِيلَ لَهُ: إِذَا كُنْت دَاخِل الْعِبَادَة، فَأَنْتَ شَرِيف، وَجَاهك عَرِيض فَقُلْ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَإِنْ كُنْت خَارِج الْعِبَادَة، فَلَا تَقُلْ نَحْنُ، وَلَا فَعَلْنَا، وَلَوْ كُنْت فِي مِائَة أَلْف، أَوْ أَلْف أَلْف لِاحْتِيَاجِ الْجَمِيع إِلَى الله ﷻ، وَفَقْرهمْ إِلَيْهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُد﴾ أَلْطَف فِي التَّوَاضُع مِنْ إِيَّاكَ عَبْدنَا؛ لِمَا فِي الثَّانِي مِنْ تَعْظِيم نَفْسه، مِنْ جَعْله نَفْسَهُ وَحْده أَهْلًا لِعِبَادَةِ الله تَعَالَى الَّذِي لَا يَسْتَطِيع أَحَد أَنْ يَعْبُدهُ حَقّ عِبَادَته، وَلَا يُثْنِي عَلَيْهِ كَمَا يَلِيق بِهِ، وَالْعِبَادَة مَقَام عَظِيم يُشَرَّف بِهِ الْعَبْد لِانْتِسَابِهِ إِلَى جَنَاب اللَّه تَعَالَى، كَمَا قَالَ بَعْضهمْ:

لَا تَدْعُنِي إِلَّا بِيَا عَبْدهَا فَإِنَّهُ أَشْرَف أَسْمَائِي

وَقَدْ سَمَّى الله رَسُولَهُ ﷺ بِعَبْدِهِ فِي أَشْرَف مَقَامَاته، فَقَالَ: ﴿الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ الله يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، فَسَمَّاهُ عَبْدًا عِنْد إِنْزَاله عَلَيْهِ، وَعِنْدَ قِيَامه فِي الدَّعْوَة، وَإِسْرَائِهِ بِهِ، وَأَرْشَده إِلَى الْقِيَام بِالْعِبَادَةِ فِي أَوْقَات يَضِيق صَدْره مِنْ تَكْذِيب الْمُخَالِفِينَ؛ حَيْثُ يَقُول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّك وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩][١].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصك وحدك بالعبادة، والاستعانة؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك، وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقه تعالى على حق عبده، و«العبادة» اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، و«الاستعانة» هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢١٦.

الثقة به في تحصيل ذلك، والقيام بعبادة اللَّه، والاستعانة به، هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما، وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول اللَّه ﷺ، مقصودا بها وجه اللَّه، فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر «الاستعانة» بعد «العبادة» مع دخولها فيها؛ لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة باللَّه تعالى؛ فإنه إن لم يعنه اللَّه، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي»[1].

وقال **العلامة الشنقيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾: أَشَارَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى تَحْقِيقِ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ مَعْنَاهَا مُرَكَّبٌ مِنْ أَمْرَيْنِ: نَفْيٌ، وَإِثْبَاتٌ، فَالنَّفْيُ: خَلْعُ جَمِيعِ الْمَعْبُودَاتِ غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، وَالْإِثْبَاتُ: إِفْرَادُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَحْدَهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَشْرُوعِ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى النَّفْيِ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِتَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ الَّذِي هُوَ «**إِيَّاكَ**»، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ فِي مَبْحَثِ دَلِيلِ الْخِطَابِ الَّذِي هُوَ مَفْهُومُ الْمُخَالَفَةِ، وَفِي الْمَعَانِي فِي مَبْحَثِ الْقَصْرِ: أَنَّ تَقْدِيمَ الْمَعْمُولِ مِنْ صِيَغِ الْحَصْرِ، وَأَشَارَ إِلَى الْإِثْبَاتِ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: «**نَعْبُدُ**»، وَقَدْ بَيَّنَ مَعْنَاهَا الْمُشَارَ إِلَيْهِ هُنَا مُفَصَّلًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾ الْآيَةَ [البقرة: ٢١]، فَصَرَّحَ بِالْإِثْبَاتِ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿**اعْبُدُوا رَبَّكُمْ**﴾، وَصَرَّحَ بِالنَّفْيِ مِنْهَا فِي آخِرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ فَصَرَّحَ بِالْإِثْبَاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾، وَبِالنَّفْيِ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فَصَرَّحَ بِالنَّفْيِ مِنْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ**﴾، وَبِالْإِثْبَاتِ بِقَوْلِهِ: ﴿**وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ**﴾، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.

[الزخرف: ٤٥] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَيْ: لَا نَطْلُبُ الْعَوْنَ إِلَّا مِنْكَ وَحْدَكَ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلُّهُ بِيَدِكَ وَحْدَكَ، لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْهُ مَعَكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِتْيَانُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَيْسَ بِيَدِهِ الْأَمْرُ، وَهَذَا الْمَعْنَى الْمُشَارُ إِلَيْهِ هُنَا جَاءَ مُبَيَّنًا وَاضِحًا فِي آيَاتٍ أُخَرَ كَقَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ الْآيَةَ [هود: ١٢٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ الْآيَةَ [التوبة: ١٢٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الملك: ٢٩]، وَإِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، «إياك»: مفعول به مقدم، وعامله: «نعبد»، وقُدِّم على عامله لإفادة الحصر، فمعناه: لا نعبد إلا إياك، وكان منفصلاً لتعذر الوصل حينئذ، و«نعبد» أي: نتذلل لك أكمل ذلّ؛ ولهذا تجد المؤمنين يضعون أشرف ما في أجسامهم في موطئ الأقدام ذلاً لله عَزَّ وَجَلَّ: يسجد على التراب، تمتلئ جبهته من التراب، كل هذا ذلاً لله، ولو أن إنساناً قال: «أنا أعطيك الدنيا كلها، واسجد لي» ما وافق المؤمن أبداً؛ لأن هذا الذل لله عَزَّ وَجَلَّ وحده، و«العبادة» تتضمن فعل كل ما أمر الله به، وترك كل ما نهى الله عنه؛ لأن من لم يكن كذلك، فليس بعابد: لو لم يفعل المأمور به، لم يكن عابداً حقاً، ولو لم يترك المنهي عنه لم يكن عابداً حقاً، العبد: هو الذي يوافق المعبود في مراده الشرعي، فـ«العبادة» تستلزم أن يقوم الإنسان بكل ما أمر به، وأن يترك كل ما نُهي عنه، ولا يمكن أن يكون قيامه هذا بغير معونة الله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: لا نستعين إلا إياك على العبادة، وغيرها، و«الاستعانة» طلب العون، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجمع بين العبادة، والاستعانة، أو التوكل في مواطن عدة في القرآن الكريم؛ لأنه لا قيام بالعبادة على الوجه الأكمل، إلا بمعونة الله، والتفويض إليه، والتوكل عليه»[٢].

---

(١) أضواء البيان، ١/ ١٠٣.

(٢) تفسير الفاتحة لابن عثيمين، ص ١٥.

٦- ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالصَّادِ، وَقُرِئَ السِّرَاطَ، وَقُرِئَ بِالزَّايِ، قَالَ الْفَرَّاءَ: وَهِيَ لُغَةُ بني عذرة وبني كلب؛ لما تقدم الثناء على المسؤول تَبَارَكَ وَتَعَالَى، نَاسَبَ أَنْ يُعقَّبَ بِالسُّؤَالِ، كَمَا قَالَ: «**فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»، وَهَذَا أَكْمَلُ أَحْوَالِ السَّائِلِ، أَنْ يَمْدَحَ مسؤوله، ثُمَّ يَسْأَلُ حَاجَتَهُ وَحَاجَةَ إِخْوَانِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿اهْدِنا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لِأَنَّهُ أَنْجَحُ لِلْحَاجَةِ، وَأَنْجَعُ لِلْإِجَابَةِ، وَلِهَذَا أَرْشَدَ الله إِلَيْهِ لِأَنَّهُ الْأَكْمَلُ.

وَقَدْ يَكُونُ السُّؤَالُ بِالْإِخْبَارِ عَنْ حَالِ السَّائِلِ، وَاحْتِيَاجِهِ، كَمَا قَالَ مُوسَى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وَقَدْ يَتَقَدَّمُهُ مَعَ ذلك وصف المسؤول، كَقَوْلِ ذِي النُّونِ: ﴿لَا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]، وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول كقول الشاعر:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

وَالْهِدَايَةُ هَاهُنَا الْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ، وَقَدْ تَعَدَّى الْهِدَايَةُ بِنَفْسِهَا، كَمَا هَهُنَا ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، فَتَضَمَّنُ مَعْنَى: أَلْهِمْنَا، أَوْ وَفِّقْنَا، أَوِ ارْزُقْنَا، أَوِ اعطِنَا، ﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، أَيْ بَيَّنَّا لَهُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَقَدْ تَعَدَّى بِـ(إِلَى)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اجْتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١]، ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، وَذَلِكَ بِمَعْنَى الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وَقَدْ تَعَدَّى بِاللَّامِ كَقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا﴾ [الأعراف: ٤٣]، أَيْ: وَفَّقَنَا لِهَذَا وَجَعَلَنَا لَهُ أَهْلًا.

وَأَمَّا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فيه، وكذلك فِي لُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جرير بن عطية الخطفي:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ ... إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمُ

قَالَ: وَالشَّوَاهِدُ عَلَى ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، قَالَ: ثُمَّ تَسْتَعِيرُ الْعَرَبُ الصِّرَاطَ، فَتَسْتَعْمِلُهُ فِي كُلِّ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وُصِفَ بِاسْتِقَامَةٍ، أَوِ اعْوِجَاجٍ، فَتَصِفُ الْمُسْتَقِيمَ بِاسْتِقَامَتِهِ، وَالْمُعْوَجَّ بِاعْوِجَاجِه، ثُمَّ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ

السَّلَف، وَالْخَلَف فِي تَفْسِيرِ الصِّرَاطِ، وَإِنْ كَانَ يَرْجِعُ حَاصِلُهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْمُتَابَعَةُ لِلَّهِ، وَلِلرَّسُولِ، فَرُوِيَ أَنَّهُ كِتَابُ اللَّهِ، «**وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ**»، وَقَدْ رُوِيَ هذا موقوفاً عن علي رضي الله عنه، وَهُوَ أَشْبَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كِتَابُ اللَّهِ، وَقِيلَ هُوَ الإسلام، قال الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ جِبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، يَقُولُ: اهْدِنَا الطَّرِيقَ الْهَادِيَ، وَهُوَ دين اللَّه الذي لا اعوجاج فِيهِ[2].

وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالَ: ذَاكَ الْإِسْلَامُ[3].

وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّيُّ الْكَبِيرُ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالُوا: هُوَ الْإِسْلَامُ[4].

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ جَابِرٍ ﴿اهْدِنَا الصراط المستقيم﴾ قال: هو الْإِسْلَامُ، قَالَ: هُوَ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[5].

وَقَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قَالَ: هُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرَهُ[6]، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿اهْدِنَا الصراط المستقيم﴾ قال: هو الإسلام[7]، وفي معنى هَذَا حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى**

(١) تفسير ابن جرير، ١/ ١٧٢، برقم ١٧٥.
(٢) تفسير ابن جرير، ١/ ١٧٧، والحاكم، ٢/ ٢٥٨.
(٣) تفسير ابن جرير، ١/ ١٧٤، برقم ١٨٠.
(٤) المرجع السابق، برقم ١٦٨، ١٨٢، والحاكم، ٢/ ٢٥٨.
(٥) تفسير ابن جرير، ٢/ ٢٥٨- ٢٥٩.
(٦) تفسير ابن جرير، برقم ١٨١.
(٧) تفسير ابن جرير، برقم ١٨٥.

جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالَ: الْحَقُّ، وَهَذَا أَشْمَلُ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا تَقَدَّمَ[2].

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قَالَ: هُوَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ عَاصِمٌ: فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلْحَسَنِ، فَقَالَ: صَدَقَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَنَصَحَ[3].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: «وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ مُتَلَازِمَةٌ؛ فإن من اتبع الإسلام، فقد اتَّبَعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَاقْتَدَى بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَقَدِ اتَّبَعَ الْحَقَّ، وَمَنِ اتَّبَعَ الْحَقَّ فَقَدِ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ، وَمَنِ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ فَقَدِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ، وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، فَكُلُّهَا صَحِيحَةٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»[4].

وَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: «﴿الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ﴾ الَّذِي تَرَكَنَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[5].

وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عِنْدِي، أَعْنِي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ: وَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَى مَا ارْتَضَيْتَهُ، وَوَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ مِنْ قَوْلٍ وعمل، ذلك هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّ مَنْ وُفِّقَ لِمَا وُفِّقَ لَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

---

(١) مسند أحمد، ٢٩/ ١٨١، برقم ١٧٦٣٤، وصححه محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٢٨٥٩، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٥٩٢، برقم ٢٣٤٨.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، برقم ٣٥.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١/ ٣٠، وتفسير الطبري، ١/ ١٧٥، وحلية الأولياء، ٢/ ٢١٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ١/ ٣٩ إلى عبد بن حميد، وَابْن جريج، وَابْن أبي حَاتِم، وَابْن عدي، وَابْن عَسَاكِر.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٢١.

(٥) المعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٩٩، برقم ١٠٤٥٤.

وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَقَدْ وُفِّقَ لِلْإِسْلَامِ، وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتِّبَاعِ مِنْهَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْهَاجِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَكُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ من الصراط المستقيم»[1].

فإن قيل: فكيف يَسْأَلُ الْمُؤْمِنُ الْهِدَايَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ صَلَاةٍ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ؟ فَهَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَحْصِيلِ الْحَاصِلِ أَمْ لَا؟

فَالْجَوَابُ: أَنْ لَا، وَلَوْلَا احْتِيَاجُهُ لَيْلًا وَنَهَارًا إِلَى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إِلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ مُفْتَقِرٌ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَحَالَةٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فِي تَثْبِيتِهِ عَلَى الْهِدَايَةِ، وَرُسُوخِهِ فِيهَا، وَتَبَصُّرِهِ، وَازْدِيَادِهِ مِنْهَا، وَاسْتِمْرَارِهِ عَلَيْهَا، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، فَأَرْشَدَهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ يَسْأَلَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ أَنْ يَمُدَّهُ بِالْمَعُونَةِ، وَالثَّبَاتِ، وَالتَّوْفِيقِ، فَالسَّعِيدُ من وفقه الله تعالى لسؤاله؛ فإنه قَدْ تَكَفَّلَ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِذَا دَعَاهُ، وَلَا سِيَّمَا الْمُضْطَرُّ الْمُحْتَاجُ الْمُفْتَقِرُ إِلَيْهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَأَطْرَافَ النَّهَارِ.

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ**﴾ [النساء: ١٣٦]، فَقَدْ أَمَرَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْإِيمَانِ، وَلَيْسَ ذلك من باب تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الثَّبَاتُ، وَالِاسْتِمْرَارُ، وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْأَعْمَالِ الْمُعِينَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ تَعَالَى آمِرًا لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقُولُوا: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ [آل عمران: ٨]، وَقَدْ كَانَ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه يَقْرَأُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ سِرًّا، فَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ اسْتَمِرَّ بِنَا عَلَيْهِ، وَلَا تعدل بنا إلى غيره»[2].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ أي: دُلَّنا، وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق، والعمل به، فاهدنا إلى الصراط، واهدنا في

---

(١) تفسير الطبري، ١/ ١٧١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢١٧.

الصراط، فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية، وأنفعها للعبد؛ ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو اللَّه به في كل ركعة من صلاته؛ لضرورته إلى ذلك»[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: «الصراط» فيه قراءتان: بالسين: «السراط»، وبالصاد الخالصة: «الصراط»، والمراد بـ«الصراط» الطريق؛ والمراد بـ«الهداية» هداية الإرشاد، وهداية التوفيق؛ فأنت بقولك: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تسأل اللَّه تعالى علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، و«المستقيم» أي: الذي لا اعوجاج فيه»[(٢)].

٧- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾،

قَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِيمَا إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إِلَى آخِرِهَا أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» وقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مُفَسِّرٌ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ بَدَلٌ مِنْهُ عِنْدَ النُّحَاةِ، وَيَجُوزُ أَنْ يكون عطف بيان، واللَّه أعلم، والذين أنعم اللَّه عَلَيْهِمْ هُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ؛ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ [النساء: ٦٩- ٧٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَرَأَ الْجُمْهُورُ (غَيْرِ) بِالْجَرِّ على النعت، يعْنِي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مِمَّنْ تَقَدَّمَ وَصْفُهُمْ وَنَعْتُهُمْ، وَهُمْ: أَهْلُ الْهِدَايَةِ، وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَتَرْكِ نَوَاهِيهِ، وَزَوَاجِرِهِ غَيْرِ صراط المغضوب عليهم، وهم الَّذِينَ فَسَدَتْ إِرَادَتُهُمْ، فَعَلِمُوا الْحَقَّ، وَعَدَلُوا عَنْهُ، وَلَا صِرَاطِ الضَّالِّينَ، وَهُمُ الَّذِينَ فَقَدُوا الْعِلْمَ، فَهُمْ هَائِمُونَ فِي الضَّلَالَةِ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الحق، وأكد الكلام بـ(لا) لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ ثَمَّ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٧.

(٢) تفسير الفاتحة لابن عثيمين، ص ١٧.

مَسْلَكَيْنِ فَاسِدَيْنِ، وَهُمَا طَرِيقَتَا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وجِيءَ بِـ(لَا) لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، لِئَلَّا يُتَوَهَّمَ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عليهم، وللفرق بين الطريقتين لتجتنب كُلٌّ مِنْهُمَا، فَإِنَّ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالْيَهُودُ فَقَدُوا الْعَمَلَ، وَالنَّصَارَى فَقَدُوا الْعِلْمَ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْغَضَبُ لِلْيَهُودِ، وَالضَّلَالُ لِلنَّصَارَى؛ لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ وَتَرَكَ استحق الغضب، بخلاف مَنْ لَمْ يَعْلَمْ، وَالنَّصَارَى لَمَّا كَانُوا قَاصِدِينَ شَيْئًا، لَكِنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ الْحَقِّ، ضَلُّوا، وَكُلٌّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، لَكِنَّ أَخَصَّ أَوْصَافِ الْيَهُودِ الغضب، كما قال تعالى عنهم: ﴿**مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ**﴾ [الْمَائِدَة: ٦٠]، وَأَخَصُّ أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿**قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ**﴾ [الْمَائِدَة: ٧٧].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾ هُمُ الْيَهُودُ، وَلَا الضَّالِّينَ هُمُ النَّصَارَى.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**﴾ هم اليهود، ﴿**ولا الضالين**﴾: النَّصَارَى، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَلَا أَعْلَمُ بَيْنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي هَذَا اخْتِلَافًا[1].

وقال **الإمام ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا، ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا، ففيه شبه من النصارى، فمن تعبّد على الجهالة، أشبه النصارى، ومن خالف العلم أشبه اليهود، فهذا يكون له نصيبه من الغضب، وهذا يكون له نصيب من الضلال، نسأل اللَّه العافية»[2].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالصَّحِيحُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ يُغْتَفَرُ الْإِخْلَالُ بِتَحْرِيرِ مَا بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ؛ لِقُرْبِ مخرجيهما، وذلك أن الضاد مخرجها مِنْ أَوَّلِ حَافَّةِ اللِّسَانِ، وَمَا يَلِيهَا مِنَ الْأَضْرَاسِ، وَمَخْرَجُ الظَّاءِ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ، وَأَطْرَافِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا؛ وَلِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْحَرْفَيْنِ مِنَ الْحُرُوفِ

---

(١) تفسير ا كثير، ١/ ٢٢٨.

(٢) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة من تفسير ابن كثير، ص ١٩٩.

الْمَجْهُورَةِ، وَمِنَ الْحُرُوفِ الرِّخْوَةِ، وَمِنَ الْحُرُوفِ الْمُطْبَقَةِ؛ فَلِهَذَا كُلِّهِ اغْتُفِرَ اسْتِعْمَالُ أَحَدِهِمَا مَكَانَ الْآخَرِ لِمَنْ لَا يُمَيِّزُ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَأَمَّا حَدِيثُ: «أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ»، فلا أصل له، والله أعلم»[1].

وقال **الإمام ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كثير من الناس قد يتكلف في الضاد، والظاء، والمؤلف يبين أن الأمر في هذا واسع؛ لأن مخرجيهما متقارب، فيغتفر تحرير ذلك في غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فلا ينبغي التشديد في ذلك»[2].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ، وَهِيَ سَبْعُ آيَاتٍ، عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَعَلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ، وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ، وَعَلَى إِرْشَادِهِ عَبِيدَهُ إِلَى سُؤَالِهِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ، وقوتهم، وإلى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَتَوْحِيدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَنْزِيهِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، أَوْ نَظِيرٌ، أَوْ مُمَاثِلٌ، وَإِلَى سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ، وَتَثْبِيتَهُمْ عَلَيْهِ حتى يفضي بهم بذلك إِلَى جَوَازِ الصِّرَاطِ الْحِسِّيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي جِوَارِ النَّبِيِّينَ، والصديقين، والشهداء الصالحين، وَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لِيَكُونُوا مَعَ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَسَالِكِ الْبَاطِلِ؛ لِئَلَّا يُحْشَرُوا مَعَ سَالِكِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، وَالضَّالُّونَ، وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ إِسْنَادُ الْإِنْعَامِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وَحَذْفُ الْفَاعِلِ فِي الْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وَإِنْ كَانَ هُوَ الْفَاعِلَ لِذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المُجَادلَة: ١٤]، وَكَذَلِكَ إِسْنَادُ الضَّلَالِ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ بِقَدَرِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً﴾ [الكَهْف: ١٧]، وَقَالَ: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأَعْرَاف: ١٨٦] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْهِدَايَةِ، وَالْإِضْلَالِ، لَا كَمَا تقول الْفِرْقَةُ الْقَدَرِيَّةُ، وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ مِنْ أَنَّ العباد هم

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٢٨.

(٢) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة من تفسير ابن كثير، ص ٢٠١.

الذين يختارون ذلك، ويفعلون، وَيَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِمُتَشَابِهٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَتْرُكُونَ ما يكون فيه صريحاً فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»[1]، يَعْنِي فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ**﴾ [آل عمران: ٧]، فَلَيْسَ، بِحَمْدِ اللَّهِ، لِمُبْتَدِعٍ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ صَحِيحَةٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ لِيَفْصِلَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، مُفَرِّقًا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ، وَلَا اخْتِلَافٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»[2].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: «فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن، **فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة**: توحيد الربوبية، يؤخذ من قوله: ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، وتوحيد الإلهية، وهو إفراد اللَّه بالعبادة، يؤخذ من لفظ: ﴿**اللَّهِ**﴾، ومن قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال للَّه تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ ﴿**الْحَمْدُ**﴾ كما تقدم، وتضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾؛ لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة، وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾، وأن الجزاء يكون بالعدل؛ لأن الدين معناه الجزاء بالعدل، وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافاً للقدرية والجبرية، بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع، والضلال في قوله: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾؛ لأنه معرفة الحق، والعمل به، وكل مبتدع، وضال، فهو مخالف لذلك.

وتضمنت إخلاص الدين للَّه تعالى، عبادةً، واستعانة في قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، فالحمد للَّه رب العالمين»[3].

ويستحب لمن يقرأ الْفَاتِحَةَ أَنْ يَقُولَ بَعْدَهَا آمِينَ، مِثْلَ يس، ويقال: أمين

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٥٤٧، ومسلم، برقم ٢٦٦٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٢٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٨.

بالقصر أيضاً، ومعناه: اللهم استجب، والدليل على استحباب التأمين حديث وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَقَالَ آمِينَ مَدَّ بِهَا صَوْتَهُ، وَلِأَبِي دَاوُدَ: رَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَلَا غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ: آمِينَ، حَتَّى يُسْمِعَ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الصَّفِّ الْأَوَّلِ**»[(٢)].

وَيُسْتَحَبُّ ذَلِكَ لِمَنْ هُوَ خَارِجُ الصَّلَاةِ، وَيَتَأَكَّدُ فِي حَقِّ الْمُصَلِّي، وَسَوَاءٌ كَانَ مُنْفَرِدًا، أَوْ إِمَامًا، أَوْ مَأْمُومًا، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٣)]، وَلِمُسْلِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ آمِينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٤)].

قِيلَ: بِمَعْنَى مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ فِي الزَّمَانِ، وَقِيلَ: فِي الْإِجَابَةِ، وَقِيلَ: فِي صِفَةِ الْإِخْلَاصِ.

وقال **الإمام ابن باز** رحمه الله: «والصواب...أنه الزمان، فإذا توافقا في الزمان، صار هذا من أسباب المغفرة»[(٥)].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعًا: «**وَإِذْ قَالَ** ﴿**غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ [الفاتحة: ٧]، **فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللهُ**»[(٦)].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْيَهُودُ فَقَالَ: «**إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ، كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا، وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا، وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ**

---

(١) مسند أحمد، ٣١/ ١٤٦، برقم ١٨٨٥٤، وصححه محققو المسند، وسنن أبي داود، برقم ٩٧٢، وسنن الترمذي، برقم ٢٤٨، وسنن النسائي، ٩٣٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٨٦٣.

(٢) سنن أبي داود، ٩٣٤، وسنن ابن ماجه، ٨٥٣، وصححه الأرناؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ٢/ ١٩٦.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٧٨٠.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٤١٠.

(٥) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة من تفسير ابن كثير، ص ٢٠٧.

(٦) صحيح مسلم، برقم ٤٠٤.

الْإِمَامِ: آمِينَ»[1]، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَلَفْظُهُ: «مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»[2].

قال **الإمام ابن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصواب أن الكل يجهر: الإمام، والمأموم، يجهرون، وهكذا المنفرد إذا صلى وحده؛ كونه مريضاً أو فاتته الصلاة مع الجماعة في الجهرية»[3].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُلْتُ: وَمِنْ هُنَا نَزَعَ بَعْضُهُمْ فِي الدَّلَالَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَ مُوسى رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوالًا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا رَبَّنا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ * قالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما فَاسْتَقِيما وَلا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يُونُس: ٨٨- ٨٩]، فَذَكَرَ الدُّعَاءَ عَنْ مُوسَى وَحْدَهُ، وَمِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَارُونَ أَمَّنَ، فَنَزَلَ مَنْزِلَةَ مَنْ دَعَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما﴾، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مَنْ أَمَّنَ عَلَى دُعَاءٍ، فَكَأَنَّمَا قَالَهُ»[4][5].



---

(١) مسند أحمد، ٤١/ ٤٨١، برقم ٢٥٠٢٩، وصححه محققو المسند. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٤١، برقم ٥١٥.

(٢) سنن ابن ماجه، برقم ٨٥٦، وصححه محققو المسند. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٤١، برقم ٥١٥.

(٣) تعليقات ابن باز على تفسير الفاتحة من تفسير ابن كثير، ص ٢١٠.

(٤) تفسير ابن كثير، ١/ ٢٣٤.

(٥) حرر يوم الإثنين، ٢٨/ ١/ ١٤٣٩هـ.

٧٨- تَفْسِيرُ سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها:

١- ٢: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ أي: عن أي شيء يتساءلون؟ من أمر القيامة، وهو النبأ العظيم، يعني: الخبر الهائل المفظع الباهر.

قال قتادة، وابن زيد: النبأ العظيم: البعث بعد الموت، وقال مجاهد: هو القرآن، والأظهر الأول لقوله:

٣- ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ يعني: الناس فيه على قولين: مؤمن به وكافر.

ثم قال تعالى متوعدًا لمنكري القيامة:

٤- ٥- ﴿كَلا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ﴾، وهذا تهديدٌ شديد، ووعيد أكيد[(١)].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: كَلَّا: نَفْيٌ، يقول: هِمْ، سَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ، حِينَ تَنْكَشِفُ الْأُمُورُ، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: وَعِيدٌ لَهُمْ عَلَى إِثْرِ وَعِيدٍ»[(٢)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، أي: إذا نزل بهم العذاب، ما كانوا به يكذبون، حين يُدعّون إلى نار جهنم دعًّا»[(٣)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون﴾، والجملة الثانية توكيدٌ للأولى من حيث المعنى، وإن كانت ليست توكيداً باعتبار اصطلاح النحويين؛ لأنه فُصل بينها وبين التي قبلها بحرف العطف، والتوكيد لا يُفصل بينه

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٧.

(٢) تفسير الإمام البغوي، ٤/ ٤٣٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٦٩.

وبين مؤكِّدِه بشيء من الحروف، والمراد بالعلم الذي توعدهم الله به هو علم اليقين الذي يشاهدونه على حسب ما أخبروا به»[1].

ثُمَّ شَرَعَ تَعَالَى يُبَيِّن قُدْرَته الْعَظِيمَة عَلَى خَلْق الْأَشْيَاء الْغَرِيبَة، وَالْأُمُور الْعَجِيبَة، الدَّالَّة عَلَى قُدْرَته عَلَى مَا يَشَاء مِنْ أَمْر الْمَعَاد، وَغَيْره، فَقَالَ:

٦- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا﴾؟ أَيْ: مُمَهَّدَة لِلْخَلَائِق، ذَلُولًا لَهُمْ، قَارَّة سَاكِنَة ثَابِتَة.

٧- ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾، أَيْ: جَعَلَهَا لَهَا أَوْتَادًا، أَرْسَاهَا بِهَا، وَثَبَّتَهَا، وَقَرَّرَهَا حَتَّى سَكَنَتْ، وَلَمْ تَضْطَرِب بِمَنْ عَلَيْهَا، ثم قال:

٨- ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾، يَعْنِي: ذَكَرًا وَأُنْثَى، يَسْتَمْتِعُ كُلٌّ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ، وَيَحْصُل التَّنَاسُل بِذَلِكَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

٩- ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾، أَيْ: قَطْعًا لِلْحَرَكَةِ؛ لتَحْصلَ الرَّاحَةُ مِنْ كَثْرَةِ التَّرْدَادِ، والسعي فِي الْمَعَايِشِ فِي عَرْضِ النَّهَارِ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي «سُورَةِ الْفُرْقَانِ» قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

١٠- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أَيْ: يَغْشَى النَّاسَ ظَلَامُهُ وَسَوَادُهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشَّمْس: ٤].

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾، أَيْ: سَكَنًا[2].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: غِطَاءً، وَغِشَاءً يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِظُلْمَتِهِ»[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ أي: جعل الله هذا الليل على الأرض بمنزلة اللباس، كأن الأرض تلبسه، ويكون جلباباً لها، وهذا لا يعرفه تمام المعرفة إلا من صعد فوق ظل الأرض، وقد رأينا ذلك

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٧.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٣٧.

من الآيات العجيبة، إذا صعدت في الطائرة، وارتفعت، وقد غابت الشمس عن سطح الأرض، ثم تبينت لك الشمس بعد أن ترتفع تجد الأرض، وكأنما كسيت بلباس أسود، لا ترى شيئاً من الأرض كله سواد من تحتك»[1].

١١- ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾، أَيْ: جَعَلْنَاهُ مُشْرِقًا مُنِيرًا مُضِيئًا؛ لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ، وَالذَّهَابِ وَالْمَجِيءِ لِلْمَعَاشِ وَالتَّكَسُّبِ وَالتِّجَارَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

١٢- ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يَعْنِي: السموات السَّبْعَ، فِي اتِّسَاعِهَا وَارْتِفَاعِهَا، وَإِحْكَامِهَا وَإِتْقَانِهَا، وَتَزْيِينِهَا بِالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِتِ وَالسَّيَّارَاتِ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

١٣- ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، يَعْنِي: الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ الَّتِي يَتَوَهَّجُ ضَوْؤُهَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ[2].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ يَعْنِي الشَّمْسَ، ﴿وَهَّاجًا﴾ مُضِيئًا مُنِيرًا، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْوَهَّاجُ: الْوَقَّادُ، وقَالَ مُقَاتِلٌ: جَعَلَ فِيهِ نُورًا وَحَرَارَةً، وَالْوَهَجُ يَجْمَعُ النُّورَ وَالْحَرَارَةَ»[3].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالوهاج الذي فيه الحرارة على حرارتها، وما فيها من المصالح»[4].

١٤- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾، قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾: الرِّيحُ.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، قَالَ: الرِّيَاحُ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: إِنَّهَا الرِّيَاحُ، وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهَا تَسْتَدِرُّ الْمَطَرَ مِنَ السَّحَابِ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، أَيْ: مِنَ السَّحَابِ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ أَيْضًا، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالثَّوْرِيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٧.
(٣) تفسير الإمام البغوي، ٤/ ٤٣٧.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٦٩.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: هِيَ السَّحَابُ الَّتِي تَتَحَلَّب بِالْمَطَرِ وَلَمْ تُمطر بعدُ، كَمَا يُقَالُ: امْرَأَةٌ مُعْصِرٌ، إِذَا دَنَا حَيْضُهَا، وَلَمْ تَحِضْ.

وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُعْصِرَاتِ: السَّحَابُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ**﴾ [الرُّوم: ٤٨]، أَيْ: مِنْ بَيْنِهِ[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، أي: السحاب ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ أي: كثيراً جداً، ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ من بر، وشعير، وذرة، وأرز، وغير ذلك مما يأكله الآدميون، ﴿وَنَبَاتًا﴾ يشمل سائر النبات، الذي جعله اللَّه قوتاً لمواشيهم، ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة، فالذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به، وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه، وتجحدونها؟»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وأنزلنا من المعصرات﴾ يعني من السحاب، ووصفها اللَّه بأنها معصرات، كأنما تعصر هذا المطر عند نزوله عصراً، كما يعصر الثوب، فإن هذا الماء يتخلل هذا السحاب، ويخرج منه كما يخرج الماء من الثوب المعصور»[٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: ﴿ثَجَّاجًا﴾: مُنْصَبًّا، وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: مُتَتَابِعًا، وَقَالَ ابن زيد: كثيرًا[٤].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: «وَلَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فِي صِفَةِ الْكَثْرَةِ الثَّجُّ، وَإِنَّمَا الثَّجُّ: الصَّبُّ الْمُتَتَابِعُ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**أفضلُ الْحجّ الْعَجُّ وَالثَّجُّ**»[٥]، يَعْنِي: صَبّ دِمَاءِ الْبُدْنِ، هَكَذَا قَالَ. قُلْتُ: وَفِي حَدِيثِ الْمُسْتَحَاضَةِ[٦] حِينَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٦٩.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٩.

(٥) الترمذي، برقم ٨٢٧، والدارمي برقم ١٨٣٨، وابن خزيمة، برقم ٢٦٣١، وصححه الألباني بشواهده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٥٠٠.

(٦) انظر: مسند الإمام أحمد، برقم ٢٧٤٧٤، وأبا داود، برقم ٢٨٧، وابن ماجه، برقم ٦٢٢، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٩٣.

قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْعَتُ لَكِ الكُرْسُفَ»، يَعْنِي: أَنْ تَحْتَشِيَ بِالْقُطْنِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّمَا أَثُجُّ ثَجًّا، وَهَذَا فِيهِ دَلالَة عَلَى اسْتِعْمَالِ الثَّج فِي الصَّبِّ الْمُتَتَابِعِ الْكَثِيرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[1].

١٥- ١٦- ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾، أَيْ: لنخرجَ بِهَذَا الْمَاءِ الْكَثِيرِ الطَّيِّبِ النَّافِعِ المُبَارَك ﴿حَبًّا﴾ يُدَّخَرُ لِلْأَنَاسِيِّ وَالْأَنْعَامِ، ﴿وَنَبَاتًا﴾، أَيْ: خَضِرًا يُؤْكَلُ رَطْبًا، ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ أَيْ: بَسَاتِينَ وحدائق مِنْ ثَمَرَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، وطَعُومٍ، وَرَوَائِحَ مُتَفَاوِتَةٍ، وَإِنْ كَانَ ذَلكَ فِي بُقْعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مُجْتَمَعًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُ: ﴿أَلْفَافًا﴾ مُجْتَمِعَةً، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ الْآيَةَ [الرَّعْد:٤][2].

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا (٣٠)﴾.

١٧- يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَوْمِ الْفَصْلِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَنَّهُ مُؤَقَّتٌ بِأَجَلٍ مَعْدُودٍ، لَا يُزَادُ عَلَيْهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَلَا يَعْلَمُ وَقْتَهُ عَلَى التَّعْيِينِ إِلَّا اللَّهُ ﷻ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ [هُود:١٠٤].

١٨- ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: زُمَرًا، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ رَسُولِهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإِسْرَاء:٧١].

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ١٥٥.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٩.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**»، قَالُوا: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: «**أبيتُ**»، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: «**أَبَيْتُ**»، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «**أَبَيْتُ**»، قَالَ: «**ثُمَّ يُنزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فينبتُونَ كَمَا ينبتُ البقلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شيءٌ إِلَّا يَبلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذنَب، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يوم الْقِيَامَةِ**»[١].

قال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا**﴾ والنافخ الموكل فيها إسرافيل، ينفخ فيها نفختين: الأولى: يفزع الناس، ثم يصعقون، فيموتون، والثانية: يبعثون من قبورهم، وتعود إليهم أرواحهم، ولهذا قال هنا: «﴿**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا**﴾، وفي الآية إيجاز بالحذف، أي: فتحيون فتأتون أفواجاً؛ فوجاً مع فوج، أو يتلو فوجاً، وهذه الأفواج، والله أعلم، بحسب الأمم كل أمة تدعى إلى كتابها لتحاسب عليه، فيأتي الناس أفواجاً في هذا الموقف العظيم الذي تسوى فيه الأرض، فيذرها الله عَزَّ وَجَلَّ قاعاً صفصفاً، لا ترى فيها عوجاً، ولا أمتاً»[٢].

١٩- ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾، أَيْ: طُرُقًا وَمَسَالِكَ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ.

٢٠- ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾ [النَّمل:٨٨]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**﴾ [القَارِعَة:٥].

وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿**فَكَانَتْ سَرَابًا**﴾ أَيْ: يُخَيَّلُ إِلَى النَّاظِرِ أَنَّهَا شَيْءٌ، وَلَيْسَتْ بِشَيْءٍ، بَعْدَ هَذَا تَذهب بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ، كَمَا قَالَ: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا**﴾[طه:١٠٥-١٠٧]، وقال: ﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً**﴾ [الكَهْف:٤٧].

٢١- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أَيْ: مُرْصَدَةً مُعَدَّة.

٢٢- ﴿لِلطَّاغِينَ﴾، وَهُمُ: المَرَدة الْعُصَاةُ، الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، ﴿**مَآبًا**﴾، أَيْ: مَرْجِعًا، وَمُنْقَلَبًا، وَمَصِيرًا، وَنُزُلًا، وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا**﴾ يَعْنِي: أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ حَتَّى يَجْتَازَ بِالنَّارِ، فَإِنْ كَانَ

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٣٥.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين: (ص: ٢٦).

مَعَهُ جَوَازٌ نَجَا، وَإِلَّا احْتَبَسَ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: عَلَيْهَا ثَلَاثُ قَنَاطِرَ.

٢٣- ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، أَيْ: مَاكِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا، وَهِيَ جَمْعُ: حقُب، وَهُوَ: الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَانِ، وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِهِ، فَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لِهِلَالٍ الهَجَرِي: مَا تجدونَ الحُقْبَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمُنَزَّلِ؟ قَالَ: نَجِدُهُ ثَمَانِينَ سَنَةً، كُلُّ سَنَةٍ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، كُلُّ شَهْرٍ ثَلَاثُونَ يَوْمًا، كُلُّ يَوْمٍ أَلْفَ سَنَةٍ[١].

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيرة[٢]، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو[٣]، وَابْنِ عَبَّاسٍ[٤]، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ، وعمرو بْنِ مَيْمُونٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَالضَّحَّاكِ، وقَالَ خالد بن معدان: وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا لَا انْقِضَاءَ لَهَا، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وسئِلَ الْحَسَنُ عَنْ قَوْلِهِ: **﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾**، قَالَ: أَمَّا الْأَحْقَابُ فَلَيْسَ لَهَا عِدّة إِلَّا الْخُلُودَ فِي النَّارِ[٥].

قال **الإمام البغوي** رحمه الله: «قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِأَهْلِ النَّارِ مُدَّةً، بَلْ قَالَ: لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً، فو اللَّه مَا هُوَ إِلَّا إِذَا مَضَى حِقَبٌ، دَخَلَ آخَرُ، ثُمَّ آخَرُ إِلَى الْأَبَدِ، فَلَيْسَ لِلْأَحْقَابِ عِدَّةٌ إِلَّا الْخُلُودُ»[٦].

وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾**، وَهُوَ: مَا لَا انْقِطَاعَ لَهُ، كُلَّمَا مَضَى حُقب جَاءَ حُقْبٌ بَعْدَهُ[٧].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «**﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾**، أي: باقين فيها، **﴿أحقاباً﴾** أي: مدداً طويلة، وقد دلّ القرآن الكريم على أن هذه المُدد لا نهاية لها، وأنها مُدد أبديّة، كما جاء ذلك مصرحاً به في ثلاث آيات من كتاب اللَّه في سورة النساء، في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾** [النساء: ١٦٨-١٦٩]، وفي

(١) أخرجه الطبري، ٢٠/ ١١، وهناد في الزهد، برقم ٢٢٠ من طريق سفيان به.
(٢) أخرجه الطبري ١١/ ٣٠، وهناد في الزهد، برقم ٢١٩ كلاهما من حديث أبي هريرة بنحوه، وزاد السيوطي، ٦/ ٥٠٢ نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر، ٦/ ٥٠٣.
(٤) أخرجه الطبري، ٣٠/ ١١.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣١.
(٦) تفسير البغوي، ٤/ ٤٣٨.
(٧) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣١.

سورة الأحزاب ﴿**إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥]. وفي سورة الجن في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ [الجن: ٢٣].

فإذا كان اللَّه تعالى صرح في ثلاث آيات من كتابه بأن أصحاب النار مخلدون فيها أبداً، فإنه يلزم أن تكون النار باقيةً أبد الآبدين، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، إن النار والجنة مخلوقتان، ولا تفنيان أبداً، ووجد خلاف يسير من بعض أهل السنة في أبدية النار، وزعموا أنها غير مؤبدة، واستدلوا بحجج هي في الحقيقة شُبَهٌ لا دلالة فيها لما ذهبوا إليه، وإذا قورنت بالأدلة الأخرى، تبيّن أنه لا معوّل على المخالف فيه، ولا على قوله، والواجب على المؤمن أن يعتقد ما دلّ عليه كتاب اللَّه دلالة صريحة، لا تحتمل التأويل، والآيات الثلاث التي ذكرناها كلها آيات محكمة، لا يتطرّق إليها النسخ، ولا يتطرّق إليها الاحتمال، أما عدم تطرّق النسخ إليها؛ فلأنها خبر، وأخبار اللَّه ﷻ لا تنسخ، وكذلك أخبار رسوله ﷺ، لأن نسخ أحد الخبرين بالآخر، يستلزم كذب أحد الخبرين، إما تعمداً من المخبر، أو جهلاً بالحال، وكل ذلك ممتنع في خبر اللَّه، وخبر رسوله ﷺ، المبني على الوحي، وأما عدم تطرق الاحتمال، فللتصريح بالأبدية في الآيات الثلاث، والمهم أنه يجب علينا أن نعتقد شيئين:

الشيء الأول: وجود الجنة والنار الآن، وأدلة ذلك من القرآن والسنة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]، والإعداد التهيئة، وهذا الفعل «أعدت» فعل ماضٍ، يدل على أن الإعداد قد وقع، وكذلك قال اللَّه تعالى في النار: ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣١]، والإعداد تهيئة الشيء، والفعل هنا ماضٍ يدل على الوقوع، وقد جاءت السنة صريحة في ذلك في أن النبي ﷺ رأى الجنة ورأى النار.

الشيء الثاني: اعتقاد أنهما داران أبديتان، من دخلهما وهو من أهلهما؛ فإنه يكون فيهما أبداً، أما الجنة، فمن دخلها لا يخرج منها، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر: ٤٨]، وأما النار فإن عصاة المؤمنين يدخلون فيها ما شاء اللَّه أن يبقوا فيها، ثم يكون مآلهم الجنة، كما شهدت بذلك الأخبار

الصحيحة عن رسول الله ﷺ، فقوله تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾، لا تدل بأي حال من الأحوال على أن هذه الأحقاب مؤمدة، يعني: إلى أمدٍ، ثم تنتهي، بل المعنى: أحقاباً كثيرة لا نهاية لها»[١].

٢٤- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا﴾ أَيْ: لَا يَجِدُونَ فِي جَهَنَّم بَرْدًا لِقُلُوبِهِمْ، وَلَا شَرَابًا طَيِّبًا يَتَغَذَّوْنَ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٢٥- ﴿إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَثْنَى مِنَ الْبَرْدِ الْحَمِيمَ، وَمِنَ الشَّرَابِ الْغَسَاقَ، وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

فَأَمَّا الْحَمِيمُ: فَهُوَ الْحَارُّ الَّذِي قَدِ انْتَهَى حَرُّهُ وحُموّه، والغَسَّاق: هُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ، وَعَرَقِهِمْ، وَدُمُوعِهِمْ، وَجُرُوحِهِمْ، فَهُوَ بَارِدٌ لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ بَرْدِهِ، وَلَا يُوَاجَهُ مَنْ نَتَنِهِ[٢].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾، يَعْنِي: النَّوْمَ. وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ، عَنْ مُرَّةَ الطَّيِّبِ، وَنَقَلَهُ عَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا، وَحَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيدة، وَالْكِسَائِيُّ أَيْضًا[٣].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا﴾: نفى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم البرد الذي تبرد به ظواهر أبدانهم، والشراب الذي تبرد به أجوافهم، ذلك لأنهم والعياذ بالله إذا عطشوا، واستغاثوا كانوا كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وهل الماء الذي كالمهل، وإذا قرب من الوجه شوى الوجه، هل ينتفع به صاحبه؟ الجواب استمع قول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، أما في ظاهر الجسم، فقد قال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧ - ٤٨]، وقال تعالى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٧- ٢٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٢٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٣.

وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ١٩، ٢٠]، ما في بطونهم الأمعاء، وهي باطن الجسم، فمن كان كذلك؛ فإنهم لا يذوقون فيها برداً، ولا شراباً يطفئ حرارة بطونهم، ومن تدبّر ما في القرآن والسنة من الوعيد الشديد لأهل النار؛ فإنه كما قال السلف: «عجبت للنار كيف ينام هاربها، وعجبت للجنة كيف ينام طالبها»، إننا لو قال لنا قائل: إن لكم في أقصى الدنيا قصوراً، وأنهاراً، وزوجات، وفاكهة لا تنقطع عنا، ولا نقطع دونها، بل هي إلى أبد الآبدين، لكنا نسير على أهداب أعيننا ليلاً ونهاراً لنصل إلى هذه الجنة التي بها هذا النعيم العظيم، والتي نعيمها دائم لا يقطع، وشباب ساكنها دائم لا يهرم، وصحته دائمة ليس فيها سقم، وانظروا إلى الناس اليوم يذهبون إلى مشارق الأرض ومغاربها؛ لينالوا درهماً او ديناراً، قد يتمتعون بذلك، وقد لا يتمتعون به، فما بالنا نقف هذا الموقف من طلب الجنة، وهذا الموقف من الهرب من النار، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار، وأن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة»[1].

٢٦- وقوله: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾،أَيْ: هَذَا الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ وَفق أَعْمَالِهِمُ الْفَاسِدَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

٢٧- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾، أَيْ: لَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ثَمَّ دَارًا يُجَازَوْنَ فِيهَا وَيُحَاسَبُونَ.

٢٨- ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾، أَيْ: وَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ، وَدَلَائِلِهِ عَلَى خَلْقِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، فَيُقَابِلُونَهَا بِالتَّكْذِيبِ وَالْمُعَانَدَةِ.

وقوله: ﴿كِذَّابًا﴾، أَيْ: تَكْذِيبًا، وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ غَيْرِ الْفِعْلِ، قَالُوا: وَقَدْ سُمع أَعْرَابِيٌّ يَسْتَفْتِي الْفَرّاءَ عَلَى الْمَرْوَةِ: الحلقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوِ الْقِصَّار؟.

٢٩-﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾، أَيْ: وَقَدْ عَلِمنا أعمالَ العباد كلهم، وكتبناها عَلَيْهِمْ، وَسَنَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

٣٠- ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، أَيْ: يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ: ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا مِنْ جنسه، ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [ص: ٥٨].

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩- ٣٠.

قَالَ قَتَادَةُ: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَزْدِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: لَمْ يَنْزِلْ عَلَى أَهْلِ النَّارِ آيَةٌ أَشَدُّ مِنْ هَذِهِ: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا﴾، قَالَ: فَهُمْ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا[1].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا(٣٦)﴾.

يقول تعالى مخبراً عن السعداء، وما أعدَّ لهم تعالى: من الكرامة، والنعيم المقيم، فقال:

٣١- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ: مُتَنَزَّهًا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: فَازُوا، فَنَجَوْا مِنَ النَّارِ، والأظهر هاهنا قولُ بن عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ:

٣٢-٣٣- ﴿حَدَائِقَ﴾، وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنَ النَّخِيلِ وَغَيْرِهَا[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ المتقون: هم الذين اتقوا عقاب اللَّه، وذلك بفعل أوامر اللَّه، واجتناب نواهيه، وأحياناً يأمر اللَّه بتقواه، وأحياناً يأمر بتقوى يوم الحساب، وأحياناً يأمر بتقوى النار، قال اللَّه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ﴾ [آل عمران: ١٣٠- ١٣١]، فجمع بين الأمر بتقواه، والأمر بتقوى النار، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فأمر بتقوى يوم الحساب، وكل هذا يدور على معنى واحد، وهو: أن يتقي الإنسان محارم ربه، فيقوم بطاعته، وينتهي عن معصيته، فالمتقون هم الذين قاموا بأوامر اللَّه، واجتنبوا نواهي اللَّه، هؤلاء لهم ﴿مفازاً﴾، والمفاز هو مكان الفوز، وزمان الفوز أيضاً، فهم فائزون في أمكنتهم، وفائزون في أيامهم»[3].

﴿وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾، أَيْ: وَحُورًا كَوَاعِبَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: ﴿كَوَاعِبَ﴾، أَيْ: نَوَاهِدَ، يَعْنُونَ أَنْ ثُدُيَّهن نَوَاهِدَ، لَمْ يَتَدَلَّيْنَ؛ لِأَنَّهُنَّ أَبْكَارٌ، عُرُبٌ، أَتْرَابٌ، أَيْ: فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ فِي قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٦- ٣٧].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٤.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٤.

٣٤- ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَمْلُوءَةٌ مُتَتَابِعَةٌ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: صَافِيَةٌ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿دِهَاقًا﴾، الْمَلْأَى الْمُتْرَعَةُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هِيَ الْمُتَتَابِعَةُ.

٣٥- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطُّورِ: ٢٣]، أَيْ: لَيْسَ فِيهَا كَلَامٌ لَاغٍ، عَارٍ عَنِ الْفَائِدَةِ، وَلَا إِثْمٌ كَذِبٌ، بَلْ هِيَ دَارُ السَّلَامِ، وَكُلُّ ما فيها سالم من النقص.

٣٦- وَقَوْلُهُ: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾، أَيْ: هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ جَازَاهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَأَعْطَاهُمُوهُ، بِفَضْلِهِ ومَنِّه وَإِحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ، ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾، أَيْ: كَافِيًا وَافِرًا شَامِلًا كَثِيرًا، تَقُولُ الْعَرَبُ: أَعْطَانِي فَأَحْسَبَنِي، أَيْ: كَفَانِي، وَمِنْهُ: حَسْبِيَ اللَّهُ، أَيِ: اللَّهُ كَافِيَّ[1].

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا(٤٠)﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَنَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي شَمِلَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

٣٧- ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾، أَيْ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ابْتِدَاءِ مُخَاطَبَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٢٥٥]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ [هُودٍ: ١٠٥].

٣٨- ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالرُّوحِ هَاهُنَا، مَا هُوَ؟ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُمْ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ.

الثَّانِي: هُمْ بَنُو آدَمَ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هَذَا مِمَّا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَكْتُمُهُ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ خلق مِنْ خَلْقِ اللهِ، عَلَى صُور بَنِي آدَمَ، وَلَيْسُوا بِمَلَائِكَةٍ وَلَا

---
(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٥.

بِبَشَرٍ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ وَالْأَعْمَشُ.

الرَّابِعُ: هُوَ جِبْرِيلُ، قَالَهُ الشَّعْبِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَيُسْتَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ بِقَوْلِهِ: ﴿نزل بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشُّعَرَاءِ: ١٩٣- ١٩٤]، وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: الرُّوحُ: أَشْرَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الرَّبِّ ﷻ، وَصَاحِبُ الْوَحْيِ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ الْقُرْآنُ. قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الْآيَةَ [الشُّورَى: ٥٢] .

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِقَدْرِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾، قَالَ: هُوَ مَلَكٌ عَظِيمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَلَائِكَةِ خَلْقًا، والله تعالى أعلم[1].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ وهو جبريل عليه السلام الذي هو أشرف الملائكة»[2].

وقال في **أضواء البيان**: «وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ بِمِثْلِ هَذَا النَّصِّ أَنَّهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سلام﴾ [القدر: ٤- ٥]، فَفِيهِ عَطْفُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الرُّوحِ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ» [3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ وهو جبريل ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ أي: صفوفاً: صفًّا بعد صف؛ لأنه كما جاء في الحديث: «**تنزل ملائكة السماء الدنيا فتحيط بالخلق، ثم ملائكة السماء الثانية من ورائهم، ثم الثالثة والرابعة والخامسة**»[4]، وهكذا.. صفوفاً لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم سبحانه وتعالى؛ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: لا يتكلمون: ملائكة ولا غيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧١.

(٣) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ٩/ ١٦.

(٤) انظر مستدرك الحاكم، ٤/ ٦١٤، وصححه، وقال الذهبي: «إسناده قوي».

﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ بالكلام؛ فإنه يتكلم كما أُذن له، ﴿وَقَالَ صَوَاباً﴾ أي: قال قولاً صواباً، موافقاً لمرضات الله ﷻ، وذلك بالشفاعة، إذا أذن الله لأحد أن يشفع، شفع فيما أذِن له فيه على حسب ما أُذن له، ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ أي: ذلك الذي أخبرناكم عنه، هو اليوم الحق، والحق ضد الباطل، أي: الثابت الذي يقوم فيه الحق، ويقوم فيه العدل، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلاّ من أتى الله بقلب سليم، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ أي: من شاء عمل عملاً يؤوب به إلى الله، ويرجع به إلى الله، وذلك العمل الصالح الموافق لمرضاة الله تعالى، أي: مرجعاً يرضى به الله، ويرضى الله به عنه، وهذه المشيئة المطلقة هنا قيدتها آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩]، يعني: أننا لنا الخيار فيما نذهب إليه، لا أحد يكرهنا على شيء؛ لكن مع ذلك خيارنا، وإرادتنا، ومشيئتنا راجعة إلى الله ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وإنما بيّن الله ذلك في كتابه من أجل أن لا يعتمد الإنسان على نفسه، وعلى مشيئته، بل يعلم أنها مرتبطة بمشيئة الله، حتى يلجأ إلى الله في سؤال الهداية لما يحب، ويرضى، ولا يقول الإنسان: أنا حر، أريد ما شئت، وأتصرف كما شئت، نقول: الأمر كذلك؛ لكنك مربوط بإرادة الله ﷻ، فما نشاء من شيء إلا وقد شاءه الله من قبل»[1].

وقوله: ﴿إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بِإِذْنِهِ﴾ [هُود: ١٠٥]، وَكَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: «وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ»[2]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾، أَيْ: حَقًّا، وَمِنَ الْحَقِّ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، كَمَا قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ، وَعِكْرِمَةُ.

٣٩- ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، أَيِ: الْكَائِنُ لَا مَحَالَةَ، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾، أَيْ: مَرْجِعًا وَطَرِيقًا يَهْتَدِي إِلَيْهِ وَمَنْهَجًا يَمُرُّ بِهِ عَلَيْهِ.

٤٠- ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾، يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِتَأَكُّدِ وُقُوعِهِ صَارَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٦.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٧٤٣٧، وصحيح مسلم، برقم ١٨٢.

قَرِيبًا، لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: خوفناكم من عذاب قريب، وهو يوم القيامة، ويوم القيامة قريب، ولو بقيت الدنيا ملايين السنين فإنه قريب ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، فهذا العذاب الذي أنذرنا الله قريب، ليس بين الإنسان وبينه إلا أن يموت، والإنسان لا يدري متى يموت، قد يصبح ولا يمسي، أو يمسي ولا يصبح؛ ولهذا كان علينا أن نحزم في أعمالنا، وأن نستغل الفرصة قبل فوات الأوان، ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ المرء: أي كل امرئ ينظر ما قدمت يداه، ويكون بين يديه، ويعطى كتابه، ويقال: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]»[٢].

﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، أَيْ: يَعْرِضُ عَلَيْهِ جَمِيعَ أَعْمَالِهِ، خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الْكَهْفِ: ٤٩]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [الْقِيَامَةِ: ١٣].

﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، أَيْ: يَوَدُّ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا تُرَابًا، وَلَمْ يَكُنْ خُلِقَ، وَلَا خَرَجَ إِلَى الْوُجُودِ، وَذَلِكَ حِينَ عَايَنَ عَذَابَ اللَّهِ، وَنَظَرَ إِلَى أَعْمَالِهِ الْفَاسِدَةِ، قَدْ سُطِّرت عَلَيْهِ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ السَّفَرة، الْكِرَامِ الْبَرَرة.

وَقِيلَ: إِنَّمَا يَوَدُّ ذَلِكَ حِينَ يَحْكُمُ الله بين الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، فَيَفْصِلُ بَيْنَهَا بِحُكْمِهِ الْعَدْلِ الَّذِي لَا يَجُورُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقْتَصُّ لِلشَّاةِ الجمَّاء مِنَ الْقَرْنَاءِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْحُكْمِ بَيْنَهَا قَالَ لَهَا: كُونِي تُرَابًا، فتصير تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾، أَيْ: كُنْتُ حَيَوَانًا فَأَرْجِعُ إِلَى التُّرَابِ، وَقَدْ وَرَدَ مَعْنَى هَذَا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الْمَشْهُورِ[٣]، وَوَرَدَ فِيهِ آثَارٌ عَنْ أَبِي هُرَيرة، وَعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، وَغَيْرِهِمَا[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٦.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٧.

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، ص: ٣٢٥، والعظمة لأبي الشيخ الأصبهاني، ٣/ ٨٢٤، وقال الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: المغني عن حمل الأسفار، ص ١٨٩٨: «رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي التَّارِيخ وَأَبُو الشَّيْخ فِي كتاب العظمة من حَدِيث أبي هُرَيْرَة «إِن الله تبَارك وَتَعَالَى لما فرغ من خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض خلق الصُّور فَأَعْطَاهُ إِسْرَافيل فَهُوَ وَاضعه عَلَى فِيهِ شاخص ببصره إِلَى الْعَرْش يَنْتَظر مَتى يُؤمر» قَالَ البُخَارِيّ وَلم يَصح وَفِي رِوَايَة لأبي الشَّيْخ «مَا طرف صَاحب الصُّور مذ وكل بِهِ مستعد ينظر نَحْو الْعَرْش مَخَافَة أَن يُؤمر قبل أَن يرْتَد إِلَيْهِ طرفه كَأَن عَيْنَيْهِ كوكبان دريان»، وإسنادها جيد».

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٧.

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ**﴾ المرء: أي كل امرئ ينظر ما قدمت يداه، ويكون بين يديه، ويعطى كتابه، ويقال: ﴿**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء: ١٤]، ويقول الكافر من شدة ما يرى من الهول، وما يشاهده من العذاب: ﴿**يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**﴾ أي: ليتني لم أخلق، أو ليتني لم أبعث، أو إذا رأى البهائم التي يقضي الله بينها، ثم يقول: كوني تراباً، فتكون تراباً يتمنى أن يكون مثل البهائم، فقوله: ﴿**كُنْتُ تُرَابًا**﴾ تحتمل ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: يا ليتني كنت تراباً فلم أُخلق؛ لأن الإنسان خُلق من تراب.

المعنى الثاني: يا ليتني كنت ترابًا فلم أُبعث، يعني كنت ترابًا في أجواف القبور.

المعنى الثالث: أنه إذا رأى البهائم التي قضى الله بينها، وقال لها: كوني تراباً، فكانت تراباً، قال: ليتني كنت تراباً، أي: كما كانت هذه البهائم، والله أعلم، وإلى هنا تنتهي سورة النبأ، وفيها من المواعظ والحكم، وآيات الله عَزَّ وَجَلَّ ما يكون موجباً للإيقان، والإيمان، نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بكتابه، وأن يجعله موعظة لقلوبنا، وشفاء لما في صدورنا، إنه جواد كريم»[1].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٧- ٣٨.

٧٩- تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)﴾

١- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَأَبُو الضُّحَى، والسُّدي:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: الْمَلَائِكَةُ، يَعْنُونَ حِينَ تُنْزَعُ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِعُنف، فتُغرق فِي نَزْعِهَا، وَمَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسُهُولَةٍ، وَكَأَنَّمَا حَلَّته مِنْ نَشَاطٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

٢- ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾: هِيَ أَنْفُسُ الْكُفَّارِ، تُنزع ثُمَّ تُنشَط، ثُمَّ تَغْرَقُ فِي النَّارِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾: الْمَوْتُ، وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: هِيَ النُّجُومُ، وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾، وَ﴿النَّاشِطَاتِ﴾: هِيَ الْقِسِيُّ فِي الْقِتَالِ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ[1].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزعها، حتى تخرج الروح، فتجازى بعملها.

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ وهم الملائكة أيضاً، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو النشط يكون لأرواح المؤمنين، والنزع لأرواح الكفار»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧١.

وقال في **أضواء البيان**: «وَالَّذي يشهد لَهُ السِّيَاقِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى: هُوَ أَنَّهُمَا وَصْفَانِ مُتَقَابِلَانِ: الْأَوَّلُ: نَزْعٌ بِشِدَّةٍ، وَالْآخَرُ نَشَاطٌ بِخِفَّةٍ، فَيَكُونُ النَّزْعُ غَرْقًا لِأَرْوَاحِ الْكُفَّارِ، وَالنَّشْطُ بِخِفَّةٍ لِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ مُفَسَّرًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّ نَزْعِ أَرْوَاحِ الْكُفَّارِ: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ**﴾ الْآيَةَ [الأنعام: ٩٣]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [الأنفال: ٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[فصلت: ٣٠]»[1].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**والنازعات**﴾ يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار تنزعها ﴿**غرقا**﴾ أي: نزعاً بشدة، ﴿**وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا**﴾ يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين، تنشطها نشطاً: أي: تسلها برفق كالأنشوطة، والأنشوطة: الربط الذي يسمونه عندنا (التكة)، أو ما أشبه ذلك من الكلمات، يعني يكون ربطاً، بحيث إذا سللت أحد الطرفين، انفكت العقدة، وهذا ينحلُّ بسرعة وبسهولة، فهؤلاء الملائكة الموكلة بقبض أرواح المؤمنين تنشطها نشطاً، أي: تسلّها برفق، وسبب ذلك أن الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار إذا دعت الروح إلى الخروج، تناديها بأقبح الأوصاف، تقول الملائكة لروح الكافر: **اخرجي أيتها النفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، اخرجي إلى غضب الله**، فتنفر الروح لا تريد أن تخرج إلى هذا، وتتفرق في الجسد حتى يقبضوها بشدة، وينزعوها نزعاً يكاد يتمزق الجسد منها من شدة النزع، أما أرواح المؤمنين، جعلني الله وإياكم منهم، فإن الملائكة إذا نزلت لقبضها تبشرها: **اخرجي يا أيتها النفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب، اخرجي إلى رضوان الله**، فيهون عليها أن تفارق جسدها الذي ألفته، فتخرج

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٢٢.

بسهولة، ولهذا لما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ**»، قالت عائشة: يا رسول اللَّه: إنَّا لنكره الموت، فقال: «**ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشر برضوان اللَّه، وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء اللَّه، وأحب اللَّه لقاءه**»[(١)]؛ لأنه في تلك اللحظة يرى أنه سينتقل إلى دار أحسن من الدار التي فارقها، فيفرح كما يفرح أحدنا إذا قيل له: اخرج من بيت الطين إلى بيت المسلح: القصر المشيد الطيب، فيفرح فيحب لقاء اللَّه، والكافر، والعياذ باللَّه، بالعكس إذا بشر بالغضب والعذاب، فإنه يكره أن يموت، يكره لقاء اللَّه، فيكره اللَّه لقاءه»[(٢)].

٣- وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿**وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**﴾، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، ورُوِي عَنْ عَلِيٍّ، وَمُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ، وَأَبِي صَالِحٍ مثلُ ذَلِكَ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿**وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**﴾: الْمَوْتُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ، وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ: هِيَ السُّفُنُ[(٣)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هُمُ الْمَلَائِكَةُ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَ المؤمنين، يسلّونها سلًّا رَفِيقًا، ثُمَّ يَدَعُونَهَا حَتَّى تَسْتَرِيحَ كَالسَّابِحِ بِالشَّيْءِ فِي الْمَاءِ يَرْفُقُ بِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ يَنْزِلُونَ مِنَ السَّمَاءِ مُسْرِعِينَ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ يُقَالُ لَهُ: سَابِحٌ إِذَا أَسْرَعَ فِي جَرْيِهِ، وَقِيلَ: هِيَ خَيْلُ الْغُزَاةِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأَنْبِيَاءِ: ٣٣]»[(٤)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا**﴾ هي الملائكة تسبح بأمر اللَّه، أي: تسرع فيه، كما يسرع السابح في الماء، وكما قال تعالى عن الشمس، والقمر، والليل، والنهار: ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٣]، فالمعنى أنها تسبح بأمر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ على حسب ما أراد اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهم أي: الملائكة أقوى من الجن، والجن أقوى من البشر، انظر إلى قوله تعالى عن سليمان: ﴿**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا**

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٥٠٧، ومسلم، برقم ٢٦٨٤.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٩- ٤٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٨.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٢.

قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٨-٤٠]، يعني إذا مددت طرفك ثم رجعته، فقبل أن يرجع إليك آتيك به ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل: ٤٠] في الحال رآه مستقراً عنده ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، قال العلماء: إنه حملته الملائكة حتى جاءت به إلى سليمان من اليمن، وسليمان بالشام بلحظة، فدلّ هذا على أن قوة الملائكة أشد بكثير من قوة الجن، وقوة الجن أشد من بني آدم؛ لأنه لا يستطيع أحد من بني آدم أن يأتي بعرش ملكة سبأ من اليمن إلى الشام إلا مدة طويلة، فالحاصل أن الملائكة تسبح بأمر اللَّه عَزَّوَجَلَّ بما يأمرها به»[1].

٤- ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾، رُوِي عَنْ عَلِيٍّ، وَمَسْرُوقٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ؛ قَالَ الْحَسَنُ: سَبَقَتْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِهِ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ: الْمَوْتُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هِيَ الْخَيْلُ فِي سبيل اللَّه[2].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ ترجيحاً أنها الملائكة: «﴿فَالسَّابِقَاتِ﴾ لغيرها ﴿سَبْقًا﴾ فتبادر لأمر اللَّه، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل اللَّه حتى لا تسترقه»[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فالسابقات سبقاً﴾ أيضاً هي الملائكة تسبق إلى أمر اللَّه عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا كانت الملائكة أسبق إلى أمر اللَّه، وأقوم بأمر اللَّه من بني آدم، قال اللَّه تعالى في وصف ملائكة النار: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠]، فهم سباقون إلى أمر اللَّه عَزَّوَجَلَّ بما يأمرهم، لا يعصون اللَّه ما

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٤٠- ٤٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٩.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧١.

أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون؛ لقوتهم وقدرتهم على فعل أوامر الله ﷻ»[1].

٥- ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾، قَالَ عَلِيٌّ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالسُّدِّيُّ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، زَادَ الْحَسَنُ: تُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، يَعْنِي: بِأَمْرِ رَبِّهَا ﷻ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي هَذَا، وَلَمْ يَقْطَعِ ابْنُ جَرِيرٍ بِالْمُرَادِ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُ حَكَى فِي: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾: أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ، وَلَا أَثْبَتَ، وَلَا نَفَى[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ أيضاً وصف للملائكة تدبر الأمر، وهو واحد الأمور، يعني أمور الله ﷻ لها ملائكة تدبرها، حسب أمره، فجبرائيل موكل بالوحي، يتلقاه من الله، وينزل به على الرسل، وإسرافيل موكل بنفخ الصور الذي يكون عند يوم القيامة، ينفخ في الصور، فيفزع الناس، ويموتون، ثم ينفخ فيه أخرى، فيبعثون، وميكائيل موكل بالقطر، وبالمطر، والنبات، وملك الموت موكل بالأرواح، ومالك موكل بالنار، ورضوان موكل بالجنة، وعن اليمين، وعن الشمال قعيد موكل بالأعمال، وملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم، كلٌّ يدبر ما أمره الله ﷻ به، فهذه الأوصاف كلها أوصاف للملائكة على حسب أعمالهم، وأقسم الله ﷻ بالملائكة؛ لأنهم من خير المخلوقات، ولا يقسم الله ﷻ بشيء إلا وله شأن عظيم: إما في ذاته، وإما لكونه من آيات الله ﷻ»[3].

٦- ٧- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَا النَّفْخَتَانِ: الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ، وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: أَمَّا الْأُولَى -وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾، فَكَقَوْلِهِ جَلَّتْ عَظَمَتُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [المزمل: ١٤]، وَالثَّانِيَةُ، وَهِيَ الرَّادِفَةُ، فَهِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وعَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَاءَتِ

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٤١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٩.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٤٢.

الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: «إِذًا يَكْفِيكَ اللَّهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ»(١).

وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، مِنْ حَدِيثِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، بِإِسْنَادِهِ مِثْلِهِ، وَلَفْظُ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»(٢).

٨- ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي: خَائِفَةٌ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

٩- ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾، أَيْ: أَبْصَارُ أَصْحَابِهَا، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهَا؛ لِلْمُلَابَسَةِ، أَيْ: ذَلِيلَةٌ حَقِيرَةٌ؛ مِمَّا عَايَنَتْ مِنَ الْأَهْوَالِ.

١٠- ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾؟ يَعْنِي: مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ فِي إِنْكَارِ الْمَعَادِ، يَسْتَبْعِدُونَ وقوعَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَصِيرِ إِلَى الْحَافِرَةِ، وَهِيَ الْقُبُورُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَبَعْدَ تَمَزُّقِ أَجْسَادِهِمْ، وَتَفَتُّتِ عِظَامِهِمْ، وَنُخُورِهَا؛ وَلِهَذَا قَالُوا:

١١- ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾؟ وَقُرِئَ: «نَاخِرَةً».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: أَيُّ: بَالِيَةً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهُوَ الْعَظَمُ إِذَا بَلِيَ، ودَخَلت الرِّيحُ فِيهِ.

١٢- ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَالسُّدِّيِّ، وَقَتَادَةَ: ﴿الْحَافِرَةُ﴾: الْحَيَاةُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْحَافِرَةُ: النَّارُ، وَمَا أَكْثَرُ أَسْمَائِهَا! هِيَ النَّارُ، وَالْجَحِيمُ، وَسَقَرُ، وَجَهَنَّمُ، وَالْهَاوِيَةُ، وَالْحَافِرَةُ، وَلَظَى، والحُطَمة.

وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَئِنْ أَحْيَانَا اللَّهُ بعد أن نموت لنخسرن(٣).

---

(١) مسند أحمد، ٣٥/ ١٦٦، برقم ٢١٢٤٢، وحسنه محققو المسند، ومصنف ابن أبي شيبة، ٢/ ٢٥٣، برقم ٨٧٠٦، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٣٧، برقم ١٦٧١.

(٢) مسند أحمد، برقم ٢١٢٤١، وسنن الترمذي، برقم ٢٤٥٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، برقم ٣٥٧٨، وصححه، ووافقه الذهبي، والأحاديث المختارة: المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، برقم ١١٨٥، وحسّن إسناده، وحسّن إسناده أيضاً الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٩٥٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٠، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٣.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ**﴾: رَجْعَةٌ خَائِبَةٌ، يَعْنِي إِنْ رُدِدْنَا بَعْدَ الْمَوْتِ، لَنَخْسَرَنَّ بِمَا يُصِيبُنَا بَعْدَ الْمَوْتِ»[1].

١٣- ١٤- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾، أَيْ: فَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لَا مَثْنَوِيَّةَ فِيهِ، وَلَا تَأْكِيدَ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، وَهُوَ أَنْ يَأْمُرَ تَعَالَى إسرافيلَ فَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ نفخةَ الْبَعْثِ، فَإِذَا الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ قيامٌ بَيْنَ يَدَي الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُونَ، كَمَا قَالَ: ﴿**يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا**﴾ [الإسراء: ٥٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾ [القمر: ٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**﴾ [النحل: ٧٧].

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ**﴾ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: أَشَدُّ مَا يَكُونُ الرَّبُّ غَضَبًا عَلَى خَلْقِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُمْ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: زَجْرَةٌ مِنَ الْغَضَبِ، وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ: هِيَ النَّفْخَةُ الْآخِرَةُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿**فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ**﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿**بِالسَّاهِرَةِ**﴾: الْأَرْضُ كُلُّهَا، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو صَالِحٍ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿**بِالسَّاهِرَةِ**﴾: وَجْهُ الْأَرْضِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانُوا بِأَسْفَلِهَا، فَأُخْرِجُوا إِلَى أَعْلَاهَا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا الْأَرْضُ وَجْهُهَا الْأَعْلَى[2].

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ: ﴿**فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ**﴾ قَالَ: أَرْضٌ بَيْضَاءُ عَفْرَاءُ خَالِيَةٌ كَالْخُبْزَةِ النَّقِيِّ[3].

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: ﴿**فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ**﴾، وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وَيَقُولُ:

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤١.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور، ٦/ ٥١٢، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وبنحوه في الصحيحين وغيرهما بلفظ: عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ» قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ». صحيح البخاري، برقم ٦٥٢١، ومسلم، برقم ٢٧٩٠، وقد ربط البيهقي في شعب الإيمان، ١/ ٣١٥ بين الآية وهذا الحديث.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]: وَبَرَزَتِ الْأَرْضُ الَّتِي عَلَيْهَا الْجِبَالُ، وَهِيَ لَا تُعَدُّ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَهِيَ أَرْضٌ لَمْ يَعْمَلْ عَلَيْهَا خَطِيئَةٌ، وَلِمَ يهراق عَلَيْهَا دَمٌ.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى عليه السلام أَنَّهُ ابْتَعَثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَأَيَّدَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ، وَمَعَ هَذَا اسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ، حَتَّى أَخَذَهُ اللَّهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَكَذَلِكَ عَاقِبَةُ مَنْ خَالَفَكَ، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتَ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي آخِرِ الْقِصَّةِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾، فَقَوْلُهُ:

١٥- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾؟ أَيْ: هَلْ سَمِعْتَ بِخَبَرِهِ؟[1].

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ يَقُولُ: قَدْ جَاءَكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ مُوسَى»[2].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ وهذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقق وقوعه»[3].

١٦- ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾، أَيْ: كَلَّمَهُ نِدَاءٍ، ﴿بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ﴾، أَيِ: الْمُطَهَّرِ، ﴿طُوًى﴾، وَهُوَ اسْمُ الْوَادِي عَلَى الصَّحِيحِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ طه، فَقَالَ لَهُ:

١٧- ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، أَيْ: تَجَبَّرَ وَتَمَرَّدَ وَعَتَا.

١٨- ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾؟ أَيْ: قُلْ لَهُ هَلْ لَكَ أَنْ تُجِيبَ إِلَى

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٢.

طَرِيقَةٍ وَمَسْلَكٍ تَزكَّى بِهِ، أَيْ: تُسَلِّمُ وَتُطِيعُ.

١٩- ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾، أَيْ: أَدُلُّكَ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ، ﴿فَتَخْشَى﴾، أَيْ: فَيَصِيرُ قَلْبُكَ خَاضِعًا لَهُ، مُطِيعًا خَاشِيًا بَعْدَمَا كَانَ قَاسِيًا خَبِيثًا، بَعِيدًا مِنَ الْخَيْرِ.

٢٠- ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾، يَعْنِي: فَأَظْهَرَ لَهُ مُوسَى مَعَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْحَقِّ حُجَّةً قَوِيَّةً، وَدَلِيلًا وَاضِحًا عَلَى صِدْقِ مَا جَاءَهُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ[1].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾، وَهِيَ الْعَصَا وَالْيَدَ البيضاء»[2].

٢١- ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾، أَيْ: فَكَذَّبَ بِالْحَقِّ، وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ، وحاصله أَنَّهُ كَفر قلبه فَلَمْ يَنْفَعِلْ لِمُوسَى بِبَاطِنِهِ وَلَا بِظَاهِرِهِ، وعلمُهُ بِأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ أَنَّهُ حَقٌّ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ علمُ الْقَلْبِ، وَالْإِيمَانُ عَمَلُهُ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ لِلْحَقِّ، وَالْخُضُوعُ لَهُ.

٢٢- ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى﴾، أَيْ: فِي مُقَابَلَةِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ جَمعُهُ السَّحَرَةَ لِيُقَابِلُوا مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُعْجِزَةِ الْبَاهِرَةِ.

٢٣- ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾، أَيْ: فِي قَوْمِهِ[3].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿فَحَشَرَ﴾، فَجمَعَ قَوْمَهُ، وَجُنُودَهُ، ﴿فَنَادَى﴾، لَمَّا اجْتَمَعُوا»[4].

٢٤- ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ قَالَهَا فِرْعَوْنُ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] بِأَرْبَعِينَ سَنَةً.

٢٥- ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾، أَيْ: انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ انْتِقَامًا جَعَلَهُ بِهِ عِبْرَةً وَنَكَالًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْمُتَمَرِّدِينَ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [القصص: ٤١]، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ، أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾، أَيْ: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ كَلِمَتَاهُ الْأُولَى

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤١.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٢.

(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.

وَالثَّانِيَةُ، وَقِيلَ: كُفْرُهُ وَعِصْيَانُهُ، وَالصَّحِيحُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ الْأَوَّلُ[١].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولى﴾، قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: عَاقَبَهُ اللَّهُ فَجَعَلَهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأَوْلَى، أَيْ: فِي الدُّنْيَا بِالْغَرَقِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: أَرَادَ بِالْآخِرَةِ وَالْأُولَى كَلِمَتَيْ فِرْعَوْنَ: قَوْلَهُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى﴾، وَكَانَ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً»[٢]، [والصواب، إن شاء اللَّه، قول الحسن ومن معه، أي: في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالنار، كما صححه الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ قبل أسطر، واللَّه تعالى أعلم].

قال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿فأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأولَى﴾ أخذه اللَّه تعالى أخذ عزيز مقتدر، ﴿نكَالَ الآخِرَةِ وَالأولَى﴾ يعني: أنه نكّل به في الآخرة، وفي الأولى، فكان عبرة في زمنه، وعبرة فيما بعد زمنه إلى يوم القيامة، كل من قرأ كتاب اللَّه، وما صنع اللَّه بفرعون؛ فإنه يتخذ ذلك عبرة يعتبر به، وكيف أهلكه اللَّه مع هذا الملك العظيم، وهذا الجبروت، وهذا الطغيان، فصار أهون على اللَّه تعالى من كل هين»[٣].

٢٦- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾، أَيْ: لِمَنْ يَتَّعِظُ وَيَنْزَجِرُ[٤].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿إِنَّ فِي ذلِكَ﴾، الَّذِي فُعِلَ بِفِرْعَوْنَ حِينَ كَذَّبَ وَعَصَى ﴿لَعِبْرَةً﴾ لِعِظَةٌ، ﴿لِمَنْ يَخْشى﴾ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»[٥].

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٣)﴾.

يَقُولُ تَعَالَى مُحْتَجًّا عَلَى مُنْكِرِي الْبَعْثِ فِي إِعَادَةِ الْخَلْقِ بَعْدَ بَدْئِهِ:

٢٧- ﴿أَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾؟ يَعْنِي: بَلِ السماءُ أَشَدُّ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٤٩.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٢.

(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٤.

خَلْقًا مِنْكُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غَافِر: ٥٧]، وَقَالَ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، فَقَوْلُهُ: ﴿بَنَاهَا﴾ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

٢٨- ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾، أَيْ: جَعَلَهَا عَالِيَةَ الْبِنَاءِ، بَعِيدَةَ الْفَنَاءِ، مُسْتَوِيَةَ الْأَرْجَاءِ، مُكَلَّلَةً بِالْكَوَاكِبِ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ.

٢٩- ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾، أَيْ: جَعَلَ لَيْلَهَا مُظْلِمًا أَسْوَدَ حَالِكًا، وَنَهَارَهَا مُضِيئًا مُشْرِقًا نَيِّرًا وَاضِحًا.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَغْطَشَ لَيْلَهَا: أَظْلَمَهُ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَجَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ أَيْ: أَنَارَ نَهَارَهَا.

٣٠- ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾: فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

٣١- ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ: «حم السَّجْدَةِ» أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا دُحِيت بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَخْرَجَ مَا كَانَ فِيهَا بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿دَحَاهَا﴾، وَدَحْيها أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، وَشَقَّقَ الْأَنْهَارَ، وَجَعَلَ فِيهَا الْجِبَالَ وَالرِّمَالَ وَالسُّبُلَ وَالْآكَامَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ ذَلِكَ[2].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾، بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٤.

(٢) تقدم في تفسير الآية ١٢ من سورة فصلت: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، وفيه: «وَهَذَا الْمَكَانُ فِيهِ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الْأَعْرَافِ: ٥٤]، فَفَصَّلَ هَاهُنَا مَا يَخْتَصُّ بِالْأَرْضِ مِمَّا اخْتَصَّ بِالسَّمَاءِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ أَوَّلًا؛ لِأَنَّهَا كَالْأَسَاسِ، وَالْأَصْلُ أَنْ يُبْدَأَ بِالْأَسَاسِ، ثُمَّ بَعْدَهُ بِالسَّقْفِ، كَمَا قَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ الْآيَةَ [الْبَقَرَةِ: ٢٩]، فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٧-٣٣]، فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ دَحْيَ الْأَرْضِ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَالدَّحْيُ هُوَ مُفَسَّرٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وَكَانَ هَذَا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَأَمَّا خَلْقُ الْأَرْضِ، فَقَبْلَ خَلْقِ السَّمَاءِ بِالنَّصِّ...».

﴿دَحاهـا﴾: بَسَطَهَا، وَالدَّحْوُ: الْبَسْطُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ بِأَقْوَاتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْحُوَهَا قَبْلَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَى إلى السماء فسواهن سبع سموات، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ، وقيل: معناه إذ الأرض مَعَ ذَلِكَ دَحَاهَا، كَقَوْلِهِ عَجَلّ: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القَلَم: ١٣]»[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ﴾، أي: بعد خلق السماء ﴿دَحَاهَا﴾ أي: أودع فيها منافعها، وفسر ذلك بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ﴾، أي: بعد خلق السموات والأرض ﴿دحاها﴾ بيَّن سبحانه هذا الدحو بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾، وكانت الأرض مخلوقة قبل السماء، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩ - ١٢]، فالأرض مخلوقة من قبل السماء، لكن دحوها، وإخراج الماء والمرعى منها، كان بعد خلق السموات»[٣].

٣٢- ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾، أَيْ: قَرَّرَهَا وَأَثْبَتَهَا، وأكَّدها فِي أَمَاكِنِهَا، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، الرَّؤُوفُ بِخَلْقِهِ الرَّحِيمُ.

٣٣- ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾، أَيْ: دَحَا الْأَرْضَ فَأَنْبَعَ عُيُونَهَا، وَأَظْهَرَ مَكْنُونَهَا، وَأَجْرَى أَنْهَارَهَا، وَأَنْبَتَ زُرُوعَهَا وَأَشْجَارَهَا وَثِمَارَهَا، وَثَبَّتَ جِبَالَهَا، لِتَسْتَقِرَّ بِأَهْلِهَا، وَيَقَرُّ قَرَارُهَا، كُلُّ ذَلِكَ مَتَاعًا لِخَلْقِهِ، وَلِمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي يَأْكُلُونَهَا، وَيَرْكَبُونَهَا مُدَّةَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمَدُ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ[٤].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٣.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٥١.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٤.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)﴾

٣٤- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَطُم عَلَى كُلِّ أَمْرٍ هَائِلٍ مُفْظِعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦][1].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ يَعْنِي النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي فِيهَا الْبَعْثُ، وَقيام الْقِيَامَةُ، وَسُمِّيَتِ الْقِيَامَةُ: طَامَّةً؛ لِأَنَّهَا تَطُمُّ عَلَى كُلِّ هَائِلَةٍ مِنَ الْأُمُورِ فَتَعْلُو فَوْقَهَا، وَتَغْمُرُ مَا سِوَاهَا، والطامة عِنْدَ الْعَرَبِ الدَّاهِيَةُ الَّتِي لَا تُسْتَطَاعُ»[2].

٣٥- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾، أَيْ: حِينَئِذٍ يتذكرُ ابنُ آدَمَ جَمِيعَ عَمَلِهِ: خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الْفَجْرِ: ٢٣].

٣٦- ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾، أَيْ: أُظْهِرَتْ لِلنَّاظِرِينَ، فَرَآهَا النَّاسُ عِيَانًا.

٣٧- ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾، أَيْ: تَمَرّد وَعَتَا.

٣٨- ﴿وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أَيْ: قَدَّمَهَا عَلَى أَمْرِ دِينِهِ وَأُخْرَاهُ.

٣٩- ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، أَيْ: فَإِنَّ مصيرَه إِلَى الْجَحِيمِ، وَإِنَّ مَطْعَمَهُ مِنَ الزَّقُّومِ، وَمَشْرَبَهُ مِنَ الْحَمِيمِ[3].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ له، أي: المقر والمسكن لمن هذه حاله»[4].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِنَّ الجّحِيمّ هِيَ المَأْوَى﴾ أي: هي مأواه،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٥.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٥.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٣.

والمأوى: هو المرجع، والمقر، وبئس المقر مقر جهنم، أعاذنا الله منها»[1].

٤٠- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾، أَيْ: خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ﷻ، وَخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا، وردها إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهَا.

٤١- ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، أَيْ: مُنْقَلَبُهُ وَمَصِيرُهُ وَمَرْجِعُهُ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ.

٤٢-٤٤- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾، أَيْ: لَيْسَ عِلْمُهَا إِلَيْكَ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ مَردها ومَرجعها إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ وَقْتَهَا عَلَى التَّعْيِينِ، ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾؛ وَلِهَذَا لَمَّا سَأَلَ جبريلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ وَقْتِ السَّاعَةِ قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[2].

قال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ مَتَى ظُهُورُهَا وَثُبُوتُهَا، ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾: لَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهَا وَذِكْرِهَا، أَيْ: لَا تَعْلَمُهَا، ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾، أَيْ: مُنْتَهَى علمها عند الله»[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ يعني: أنه لا يمكن أن تذكر لهم الساعة، لأن علمها عند الله»[4].

٤٥- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾، أَيْ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِتُنْذِرَ النَّاسَ، وَتُحَذِّرَهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، فَمَنْ خَشِيَ اللَّهَ، وَخَافَ مَقَامَهُ وَوَعِيدَهُ، اتَّبَعَكَ فَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَالْخَيْبَةُ وَالْخَسَارُ عَلَى مَنْ كَذَّبَكَ وَخَالَفَكَ.

٤٦- ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾، أَيْ: إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَحْشَرِ يَسْتَقْصِرُونَ مُدّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَانَتْ عَشِيَّةً مِنْ يَوْمٍ، أَوْ ضُحًى مِنْ يَوْمٍ.

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٥٣.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٨، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٥.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٥.

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٥٦.

قَالَ جُويْبر، عَنِ الضّحَاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾، أَمَّا عَشِيَّة: فَمَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، ﴿**أَوْ ضُحَاهَا**﴾: مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: وَقْتُ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ الْقَوْمِ حِينَ عَايَنُوا الْآخِرَةَ[1].



(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٥.

٨٠- تَفْسِيرُ سُورَةِ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ(١٦)﴾

ذَكَرَ غيرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا يخاطبُ بَعْضَ عُظَمَاءِ قُرَيْشٍ، وَقَدْ طَمع فِي إِسْلَامِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُخَاطِبُهُ وَيُنَاجِيهُ، إِذْ أَقْبَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ - وَكَانَ مِمَّنْ أَسْلَمَ قَدِيمًا - فَجَعَلَ يَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، وَيُلِحُّ عَلَيْهِ، ووَدَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَوْ كَفَّ سَاعَتَهُ تِلْكَ؛ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ مُخَاطَبَةِ ذَلِكَ الرَّجُلِ؛ طَمَعًا وَرَغْبَةً فِي هِدَايَتِهِ، وعَبَس فِي وَجْهِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْآخَرِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ:

١-٣- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾؟ أَيْ: يَحْصُلُ لَهُ زَكَاةٌ وَطَهَارَةٌ فِي نَفْسِهِ.

٤- ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾، أَيْ: يَحْصُلُ لَهُ اتِّعَاظٌ، وَانْزِجَارٌ عَنِ الْمَحَارِمِ.

٥-٦- ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾، أَيْ: أَمَّا الْغَنِيُّ فَأَنْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ لَعَلَّهُ يَهْتَدِي.

٧- ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى﴾ ؟ أَيْ: مَا أَنْتَ بِمُطَالَبٍ بِهِ إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهُ زَكَاةٌ.

٨- ٩- ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى﴾، أَيْ: يَقْصِدُكَ، وَيَؤُمُّكَ لِيَهْتَدِيَ بِمَا تَقُولُ لَهُ

١٠- ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾، أَيْ: تَتَشَاغَلُ، وَمِنْ هَاهُنَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ رَسُولَهُ ﷺ أَلَّا يَخُصَّ بِالْإِنْذَارِ أَحَدًا، بَلْ يُسَاوِي فِيهِ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ، وَالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ، وَالسَّادَةِ وَالْعَبِيدِ، وَالرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَالصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، ثُمَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ.

وعَنْ أَنَسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾: جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يُكَلِّمُ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ.

وقَالَ قَتَادَةُ: وَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ، ومعه راية سوداء- يَعْنِي ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ -[1].

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: أُنْزِلَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ، وَيَقُولُ: «أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟» فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ»[2].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عمر: سمعت رسول اللَّه ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَذَانَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ**»، وَهُوَ الْأَعْمَى الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾، وَكَانَ يُؤَذِّنُ مَعَ بِلَالٍ، قَالَ سَالِمٌ: وَكَانَ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ، فَلَمْ يَكُ يُؤَذِّنُ حَتَّى يَقُولَ لَهُ النَّاسُ- حِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى بُزُوغِ الْفَجْرِ-: أَذِّنْ»[3].

وَهَكَذَا ذَكَرَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ اسْمَهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَيُقَالُ: عَمْرٌو، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

١١- ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، أَيْ: هَذِهِ السُّورَةُ، أَوِ الْوَصِيَّةُ بِالْمُسَاوَاةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي إِبْلَاغِ الْعِلْمِ مِنْ شَرِيفِهِمْ وَوَضِيعِهِمْ، وَقَالَ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾، يَعْنِي: الْقُرْآنَ[4].

وقال **الإمام البغوي** ﵀: «﴿كَلَّا﴾: زَجْرٌ، أَيْ: لَا تَفْعَلْ بَعْدَهَا مِثْلَهَا، ﴿إِنَّهَا﴾، يَعْنِي

---

(١) وثقه في أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري)، ١١/ ١٠٨٦.

(٢) سنن الترمذي، برقم ٣٣٣١، موطأ مالك، ١/ ٢٠٣، برقم ٨، صحيح ابن حبان، ٢/ ٢٩٣، برقم ٥٣٥، وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/ ٣٢، برقم ٥٣٦.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٦٢٢، وصحيح مسلم، برقم ١٠٩٢.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٨.

هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: آيَاتِ الْقُرْآنِ، ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: مَوْعِظَةٌ، وَتَذْكِيرٌ لِلْخَلْقِ»[1].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: حقاً إن هذه الموعظة تذكرة من اللَّه، يُذَكِّر بها عباده، ويبيّن لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرشد من الغي، فإذا تبين ذلك ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أي: عمل به، كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]»[2].

١٢- ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾، أَيْ: فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَيُحْتَمَلُ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى الْوَحْيِ؛ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلاَّ﴾ يعني: لا تفعل مثل هذا؛ ولهذا نقول: إن ﴿كَلاَّ﴾ هنا حرف ردع، وزجر، أي: لا تفعل مثل ما فعلت، ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ﴿إنها﴾ أي: الآيات القرآنية التي أنزلها اللَّه على رسوله ﷺ ﴿تذكرة﴾ تذكر الإنسان بما ينفعه، وتحثه عليه، وتذكر له ما يضره، وتحذره منه، ويتعظ بها القلب، ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أي: فمن شاء ذكر ما نزل من الموعظة، فاتعظ، ومن شاء لم يتعظ لقول اللَّه تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فاللَّه جعل للإنسان الخيار قدراً بين أن يؤمن ويكفر، أما شرعاً؛ فإنه لا يرضى لعباده الكفر، وليس الإنسان مخيراً شرعاً بين الكفر والإيمان، بل هو مأمور بالإيمان، ومفروض عليه الإيمان، لكن من حيث القدر هو مخير، وليس كما يزعم بعض الناس مسير مجبر على عمله، بل هذا قول مبتدع ابتدعه الجبرية من الجهمية وغيرهم، فالإنسان في الحقيقة مخير، ولذلك إذا وقع الأمر بغير اختياره، كالمكره والنائم والناسي، ونحوهم، لم يترتب عليه حكمه فيما بينه وبين اللَّه تعالى ﴿فمن شاء ذكره﴾ أي ذكر ما نزل من الوحي، فاتعظ به، ومن شاء لم يذكره، والموفق من وفقه الله عَزَّ وَجَلَّ»[4].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٨.

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٦١- ٦٢.

١٣- ١٤- ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾، أَيْ: هَذِهِ السُّورَةُ، أَوِ الْعِظَةُ، وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ، بَلْ جَمِيعُ الْقُرْآنِ:

١٣- ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾، أَيْ: مُعَظَّمَةٍ، مُوَقَّرَةٍ.

١٤- ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾، أَيْ: عَالِيَةِ الْقَدْرِ، ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾، أَيْ: مِنَ الدَّنَسِ، وَالزِّيَادَةِ، وَالنَّقْصِ.

١٥- ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ، وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُمُ الْقُرَّاءُ، وَقَالَ ابْنُ جرير، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: السَّفَرَةُ بِالنَّبَطِيَّةِ: الْقُرَّاءُ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الصَّحِيحُ أَنَّ السَّفَرَةَ الْمَلَائِكَةُ، وَالسَّفَرَةُ يَعْنِي بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: السَّفِيرُ: الَّذِي يَسْعَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الصُّلْحِ وَالْخَيْرِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

ومَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بَينَ قَومي وَمَا أَمْشِي بِغِشٍّ إِنْ مَشَيتُ

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: «سَفَرَةٌ: الْمَلَائِكَةُ، سَفرت: أَصْلَحْتُ بَيْنَهُمْ، وَجَعَلَتِ الملائكةُ إِذَا نَزَلَتْ بِوَحْيِ اللَّهِ، وَتَأْدِيَتِهِ، كَالسَّفِيرِ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ»[1].

١٦- ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾، أَيْ: خُلقهم كَرِيمٌ، حَسَنٌ، شَرِيفٌ، وَأَخْلَاقُهُمْ، وَأَفْعَالُهُمْ بَارَّةٌ طَاهِرَةٌ كَامِلَةٌ، وَمِنْ هَاهُنَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ فِي أَفْعَالِهِ، وَأَقْوَالِهِ عَلَى السَّدَادِ، وَالرَّشَادِ[2].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[3].

﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلا

---

(١) صحيح البخاري، ٦/ ١٦٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٤٩.

(٣) مسند أحمد، ٤٠/ ٢٥٦، برقم ٢٤٢١١، صحيح البخاري، برقم ٤٩٣٧، صحيح مسلم، برقم ٧٩٨، سنن أبي داود، برقم ١٤٥٤، سنن الترمذي، برقم، ٢٩٠٤، والسنن الكبرى للنسائي، برقم ٨١٩٠، سنن ابن ماجه، ٣٧٧٩.

(٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾.

يَقُولُ تَعَالَى ذَامًّا لِمَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ وَالنُّشُورَ مِنْ بَنِي آدَمَ:

١٧- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾، قَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾: لُعِنَ الْإِنْسَانُ، وَكَذَا قَالَ أَبُو مَالِكٍ، وَهَذَا لِجِنْسِ الْإِنْسَانِ الْمُكَذِّبِ؛ لِكَثْرَةِ تَكْذِيبِهِ بِلَا مُسْتَنَدٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الِاسْتِبْعَادِ، وَعَدَمِ الْعِلْمِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾: مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ! وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: أَيُّ شَيْءٍ جَعَلَهُ كَافِرًا؟ أَيْ: مَا حَمَلَهُ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ - وَقَدْ حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنْ مُقَاتِلٍ وَالْكَلْبِيِّ-: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾: مَا أَلْعَنَهُ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَى لَهُ كَيْفَ خَلَقَهُ مِنَ الشَّيْءِ الْحَقِيرِ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ كَمَا بَدَأَهُ، فَقَالَ:

١٨- ١٩- ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾، أَيْ: قَدَّرَ أَجَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ[١].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: لَفْظُهُ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ، ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ أَطْوَارًا: نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً إِلَى آخِرِ خَلْقِهِ»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿قتل﴾ قال بعض العلماء: إن معناها لُعن، والذي يظهر أن معناها أُهلك؛ لأن القتل يكون به الهلاك، وهو أسلوب تستعمله العرب في تقبيح ما كان عليه صاحبه، فيقولون مثلاً: قتل فلان ما أسوأ خلقه، قتل فلان ما أخبثه، وما أشبه ذلك، وقوله تعالى: ﴿قتل الإنسان﴾، قال بعض العلماء: المراد بالإنسان هنا الكافر خاصة، وليس كل إنسان؛ لقوله فيما بعد: ﴿ما أكفره﴾، ويحتمل أن يكون المراد بالإنسان الجنس، لأن أكثر بني آدم كفار، كما ثبت في الحديث الصحيح: أن الله يقول يقوم القيامة: «**يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**»[٣]، فيكون المراد بالإنسان هنا الجنس، ويخرج المؤمن من ذلك

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٠.

(٢)تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٨.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٦٥٣٠.

بما دلت عليه النصوص الأخرى، ﴿ما أكفره﴾، قال بعض العلماء: إن ﴿ما﴾ هنا استفهامية أي: أي شيء أكفره؟ ما الذي حمله على الكفر؟ وقال بعض العلماء: إن هذا من باب التعجب، يعني: ما أعظم كفره! وإنما كان كفر الإنسان عظيماً؛ لأن الله أعطاه عقلاً، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وأمده بكل ما يحتاج إلى التصديق، ومع ذلك كفر، فيكون كفره عظيماً، والفرق بين القولين أنه على القول الأول تكون ﴿ما﴾ استفهامية، أي: ما الذي أكفره؟ وعلى القول الثاني: تكون تَعجُّبيّة، يعني عجباً له كيف كفر مع أن كل شيء متوفر لديه في بيان الحق، والهدى، والكفر، والإيمان!! والكفر هنا يشمل كل أنواع الكفر، ومنه إنكار البعث؛ فإن كثيراً من الكفار كذبوا بالبعث، وقالوا: لا يمكن أن يُبعث الناس بعد أن كانت عظامهم رميماً، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]»[١].

٢٠- ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ثُمَّ يَسَّرَ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإِنْسَانِ: ٣]، أَيْ: بَيَّنَّا لَهُ، وَوَضَّحْنَاهُ، وَسَهَّلْنَا عَلَيْهِ عَمَلَهُ، وَهَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ، **وَهَذَا هُوَ الْأَرْجَحُ**، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٢].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ طَرِيقَ خروجه من بطن أمه، قاله السدي، ومقاتل، وقال الحسن، وَمُجَاهِدٌ: يَعْنِي طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، سَهَّلَ لَهُ الْعِلْمَ بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإِنْسَانِ: ٣]، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [الْبَلَدِ: ١٠]، وَقِيلَ: يَسَّرَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ مَا خَلَقَهُ لَهُ، وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِ»[٣].

٢١- ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، أَيْ: إِنَّهُ بَعْدَ خَلْقِهِ لَهُ ﴿أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾، أَيْ: جَعَلَهُ ذَا قَبْرٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: «قَبَرْتُ الرَّجُلَ»: إِذَا وَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَأَقْبَرَهُ اللَّهُ،

(١) تفسير القرآن الكريم، جزء عم لابن عثيمين، ص ٦١- ٦٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٠.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٤٨.

وَعَضَبْتُ قَرْنَ الثَّوْرِ، وَأَعْضَبَهُ اللَّهُ، وَبَتَرْتُ ذَنَبَ الْبَعِيرِ، وَأَبْتَرَهُ اللَّهُ، وَطَرَدْتُ عَنِّي فُلَانًا، وَأَطْرَدَهُ اللَّهُ، أَيْ: جَعَلَهُ طَرِيدًا.

٢٢- ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أَيْ: بَعَثَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: الْبَعْثُ وَالنُّشُورُ، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢٠]، ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [الْبَقَرَة: ٢٥٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ قال: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأكله التّراب إِلَّا عَجْب الذَّنَب، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُركَّب»، وفي لفظ: «لَيسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إلاَّ عَظْماً وَاحِداً، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنهُ يُركّبُ الخَلْقِ يَوْمَ القِيَامةِ»[1].

٢٣- ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَقُولُ: كَلَّا لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ؛ مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، يَقُولُ: لَمْ يُؤد مَا فُرِض عَلَيْهِ مِنَ الْفَرَائِضِ لِرَبِّهِ ﷻ.

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، قَالَ: لَا يَقْضِي أَحَدٌ أَبَدًا كُلَّ مَا افتُرِض عَلَيْهِ[2].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَحَكَاهُ الْبَغَوِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، بِنَحْوٍ مِنْ هَذَا، وَلَمْ أَجِدْ لِلْمُتَقَدِّمِينَ فِيهِ كَلَامًا سِوَى هَذَا، وَالَّذِي يَقَعُ لِي فِي مَعْنَى ذَلِكَ- وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ الْمَعْنَى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾، أَيْ: بَعَثَهُ، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، أَيْ: لَا يَفْعَلُهُ الْآنَ حَتَّى تَنْقَضِيَ الْمُدَّةُ، وَيَفْرَغَ الْقَدَرُ مِنْ بَنِي آدَمَ مِمَّنْ كَتَبَ تَعَالَى لَهُ أَنْ سيُوجَدُ مِنْهُمْ، وَيُخْرَجُ إِلَى الدُّنْيَا، وَقَدْ أَمَرَ بِهِ تَعَالَى كَوْنًا وَقَدَرًا، فَإِذَا تَنَاهَى ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ أَنْشَرَ اللَّهُ الْخَلَائِقَ وَأَعَادَهُمْ كَمَا بَدَأَهُمْ»[3].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾، ﴿لما﴾ هنا بمعنى «لم»؛ لكنها تفارقها في بعض الأشياء، والمعنى أن الله تعالى لم يقضِ ما أمره، أي: ما أمر به كوناً وقدراً، أي: أن الأمر لم يتم لنشر، أو لإنشار هذا الميت؛ بل له موعد

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٨١٤، ٤٩٣٥، وصحيح مسلم، برقم ٢٩٥٥.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٢٥، وتفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٣٩٩.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥١.

منتظر، وفي هذا رد على المكذبين بالبعث الذين يقولون لو كان البعث حقًّا، لوجدنا آباءنا الآن، وهذا القول منهم تحدٍ مكذوب؛ لأن الرسل لم تقل لهم إنكم تبعثون الآن، ولكنهم قالوا لهم: إنكم تبعثون جميعاً بعد أن تموتوا جميعاً»[١].

٢٤- ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾: فِيهِ امْتِنَانٌ، وَفِيهِ اسْتِدْلَالٌ بِإِحْيَاءِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَجْسَامِ بَعْدَمَا كَانَتْ عَظَاما بَالِيَةً، وَتُرَابًا مُتَمَزِّقًا.

٢٥- ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾، أَيْ: أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَرْضِ.

٢٦- ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأرْضَ شَقًّا﴾، أَيْ: أَسْكَنَاهُ فِيهَا، فَدَخَلَ فِي تُخُومِهَا، وتَخَلَّل فِي أَجْزَاءِ الْحَبِّ المودعَ فِيهَا، فَنَبَتَ، وَارْتَفَعَ، وَظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

٢٧- ٢٨- ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾، فَالْحَبُّ: كُلُّ مَا يُذْكَرُ مِنَ الْحُبُوبِ، وَالْعِنَبُ مَعْرُوفٌ، وَالْقَضْبُ هُوَ: الْفَصْفَصَةُ الَّتِي تَأْكُلُهَا الدَّوَابُّ رَطْبَةً، وَيُقَالُ لَهَا: القَتّ أَيْضًا، قَالَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: الْقَضْبُ: الْعَلَفُ.

٢٩- ﴿وَزَيْتُونًا﴾، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ أَدْمٌ، وَعَصِيرُهُ أُدْمٌ، وَيُسْتَصْبَحُ بِهِ، وَيُدَّهَنُ بِهِ، ﴿وَنَخْلا﴾: يُؤْكَلُ بَلَحًا بُسْرًا، وَرُطَبًا، وَتَمْرًا، وَنِيئًا، وَمَطْبُوخًا، وَيُعْتَصَرُ مِنْهُ رُبٌّ، وَخَلٌّ.

٣٠- ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾، أي: بساتين، قال الحسن، وقتادة: ﴿غُلْبًا﴾: نَخْلٌ غِلَاظٌ كِرَامٌ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ: الْحَدَائِقُ: كُلُّ مَا الْتَفَّ وَاجْتَمَعَ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: ﴿غُلْبًا﴾: الشَّجَرُ الَّذِي يُسْتَظَلُّ بِهِ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾: أَيْ: طِوَالٌ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿غُلْبًا﴾، أَيْ: غِلَاظُ الْأَوْسَاطِ، وَفِي رِوَايَةٍ: غِلَاظُ الرِّقَابِ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الرَّجُلِ إِذَا كَانَ غَلِيظَ الرَّقَبَةِ قِيلَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَغْلَبُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[٢].

٣١- ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾، أَمَّا الْفَاكِهَةُ، فَهُوَ مَا يَتَفَكَّهُ بِهِ مِنَ الثِّمَارِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْفَاكِهَةُ: كُلُّ مَا أُكِلَ رَطْبًا، وَالْأَبُّ مَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ، مِمَّا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ، وَلَا

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٦٦.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٧/ ٢٩٨، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥١.

يَأْكُلُهُ النَّاسُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: هُوَ الْحَشِيشُ لِلْبَهَائِمِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو مَالِكٍ: الْأَبُّ: الْكَلَأُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَابْنِ زَيْدٍ: الْأَبُّ لِلْبَهَائِمِ، كَالْفَاكِهَةِ لِبَنِي آدَمَ، وَعَنْ عَطَاءٍ: كُلُّ شَيْءٍ نَبَتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَهُوَ أَبٌّ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كُلُّ شَيْءٍ أَنْبَتَتْهُ الْأَرْضُ سِوَى الْفَاكِهَةِ فَهُوَ أَبٌّ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْأَبُّ: نَبْتُ الْأَرْضِ مِمَّا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ، وَلَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: عَدَّ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَ: الْأَبُّ: مَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ لِلْأَنْعَامِ. هَذَا لَفْظُ أَبِي كُرَيْبٍ، وَقَالَ أَبُو السَّائِبِ: مَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَتَأْكُلُ الْأَنْعَامُ، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْأَبُّ: الْكَلَأُ وَالْمَرْعَى، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ[1].

٣٢- ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾، أَيْ: عِيشَةً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾

٣٣- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **﴿الصَّاخَّةُ﴾**: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عَظَّمَهُ اللَّهُ، وحَذّره عِبادَهُ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَعَلَّهُ اسْمٌ لِلنَّفْخَةِ فِي الصُّورِ، وَقَالَ البَغَوِيّ: **﴿الصَّاخَّةُ﴾**، يَعْنِي صَيْحَةَ الْقِيَامَةِ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصُخُّ الْأَسْمَاعَ، أَيْ: تُبَالِغُ فِي إِسْمَاعِهَا حَتَّى تَكَادَ تُصمّها.

٣٤- ٣٦- ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾، أَيْ: يَرَاهُمْ، وَيَفِرُّ مِنْهُمْ، وَيَبْتَعِدُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ الْهَوْلَ عَظِيمٌ، وَالْخَطْبَ جَلِيلٌ.

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ[2] -فِي أَمْرِ الشَّفَاعَةِ-: «**أَنَّهُ إِذَا طُلِبَ إِلَى كُلٍّ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ أَنْ يَشْفَعَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْخَلَائِقِ، يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لَا أَسْأَلُهُ اليومَ إِلَّا نَفْسِي،**

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٢.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٧١٢، صحيح مسلم، برقم ٢٨٥٩.

حَتَّى إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ يَقُولُ: لَا أَسْأَلُهُ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، لَا أَسْأَلُهُ مَرْيَمَ الَّتِي وَلَدَتْنِي»[١]؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾.

قال قتادة: «﴿يفر﴾ الأحب فالأحب، والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم»[٢].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ من أخيه: شقيقه، أو لأبيه، أو لأمه ﴿وأمه وأبيه﴾ الأم والأب المباشر، والأجداد أيضاً، والجدات يفر من هؤلاء كلهم ﴿وصاحبته﴾ زوجته ﴿وبنيه﴾، وهم أقرب الناس إليه، وأحب الناس إليه، ويفر من هؤلاء كلهم، قال أهل العلم: يفر منهم لئلا يطالبوه بما فرط به في حقهم من أدب وغيره؛ لأن كل واحد في ذلك اليوم، لا يحب أبداً أن يكون له أحد يطالبه بشيء ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ كل إنسان مشتغل بنفسه، لا ينظر إلى غيره؛ ولهذا لما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة، عراة، غرلاً**» قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض**» ؟ قال النبي ﷺ: «**الأمر أعظم من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[٣].

٣٧- ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، أَيْ: هُوَ فِي شُغُلٍ شَاغِلٍ عَنْ غَيْرِهِ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تُحشَرون حُفاة عُراة غُرْلاً**»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: أَيُبْصِرُ -أَوْ: يَرَى- بَعْضُنَا عَوْرَةَ بَعْضٍ؟ قَالَ: «**يَا فُلَانَةُ**، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، ثُمَّ قَالَ التِّرمِذِيُّ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[٤].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً**»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ بِالْعَوْرَاتِ؟ فَقَالَ: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾»[٥].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٥٢٧٤٧١٢، صحيح مسلم، برقم ١٩٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٢.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٦٨، والحديث أخرجه البخاري، برقم ٦٥٢٧، ومسلم، برقم ٢٨٥٩.

(٤) سنن الترمذي، برقم ٣٣٣٢، وصححه الألباني صحيح سنن الترمذي، برقم ٣٣٣٢.

(٥) سنن النسائي، برقم ٢٠٨٣، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي٧، برقم ٢٠٨٣.

٣٨- ٣٩- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾، أَيْ: يَكُونُ النَّاسُ هُنَالِكَ فَرِيقَيْنِ: **﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ﴾**، أَيْ: مُسْتَنِيرَةٌ، **﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾**، أَيْ: مَسْرُورَةٌ فَرِحَةٌ مِنْ سُرُورِ قُلُوبِهِمْ، قَدْ ظَهَرَ الْبِشْرُ عَلَى وُجُوهِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْجَنَّةِ.

٤٠- ٤١- ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾، أَيْ: يَعْلُوهَا وَيَغْشَاهَا قَتَرَةٌ، أَيْ: سَوَادٌ[١]، «وكآبة ما يشاهدونه من الغم والهم» [٢].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾** أَيْ: يَغْشَاهَا سَوَادُ الْوُجُوهِ[٣].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾** تَعْلُوهَا وَتَغْشَاهَا ظُلْمَةٌ، وَكُسُوفٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَغْشَاهَا ذِلَّةٌ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْفَرْقُ بين الغبرة والقترة: أَنَّ الْقَتَرَةَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْغُبَارِ فَلَحِقَ بِالسَّمَاءِ، وَالْغَبَرَةَ مَا كَانَ أَسْفَلَ فِي الْأَرْضِ»[٤].

٤٢- ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾، جمع الكافر والفاجر، أَيِ: الْكَفَرَةُ قُلُوبُهُمْ، الْفَجَرَةُ فِي أَعْمَالِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾** [نوح: ٢٧][٥].



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٦.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٦.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٠.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٦، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٠.

٨١- تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكْوِيرِ

عَن عبدِ اللَّه بْن عُمَرَ رضي الله عنهما قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رأيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، وَ﴿وإِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾، وَ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾»[١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (١٤)﴾.

١- قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، يَعْنِي: أَظْلَمَتْ،. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْهُ: ذَهَبَتْ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اضمحلّت وذهبت، وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَهَبَ ضَوْؤُهَا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿كُوِّرَتْ﴾: غُوِّرت، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيم: ﴿كُوِّرَتْ﴾، يَعْنِي: رُمِيَ بِهَا، وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: ﴿كُوِّرَتْ﴾: أُلْقِيَتْ، وَعَنْهُ أَيْضًا: نُكِّسَتْ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: تَقَعُ فِي الْأَرْضِ[٢].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ: أَنَّ التَّكْوِيرَ جَمعُ الشَّيْءِ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْهُ تَكْوِيرُ الْعِمَامَةِ، وَهُوَ لَفُّهَا عَلَى الرَّأْسِ، وَكَتَكْوِيرِ الْكَارِهِ، وَهِيَ جَمْعُ الثِّيَابِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿كُوِّرَتْ﴾: جَمْعُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لُفَّتْ فَرَمَى بِهَا، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها[٣].

قال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَظْلَمَتْ، وَقَالَ قَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ: ذَهَبَ ضَوْؤُهَا، وَقَالَ

---

(١) مسند أحمد، ٨/ ٤٢٣، برقم ٤٨٠٦، وحسّن إسناده محقق المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٦٢٩٣. ورواه الترمذي في سننه، برقم ٣٣٣٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٨١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٨، وانظر: تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٣٨.

سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: غُوِّرَتْ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اضْمَحَلَّتْ»[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾: «إذا كان يوم القيامة تكور الشمس، أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر...»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٣].

وقال في **أضواء البيان** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ، أَنَّ هَذَا كُلَّهُ رَاجِعٌ إِلَى تَغَيُّرِ حَالِهَا فِي آخِرِ أَمْرِهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهَا أَجَلًا مُسَمًّى، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَعْلَمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»[٤].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**﴾ هذا يكون يوم القيامة، والتكوير: جمع الشيء بعضه إلى بعض، ولفّه كما تكوّر العمامة على الرأس، والشمس كتلة عظيمة كبيرة واسعة في يوم القيامة، يكوّرها الله عَزَّ وَجَلَّ فيلفها جميعاً، ويطوي بعضها على بعض، فيذهب نورها»[٥].

٢- ﴿**وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ**﴾، أَيِ: انْتَثَرَتْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ**﴾ [الانفطار: ٢]، وَأَصْلُ الِانْكِدَارِ: الِانْصِبَابُ.

قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيم، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَحَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَالضَّحَّاكُ فِي قَوْلِهِ: ﴿**وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ**﴾، أي: تَنَاثَرَتْ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿**وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ**﴾، أَيْ: تَغَيَّرَتْ[٦].

وَقَالَ **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ**﴾: أَيْ تَنَاثَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ، وَتَسَاقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ، يُقَالُ: انْكَدَرَ الطَّائِرُ: إذا سَقَطَ عَنْ عُشِّهِ، قَالَ الْكَلْبِيُّ، وَعَطَاءٌ: تُمْطِرُ السَّمَاءُ يَوْمَئِذٍ نُجُومًا، فَلَا يَبْقَى نَجْمٌ إِلَّا وَقَعَ»[٧].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٥.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٣٢٠٠.
(٤) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ٨/ ٤٣٧.
(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٦٩.
(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٩.
(٧) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.

٣- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾، أَيْ: زَالَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا، ونُسِفت، فَتَرَكَتِ الْأَرْضَ قَاعًا صَفْصَفًا[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: صارت كثيباً مهيلاً، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيرت، وصارت هباءً منبثاً، وسيرت عن أماكنها»[٢].

قلت: وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وقال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

٤- ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، قَالَ عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ: عِشَارُ الْإِبِلِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَتْ وسُيِّبت، وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَالضَّحَّاكُ: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا: وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيم: لَمْ تَحْلِبْ، وَلَمْ تُصَرّ، تَخَلَّى مِنْهَا أَرْبَابُهَا، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تُرِكَتْ لَا رَاعِيَ لَهَا.

وَالْمَعْنَى فِي هَذَا كُلِّهِ مُتَقَارِبٌ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعِشَارَ مِنَ الْإِبِلِ، وَهِيَ: خِيَارُهَا، وَالْحَوَامِلُ مِنْهَا الَّتِي قَدْ وَصَلت فِي حَمْلِهَا إِلَى الشَّهْرِ الْعَاشِرِ، وَاحِدُهَا: عُشَراء، وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى تَضَعَ، قَدِ اشْتَغَلَ النَّاسُ عَنْهَا، وَعَنْ كَفَالَتِهَا، وَالِانْتِفَاعِ بِهَا، بَعْدَ مَا كَانُوا أَرْغَبَ شَيْءٍ فِيهَا، بِمَا دَهَمهم مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ المُفظع الْهَائِلِ، وَهُوَ أَمْرُ الْقِيَامَةِ، وَانْعِقَادُ أَسْبَابِهَا، وَوُقُوعِ مُقَدِّمَاتِهَا.

وَقِيلَ: بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَرَاهَا أَصْحَابُهَا كَذَلِكَ، وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَيْهَا، وَقَدْ قِيلَ فِي الْعِشَارِ: إِنَّهَا السَّحَابُ، يُعطَّل عَنِ الْمَسِيرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ لِخَرَابِ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: إِنَّهَا الْأَرْضُ الَّتِي تُعشَّر، وَقِيلَ: إِنَّهَا الدِّيَارُ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُ، تُعَطَّل لِذَهَابِ أَهْلِهَا، حَكَى هَذِهِ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ فِي كِتَابِهِ «التَّذْكِرَةُ»، وَرَجَّحَ أَنَّهَا الإبل، وعزاه إلى أكثر الناس، قُلْتُ: بَلْ لَا يُعْرَفُ عَنِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ سِوَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٥٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٠.

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: وَهِيَ النُّوقُ الْحَوَامِلُ الَّتِي أَتَى عَلَى حَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ، وَاحِدَتُهَا عُشَرَاءُ، ثُمَّ لَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى تَضَعَ لِتَمَامِ سَنَةٍ، وَهِيَ أَنْفَسُ مَالٍ عِنْدَ الْعَرَبِ، عُطِّلَتْ: تُرِكَتْ هملاً بِلَا رَاعٍ، أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا، وَكَانُوا لَازِمِينَ لِأَذْنَابِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ أَعْجَبَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا، لِمَا جَاءَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[١].

٥- ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، أَيْ: جُمِعَتْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام: ٣٨]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُحْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الذُّبَابُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيم، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ هَذِهِ الْخَلَائِقَ مُوَافِيَةٌ، فَيَقْضِي اللَّهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: حَشْرُهَا: مَوْتُهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قَالَ: حَشرُ الْبَهَائِمِ: مَوْتُهَا، وَحَشْرُ كُلِّ شَيْءٍ الْمَوْتُ غَيْرُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ فَإِنَّهُمَا يُوقَفَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٢].

وعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيم: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قَالَ: أَتَى عَلَيْهَا أَمْرُ اللَّهِ، قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ أَبِي: فَذَكَرْتُهُ لِعِكْرِمَةَ، فَقَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَشْرُهَا: مَوْتُهَا[٣].

وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، اخْتَلَطَتْ.

قَالَ **ابْنُ جَرِيرٍ**: وَالْأَوْلَى قَوْلُ مَنْ قَالَ: ﴿حُشِرَتْ﴾: جُمِعت، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً**﴾ [ص: ١٩]، أَيْ: مَجْمُوعَةً[٤].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: يَعْنِي دَوَابَّ الْبَرِّ، ﴿حُشِرَتْ﴾: جُمِعَتْ بَعْدَ الْبَعْثِ لِيُقْتَصَّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ»[٥].

٦- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤١.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤١.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤١، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٠.
(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.

لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ: أَيْنَ جَهَنَّمُ؟ قَالَ: الْبَحْرُ، فَقَالَ: «مَا أَرَاهُ إِلَّا صَادِقًا، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطُّور: ٦]، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾» مُخَفَّفَةٌ[1].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: يُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهَا الدَّبُّورَ فَتُسَعِّرُهَا، وَتَصِيرُ نَارًا تَأَجَّجُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ بْنُ مُسْلِمٍ: ﴿سُجِّرَتْ﴾: أُوقِدَت، وَقَالَ الْحَسَنُ: يَبِسَتْ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ: غَاضَ مَاؤُهَا، فَذَهَبَ وَلَمْ يُبْقِ فِيهَا قَطْرَةً، وَقَالَ الضَّحَّاكُ أَيْضًا: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فُجِّرَتْ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: فُتِحَتْ، وَسُيِّرَتْ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيم: ﴿سُجِّرَتْ﴾: فَاضَتْ[2].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نَارًا تَضْطَرِمُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ: الْعَذْبُ، وَالْمالِحُ، فَصَارَتِ الْبُحُورُ كُلُّهَا بَحْرًا وَاحِدًا، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: مُلِئَتْ، وَهَذَا أيضا معنى قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾»[3].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: أوقدت فَصارتْ -على عظمها- نَاراً تتوقّد»[4].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ البحار: جمع بحر، وجمعت لعظمتها، وكثرتها؛ فإنها تمثل ثلاثة أرباع الأرض تقريباً، أو أكثر، هذه البحار العظيمة إذا كان يوم القيامة، فإنها تُسجر، أي توقد ناراً، تشتعل ناراً عظيمة، وحينئذ تيبس الأرض، ولا يبق فيها ماء؛ لأن بحارها المياه العظيمة تسجّر حتى تكون ناراً»[5].

٧- ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أَيْ: جُمِعَ كُلُّ شَكْلٍ إِلَى نَظِيرِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصَّافَّات: ٢٢].
وعَنْ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ عُمَر خَطَبَ النَّاسَ فَقَرَأَ:

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤٢، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٠.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦١.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥١.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، ١٠٧٦.
(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٠.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، فَقَالَ: تَزَوّجها: أَنْ تُؤَلَّفَ كُلُّ شِيعَةٍ إِلَى شِيعَتِهِمْ، وَفِي رِوَايَةٍ: هُمَا الرَّجُلَانِ يَعْمَلَانِ الْعَمَلَ، فَيَدْخُلَانِ بِهِ الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ[١].

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ النُّعْمَانِ[٢] قَالَ: سُئِلَ عُمَرُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، فَقَالَ: «يُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَيُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ السُّوءِ مَعَ الرَّجُلِ السُّوءِ فِي النَّارِ، فَذَلِكَ تَزْوِيجُ الْأَنْفُسِ».

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ النُّعْمَانِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِلنَّاسِ: مَا تَقُولُونَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؟ فَسَكَتُوا، قَالَ: وَلَكِنْ هُوَ الرَّجُلُ يُزَوَّجُ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يُزَوَّجُ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢].

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَالَ: ذَلِكَ حِينَ يَكُونُ النَّاسُ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَالَ: الأمثال من الناس جمع بَيْنَهُمْ، وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيمٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَهُوَ الصَّحِيحُ[٣].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: تُرسَلُ الْأَرْوَاحُ فَتَزَوَّجُ الْأَجْسَادُ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، وَكَذَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أَيْ: زُوِّجَتْ بِالْأَبْدَانِ[٤].

وَقَالَ الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر الأقوال السابقة: «وَقِيلَ: زُوِّجَتِ النُّفُوسُ بِأَعْمَالِهَا، وَقَالَ عَطَاءٌ، وَمُقَاتِلٌ: زُوِّجَتْ نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَقُرِنَتْ نُفُوسُ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ، وَرُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ: رُدَّتِ الْأَرْوَاحُ في الأجساد»[٥].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٠٧، برقم ١٩١٦٧، وهو في تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤٥، وعزاه في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٨/٧، لابن مردويه.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٠٤، برقم ١٩١٤٦، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٢٤٥، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق، ٤/ ٣٦٢، وبنحوه في المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٥٦٠، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٢.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٢.

(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٢.

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: قُرن كلُّ صاحبِ عملٍ مع نظيرِهِ، فجُمِع الأبرارُ مع الأبرارِ، والفجّارُ مع الفجّارِ، وزُوِّجَ المؤمنون بالحُورِ العِين، والكافرون بالشّياطين»(١).

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ يعني: شكّلت وضُم بعضها إلى بعضٍ، كل صنف إلى صنفه، كل أمة إلى أمتها»(٢).

٨- ٩- ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، هَكَذَا قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ: ﴿سُئِلَتْ﴾، وَالْمَوْءُودَةُ هِيَ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَدُسُّونَهَا فِي التُّرَابِ كَرَاهِيَةَ الْبَنَاتِ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُسْأَلُ الْمَوْءُودَةُ عَلَى أَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَهْدِيدًا لِقَاتِلِهَا، فَإِذَا سُئِلَ الْمَظْلُومُ، فَمَا ظَنُّ الظَّالِمِ إِذًا؟!

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾، أَيْ: سَأَلَتْ، وَكَذَا قَالَ أَبُو الضُّحَى: «سَأَلَتْ»، أَيْ: طَالَبَتْ بِدَمِهَا، وَعَنِ السُّدِّيِّ، وَقَتَادَةَ، مِثْلُهُ(٣).

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ﴾: وَهِيَ الْجَارِيَةُ الْمَدْفُونَةُ حَيَّةً، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِمَا يُطْرَحُ عَلَيْهَا مِن التراب فيؤدها، أَيْ يُثْقِلُهَا حَتَّى تَمُوتَ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَدْفِنُ الْبَنَاتَ حَيَّةً؛ مَخَافَةَ العار والحاجة»(٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «أَطْفَالُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ فَقَدْ كَذَبَ، يَقُولُ اللَّهُ عَجَّلَ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ الْمَدْفُونَةُ»(٥).

وَعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾، قَالَ: جَاءَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي وَأَدْتُ بَنَاتٍ لِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «**أَعْتِقْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَقَبَةً**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي صَاحِبُ إِبِلٍ؟ قَالَ: «**فَانْحَرْ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بَدَنَةً**»(٦).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٦.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٠.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٣.

(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٢.

(٥) صححها محققو المسند في تعليقهم على مسند الإمام أحمد، ٢٥/ ٢٦٩، أثناء تعليقهم على الحديث رقم ١٥٩٢٣.

(٦) المعجم الكبير للطبراني، ١٨/ ٣٣٧، رقم ٨٦٣، ومسند البزار، ١/ ٣٥٥، برقم ٢٣٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٣٢٩٨.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ تُسأل يوم القيامة ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ هل أذنبت؟ فإذا قال قائل: كيف تُسأل، وهي المظلومة ... هي المدفونة، ثم هي قد تدفن، وهي لا تميز، ولم يجر عليها قلم التكليف، فكيف تسأل؟ قيل: إنها تُسأل توبيخاً للذي وأدها؛ لأنها تُسأل أمامه فيقال: بأي ذنب قُتِلْتِ، أو قُتِلَتْ؟ نظير ذلك لو أن شخصاً اعتدى على آخر في الدنيا، فأتوا إلى السلطان إلى الأمير، فقال للمظلوم: بأي ذنب ضربك هذا الرجل؟ وهو يعرف أنه معتدىً عليه، ليس له ذنب؛ لكن من أجل التوبيخ للظالم، فالموؤدة تُسأل بأي ذنب قتلت، توبيخاً لظالمها، وقاتلها ودافنها، نسأل الله العافية»[1].

١٠- ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قَالَ الضَّحَّاكُ: أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ صَحِيفَتَهُ بِيَمِينِهِ، أَوْ بِشِمَالِهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ، تُملى فِيهَا، ثُمَّ تُطْوَى، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلْيَنْظُرْ رَجُلٌ مَاذَا يُمْلِي فِي صَحِيفَتِهِ[2].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي صَحَائِفَ الْأَعْمَالِ تُنْتَشَرُ لِلْحِسَابِ»[3].

١١- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: اجْتُذِبَتْ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: كُشِفَتْ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تَنْكَشِطُ فَتَذْهَبُ[4].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾، قَالَ الْفَرَّاءُ: نُزِعَتْ، وَطُوِيَتْ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: قُلِعَتْ كَمَا يُقْلَعُ السَّقْفُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: تَكْشِفُ عَمَّنْ فِيهَا، وَمَعْنَى الْكَشْطِ: رَفْعُكَ شَيْئًا عَنْ شَيْءٍ قَدْ غَطَّاهُ، كَمَا يُكْشَطُ الْجِلْدُ عَنِ السَّنَامِ»[5].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ أي: تُزال عن مكانها كما يكشط الجلد عند سلخ البعير عن اللحم، يكشطها الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم يطويها جل وعلا بيمينه، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٦.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٦.
(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٢.

٦٧]، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]»[(١)].

١٢- ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾، قَالَ السُّدِّيُّ: أُحْمِيَتْ، وَقَالَ قَتَادَةُ: أُوقِدَتْ، قَالَ: وَإِنَّمَا يُسَعِّرُهَا غَضَبُ اللَّهِ، وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ.

١٣- ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾، قَالَ الضَّحَّاكُ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيمٍ: أَيْ: قَرُبَتْ إِلَى أَهْلِهَا.

١٤- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾، هَذَا هُوَ الْجَوَابُ، أَيْ: إِذَا وَقَعَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ حِينَئِذٍ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ، وَأُحْضِرَ ذَلِكَ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣][(٢)].

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِي الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾

١٥-١٦- عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْث قَالَ: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ الصُّبْحَ، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِي الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾»[(٣)].

وعَنْ عَلِيٍّ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾، قَالَ: هِيَ النُّجُومُ تَخْنِسُ بِالنَّهَارِ، وَتَظْهَرُ بِاللَّيْلِ[(٤)].

وَعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ عَرْعَرَةَ، سَمِعْتُ عَلِيًّا، وَسُئِلَ عَنْ: ﴿فَلَا

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٦.

(٣) صحيح مسلم، برقم ٤٧٥، ولفظه: «صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ الْفَجْرَ، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾، وَكَانَ لَا يَحْنِي رَجُلٌ مِنَّا ظَهْرَهُ حَتَّى يَسْتَتِمَّ سَاجِدًا».

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١٢/ ٣٧٧، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٢٥١.

أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾، فَقَالَ: هِيَ النُّجُومُ، تخنس بِالنَّهَارِ، وَتَكْنُسُ بِاللَّيْلِ[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ، وَغَيْرِهِمْ: أَنَّهَا النُّجُومُ[٢].

وَقَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: إِنَّمَا قِيلَ لِلنُّجُومِ: ﴿الْخُنَّسُ﴾، أَيْ: فِي حَالِ طُلُوعِهَا، ثُمَّ هِيَ جِوَارٌ فِي فَلَكِهَا، وَفِي حَالِ غَيْبُوبَتِهَا يُقَالُ لَهَا: ﴿كُنَّس﴾، مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: أَوَى الظَّبْيُ إِلَى كناسه: إِذَا تَغَيَّبَ فِيهِ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾، قَالَ: بَقَرُ الْوَحْشِ، وَكَذَا قَالَ الثَّوْرِيّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾، مَا هِيَ يَا عَمْرُو؟ قُلْتُ: الْبَقَرُ، قَالَ: وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ، وَكَذَا رَوَى يُونُسُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾، قَالَ: الْبَقَرُ تَكْنُسُ إِلَى الظِّلِّ، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ الظِّبَاءُ، وَكَذَا قَالَ سَعِيدٌ أَيْضًا، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَالَ أَبُو الشَّعْثَاءِ جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ: هِيَ الظِّبَاءُ وَالْبَقَرُ[٣].

وَتَوَقَّفَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْخُنَّسِ * الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾ هَلْ هُوَ النُّجُومُ، أَوِ الظِّبَاءُ وَبَقَرُ الْوَحْشِ؟ قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ مُرَادًا[٤].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوارِ الْكُنَّسِ﴾: ... معناه: أقسم بالخنس، قال قَتَادَةُ: هِيَ النُّجُومُ تَبْدُو بِاللَّيْلِ، وتخنس بِالنَّهَارِ، فَتُخْفَى فَلَا تُرَى...»[٥].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ قوله تعالى: ﴿فلا أقسم﴾ قد يظن بعض الناس أن ﴿لا﴾ نافية، وليس كذلك، بل هي مثبتة للقسم، ويؤتى بها بمثل هذا التركيب للتأكيد، فالمعنى ﴿أقسم بالخنس﴾ والخنس جمع خانسة، وهي النجوم التي تخنس، أي: ترجع، فبينما تراها في أعلى الأفق، إذا

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٥١.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٢/ ٣٧٧.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٥٣.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٨.
(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٣.

بها راجعة إلى آخر الأفق، وذلك والله أعلم لارتفاعها وبُعدها، فيكون ما تحتها من النجوم أسرع منها في الجري بحسب رؤية العين، ﴿الْجَوارِ الْكُنَّسِ﴾ أصلها: (الجواري) بالياء؛ لكن حذفت الياء للتخفيف، و﴿الكنس﴾: هي التي تكنس، أي: تدخل في مغيبها، فأقسم الله بهذه النجوم»[1].

١٧- ١٨- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾، فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: إِقْبَالُهُ بِظَلَامِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَظْلَمَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِذَا نَشَأَ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِذَا غَشِي النَّاسَ، وَكَذَا قَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وَالْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾ إِذَا أَدْبَرَ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَكَذَا قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾، أَيْ: إِذَا ذَهَبَ فَتَوَلَّى.

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ[2]: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِي، سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيَّ قَالَ: «خَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه، حِينَ ثَوَّبَ الْمُثَوِّبُ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُونَ عَنِ الْوِتْرِ**: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾؟ **هذا حين أدبر حسن**»[3].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: وَقَدِ اخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾: إِذَا أَدْبَرَ. قَالَ لِقَوْلِهِ: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، أَيْ: أَضَاءَ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ أَيْضًا:

حَتّى إِذَا الصُّبحُ لَهُ تَنَفَّسا وانجابَ عَنها لَيلُها وعَسعَسا

أَيْ: أَدْبَرَ، وَعِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَسْعَسَ﴾: إِذَا أَقْبَلَ، وَإِنْ كَانَ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْإِدْبَارِ، لَكِنَّ الْإِقْبَالَ هَاهُنَا أَنْسَبُ؛ كَأَنَّهُ أَقْسَمَ تَعَالَى بِاللَّيْلِ وَظَلَامِهِ إِذَا أَقْبَلَ، وَبِالْفَجْرِ وَضِيَائِهِ إِذَا أَشْرَقَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [اللَّيل: ١-٢]، وَقَالَ: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ [الضُّحى: ١، ٢]، وَقَالَ: ﴿فَالِقُ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٥.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، ١/ ١٤٥، ولفظه: «خَرَجَ عَلَيْنَا عَلِيٌّ رضي الله عنه حِينَ ثَوَّبَ الْمُثَوِّبُ، فَقَالَ: إِنَّ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بِالْوِتْرِ، وَوَقَّتَ لَهُ هَذِهِ السَّاعَةَ، أَذِّنْ يَا ابْنَ النَّبَّاحِ، أَوْ أَقِمْ يَا ابْنَ النَّبَّاحِ. ولفظه في مسند أحمد، ٢/ ٢٨٣، برقم ٩٨٧: «عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: «إِذَا حُدِّثْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَدِيثًا، فَظُنُّوا بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَهْيَاهُ، وَأَتْقَاهُ، وَأَهْدَاهُ»، وَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَيْنَا حِينَ ثَوَّبَ الْمُثَوِّبُ، فَقَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الْوِتْرِ؟ هَذَا حِينُ وِتْرٍ حَسَنٍ»، وصحح إسناده محققو المسند.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٩.

الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ[١].

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ: إِنَّ لَفْظَةَ ﴿عَسْعَسَ﴾ تُسْتَعْمَلُ فِي الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ عَلَى وَجْهِ الاشْتِرَاكِ، فَعَلَى هَذَا يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ كُلٌّ مِنْهُمَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٢].

قَالَ الإمام ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يَزْعُمُ أَنَّ ﴿عَسْعَسَ﴾: دَنَا مِنْ أَوَّلِهِ[٣].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ﴾، قَالَ الْحَسَنُ: أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ، وَقَالَ آخَرُونَ أَدْبَرَ...»[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ معنى قوله: ﴿عسعس﴾ يعني: أقبل، وقيل: معناه أدبر، وذلك أن الكلمة ﴿عسعس﴾ في اللغة العربية تصلح لهذا وهذا؛ لكن الذي يظهر أن معناها «أقبل» ليوافق أو ليطابق ما بعده من القسم، وهو قوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ فيكون اللَّه أقسم بالليل حال إقباله، وبالنهار حال إقباله، وإنما أقسم اللَّه تعالى بهذه المخلوقات لعظمها، وكونها من آياته الكبرى»[٥].

١٨- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، قَالَ الضَّحَّاكُ: إِذَا طَلَعَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا أَضَاءَ وَأَقْبَلَ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: إِذَا نَشَأَ، وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي: وَضَوءُ النَّهَارِ إِذَا أَقْبَلَ وَتَبَيَّنَ[٦].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ﴾: أَقْبَلَ، وَبَدَا أَوَّلُهُ، وَقِيلَ: امْتَدَّ ضَوْؤُهُ، وَارْتَفَعَ»[٧].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: بانت علائم

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٦٩.
(٢) المرجع السابق، ١٤/ ٢٦٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٠.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٣.
(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٧٦.
(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٠.
(٧) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٣.

الصبح، وانشقّ النور شيئاً فشيئاً حتى يستكمل، وتطلع الشمس))[١].

١٩- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لتبليغُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، أَيْ: مَلَكٌ شَرِيفٌ، حَسَن الْخَلْقِ، بَهِيُّ الْمَنْظَرِ، وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالشَّعْبِيُّ، وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْران، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُهُمْ[٢].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: ((إِنَّهُ، يَعْنِي الْقُرْآنَ، لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، يَعْنِي جِبْرِيلَ أَيْ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى))[٣].

٢٠- ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ كَقَوْلِهِ: **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ﴾** [النَّجْم: ٥- ٦]، أَيْ: شَدِيدُ الخَلْق، شَدِيدُ الْبَطْشِ وَالْفِعْلِ، **﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾** أَيْ: لَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ.

٢١- ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾، أَيْ: لَهُ وَجَاهَةٌ، وَهُوَ مَسْمُوعُ الْقَوْلِ، مُطَاعٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، قَالَ قَتَادَةُ: **﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾**، أَيْ: فِي السَّمَوَاتِ، يَعْنِي: لَيْسَ هُوَ مِنْ أَفْنَاءِ الْمَلَائِكَةِ، بَلْ هُوَ مِنَ السَّادَةِ وَالْأَشْرَافِ، مُعتنى به، انْتُخِبَ لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الْعَظِيمَةِ.

وَقَوْلُهُ: **﴿أَمِينٍ﴾**: صِفَةٌ لِجبْرِيلَ بِالْأَمَانَةِ، وَهَذَا عَظِيمٌ جِدًّا أَنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ يُزَكِّي عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَلَكِيَّ جِبْرِيلَ، كَمَا زَكَّى عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْبَشَرِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ:

٢٢- ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾، قَالَ الشَّعْبِيُّ، وَمَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَمَنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: **﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾** يَعْنِي: مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٣- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾، يَعْنِي: وَلَقَدْ رَأَى محمدٌ جبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرِّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، لَهُ سِتُّمِائَةُ جَنَاحٍ، **﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾**، أَيِ: الْبَيِّنُ، وَهِيَ الرُّؤْيَةُ الْأَوْلَى الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾** [النَّجْم: ٥ -١٠]، كَمَا تَقَدَّمَ تفسيرُ ذَلِكَ، وَتَقْرِيرُهُ.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٠.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٣.

والدليلُ أَنَّ المرادَ بِذَلِكَ جِبْرِيلُ ﵇، وَالظَّاهِرُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الرُّؤْيَةَ، وَهِيَ الْأُولَى، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نزلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النَّجْمِ: ١٣ -١٦]، فَتِلْكَ إِنَّمَا ذُكِرَتْ فِي سُورَةِ «النَّجْمِ»، وَقَدْ نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ[١].

٢٤- ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، أَيْ: وَمَا مُحَمَّدٌ عَلَى مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِظَنِينٍ، أَيْ: بِمُتَّهَمٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَرَأَ ذَلِكَ بِالضَّادِ، أَيْ: بِبَخِيلٍ، بَلْ يَبْذُلُهُ لِكُلِّ أَحَدٍ.

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَينة: ظَنِينٌ وَضَنِينٌ سَوَاءٌ، أَيْ: مَا هُوَ بِكَاذِبٍ، وَمَا هُوَ بِفَاجِرٍ، وَالظَّنِينُ: الْمُتَّهَمُ، وَالضَّنِينُ: الْبَخِيلُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ الْقُرْآنُ غَيْبًا، فَأَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَمَا ضَنّ بِهِ عَلَى النَّاسِ، بَلْ بَلَّغه، وَنَشَرَهُ، وَبَذَلَهُ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَهُ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَاخْتَارَ ابنُ جرير قِرَاءَةَ الضَّادِ.

قُلْتُ [القائل ابن كثير ﵀]: وَكِلَاهُمَا مُتَوَاتِرٌ، وَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ كَمَا تَقَدَّمَ[٢].

٢٥- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾، أَيْ: وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، أَيْ: لَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ، وَلَا يُرِيدُهُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا تَنزلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ -٢١٢].

٢٦- ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟ أَيْ: فَأَيْنَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ فِي تَكْذِيبِكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، مَعَ ظُهُورِهِ وَوُضُوحِهِ، وَبَيَانِ كَوْنِهِ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ، كَمَا قَالَ الصِّدِّيقُ ﵁ لِوَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ حِينَ قَدِمُوا مُسْلِمِينَ، وَأَمَرَهُمْ فَتَلَوْا عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ قُرْآنِ مُسَيْلِمَةَ الَّذِي هُوَ فِي غَايَةِ الْهَذَيَانِ وَالرَّكَاكَةِ، فَقَالَ: وَيْحَكُمْ، أَيْنَ يُذهَب بِعُقُولِكُمْ؟ وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ إِلٍّ، أَيْ: مِنْ إِلَهٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، أَيْ: عَنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَعَنْ طَاعَتِهِ[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٠.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧١.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٤.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، أَيْ: أَيْنَ تَعْدِلُونَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَفِيهِ الشِّفَاءُ، وَالْبَيَانُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيُّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَ أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ»[1].

٢٧- ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، أَيْ: هَذَا الْقُرْآنُ ذِكْرٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ، يَتَذَكَّرُونَ بِهِ، وَيَتَّعِظُونَ

٢٨- ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، أَيْ: مَنْ أَرَادَ الْهِدَايَةَ فَعَلَيْهِ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ منجاةٌ لَهُ وَهِدَايَةٌ، وَلَا هِدَايَةَ فِيمَا سِوَاهُ.

٢٩- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، أَيْ: لَيْسَتِ الْمَشِيئَةُ مَوْكُولَةً إِلَيْكُمْ، فَمَنْ شَاءَ اهْتَدَى، وَمَنْ شَاءَ ضَلَّ، بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ تَابِعٌ لِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، قَالَ أَبُو جَهْلٍ: الْأَمْرُ إِلَيْنَا، إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَسْتَقِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أَيْ: أَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْمَشِيئَةَ فِي التَّوْفِيقِ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، وَفِيهِ إِعْلَامٌ أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْمَلُ خَيْرًا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا بِخِذْلَانِهِ»[3].



---
(١) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٢.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٤.

٨٢- تَفْسِيرُ سُورَةِ الانْفِطَارِ

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَامَ مُعَاذٌ فَصَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَطَوَّلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟! أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟!، أَيْنَ كُنْتَ عَنْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالضُّحَى، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ؟!»[١]، وَأَصْلُ الْحَدِيثِ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ[٢].

وَعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقِيَامَةِ رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾»[٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣)﴾.

١- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، أي: انْشَقَّتْ، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨].

٢- ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾، أَيْ: تَساقَطَتْ.

٣- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَجَّرَ اللَّهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، وَقَالَ الْحَسَنُ: فَجَّرَ اللَّهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، فَذَهَبَ مَاؤُهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: اخْتَلَطَ مَالِحُهَا بِعَذْبِهَا، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: مُلِئَتْ[٤].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَاخْتَلَطَ الْعَذْبُ بِالْمالح، فَصارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا، وَقَالَ الرَّبِيعُ: فُجِّرَتْ فَاضَتْ»[٥].

---

(١) سنن النسائي، برقم ٩٩٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٧٥٦ .

(٢) صحيح البخاري، برقم ٦١٠٦، صحيح مسلم، ٤٦٥.

(٣) سنن الترمذي، برقم ٣٣٣٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٨١.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٤.

(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٥.

٤- ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَت﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بُحِثَت، وَقَالَ السُّدِّيُّ: تُبعثر: تُحرّك فَيَخْرُجُ مَنْ فِيهَا[١].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بُعْثِرَتْ﴾: بُحِثَتْ، وَقُلِبَ ترابها، وبعث من فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً، يُقَالُ: بَعْثَرْتُ الْحَوْضَ، وَبَحْثَرْتُهُ: إِذَا قَلَبْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ»[٢].

٥- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، أَيْ: إِذَا كَانَ هَذَا حَصَلَ هَذَا[٣].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، قِيلَ: مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ سيِّئٍ، وما أَخَّرَتْ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ، وَقِيلَ: مَا قَدَّمَتْ مِنَ الصدقات، وأَخَّرَتْ مِنَ التَّرِكَاتِ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا في قوله: يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَأَخَّرَ»[٤].

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟ : هَذَا تَهْدِيدٌ، لا كما يتوهمه بعض الناسِ مِنْ أَنَّهُ إِرْشَادٌ إِلَى الْجَوَابِ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿الْكَرِيمِ﴾، حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: غَرَّهُ كَرَمُهُ، بَلِ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ، بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ - أَي: الْعَظِيمِ- حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ؟ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي؟ ابْنَ آدَمَ، مَاذَا أجبتَ الْمُرْسَلِينَ؟**»[٥].

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، فَقَالَ: غَرَّهُ وَاللَّهِ جَهْلُهُ»[٦].

وروي عن ابن عمر أنه: قرأ هذه الآية: «﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: غَرَّهُ-وَاللَّهِ-جَهْلُهُ.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٤.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٤.

(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٥.

(٥) تفسير الطبري، ١٧/ ١٥٠، والتوحيد لابن خزيمة، ٢/ ٤٢٠، والمعجم الكبير للطبراني، برقم ٨٨٩٩، تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي، ٢/ ٨٤٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١١/ ٢٧٧: «رواه الطبراني في الكبير موقوفاً، وروى بعضه مرفوعاً في الأوسط... ورجال الكبير رجال الصحيح غير شريك بن عبد الله وهو ثقة، وفيه ضعف، ورجال الأوسط فيهم شريك أيضاً وإسحاق بن عبد الله التيمي ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح».

(٦) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٥/ ١١٢، وتفسير ابن أبي حاتم، ١٢/ ٣٧٨، واللفظ له.

قَالَ: ورُوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْم، وَالْحَسَنِ، مِثْلُ ذَلِكَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، شَيءٌ، مَا غَرّ ابْنَ آدَمَ، وهَذَا الْعَدُو الشَّيْطَانِ، وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ: لَوْ قَالَ لِي: «مَا غَرَّكَ بِي؟ لَقُلْتُ: سُتُورك المُرخاة، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: لَوْ قَالَ لِي: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، لَقُلْتُ: غَرَّنِي كَرَمُ الْكَرِيمِ.

قَالَ الْبَغَوِيُّ: وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْإِشَارَةِ: إِنَّمَا قَالَ: ﴿بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ دُونَ سَائِرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَأَنَّهُ لَقَّنَهُ الْإِجَابَةَ.

وَهَذَا الَّذِي تَخَيَّلَهُ هَذَا الْقَائِلُ لَيْسَ بِطَائِلٍ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَتَى بِاسْمِهِ ﴿الْكَرِيمِ﴾؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَابَلَ الْكَرِيمُ بِالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ، وَأَعْمَالِ السُّوءِ»[1].

قال الإمام الْبَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، مَا خَدَعَكَ وَسَوَّلَ لَكَ الْبَاطِلَ حَتَّى أَضَعْتَ مَا وَجَبَ عَلَيْكَ، وَالْمَعْنَى: مَاذَا أمنك من عقابه؟»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ المراد بالإنسان هنا قيل: هو الكافر، وقيل: الإنسان من حيث هو إنسان؛ لأن الإنسان من حيث هو إنسان ظلوم جهول، ظلوم كفار ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فيقول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ ويخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، بقطع النظر عن ديانته ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ يعني: أي شيء غرّك باللَّه حيث تكذبه في البعث، تعصيه في الأمر والنهي، بل ربما يوجد من ينكر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فما الذي غرك؟! قال بعض العلماء: إن قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ إشارة إلى الجواب، وهو أن الذي غر الإنسان كرم اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وإمهاله وحلمه، لكنه لا يجوز أن يغتر الإنسان بذلك، فإن اللَّه يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، إذاً ما غرك بربك الكريم؟ الجواب: كرمه وحلمه، هذا هو الذي غر الإنسان، وصار يتمادى في المعصية في التكذيب، يتمادى في المخالفة»[3].

٧- ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾، أَيْ: مَا غَرَّكَ بِالرَّبِّ الْكَرِيمِ ﴿الَّذِي

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٥.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٥.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٨٩.

خلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾، أَيْ: جَعَلَكَ سَوِيًّا، مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ مُنْتَصِبَهَا، فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ[١].

عَنْ بُسْرِ بْنِ جِحَاشٍ الْقُرَشِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَقَ يَوْمًا فِي كَفِّهِ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا أُصْبُعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ ﷻ: ابْنَ آدَمَ، أَنَّى تُعجِزني وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ؟ حتى إِذَا سَوّيتك، وَعَدَلْتُكَ، مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ، فجَمَعت ومَنعت، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي قلتَ: أتصدقُ، وأَنَّى أوانُ الصَّدَقَةِ**»[٢].

٨- ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: فِي أَيِّ شَبَه أَبٍ أَوْ أُمٍّ، أَوْ خَالٍ أَوْ عَمٍّ؟، وَقد روي «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لرجلٍ: «**مَا وُلِدَ لَكَ؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَسَى أَنْ يُولَد لِي؟ إِمَّا غُلَامٌ، وَإِمَّا جَارِيَةٌ، قَالَ: «**فَمَنْ يُشْبِهُ؟**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ عَسَى أَنْ يُشْبِهَ؟ إِمَّا أَبَاهُ وَإِمَّا أُمَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا: «**مَهْ، لَا تقولَنَّ هَكَذَا، إِنَّ النُّطْفَةَ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فِي الرَّحِمِ أَحْضَرَهَا اللَّهُ كُلَّ نَسَبٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ آدَمَ؟ أَمَا قَرَأْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾**، قَالَ: سَلَكَكَ»[٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدت غُلامًا أسودَ؟. قَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَمَا أَلْوَانُهَا؟**»، قَالَ: حُمر، قَالَ: «**فَهَلْ فِيهَا مَنْ أورَق؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟**»، قَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزْعَةَ عِرْقٍ، قَالَ: «**وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزْعَةَ عِرْقٍ**»[٤].

وَقَدْ قَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، إِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ قِرْدٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ خِنْزِيرٍ، وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ: إِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ كَلْبٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ حِمَارٍ، وَإِنْ شَاءَ فِي صُورَةِ خِنْزِيرٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾، قَالَ: قَادِرٌ -وَاللَّهِ- رَبُّنَا عَلَى ذَلِكَ، وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ النُّطْفَةِ عَلَى

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٥.

(٢) مسند أحمد، ٢٩/ ٣٨٥، برقم ١٧٨٤٢، وحسن إسناده محققو المسند، وابن ماجه، ٢٧٠٧، وحسن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٩٩، و١١٤٣.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده، ٢٤/ ٢٧٠، وابن أبي حاتم، ٨/ ٢٤٧، والطبراني في الكبير، برقم ٤٦٢٤، وحسنه الألباني بشواهده في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٣٣٣٠.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٥٣٠٥، وصحيح مسلم، برقم ١٥٠٠.

شكل قبيح من الحيوانات الْمُنْكَرَةِ الْخَلْقِ، وَلَكِنْ بِقُدْرَتِهِ، وَلُطْفِهِ، وَحِلْمِهِ يَخْلُقُهُ عَلَى شَكْلٍ حَسَنٍ مُسْتَقِيمٍ مُعْتَدِلٍ تَامٍّ، حَسَن الْمَنْظَرِ وَالْهَيْئَةِ[١].

٩- ﴿كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾، أَيْ: بَلْ إِنَّمَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْكَرِيمِ، وَمُقَابَلَتِهِ بِالْمَعَاصِي، تَكْذِيبٌ فِي قُلُوبِكُمْ بِالْمَعَادِ، وَالْجَزَاءِ، وَالْحِسَابِ[٢].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾، أي: مع هذا الوعظ، والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء، وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة كراماً، يكتبون أقوالكم، وأفعالكم...»[٣].

١٠-١٢- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، يَعْنِي: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَمَلَائِكَةً حَفَظَةً كِرَامًا، فَلَا تُقَابِلُوهُمْ بِالْقَبَائِحِ، فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ[٤].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾، رُقَبَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَحْفَظُونَ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿كِرَاماً﴾ عَلَى اللَّهِ، ﴿كَاتِبِينَ﴾ يَكْتُبُونَ أَقْوَالَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ»[٥].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أقام الله عليكم ملائكة كراماً، يكتبون أقوالكم، وأفعالكم، ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرموهم، وتجلُّوهم، وتحترموهم»[٦].

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَصِيرُ الْأَبْرَارُ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَهُمُ الَّذِينَ أَطَاعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِالْمَعَاصِي[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ١٠٧٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٦.
(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٤٥٦.
(٦) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٨.
(٧) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٨.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، الْأَبْرَارُ الَّذِينَ بَرُّوا وَصَدَقُوا فِي إِيمَانِهِمْ بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ»[(١)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: المراد بالأبرار: القائمون بحقوق الله، وحقوق عباده، الملازمون للبرّ في أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب، والروح، والبدن، في دار الدنيا، وفي دار البرزخ، وفي دار القرار»[(٢)].

ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْفُجَّارُ مِنَ الْجَحِيمِ، وَالْعَذَابِ الْمُقِيمِ[(٣)]؛ وَلِهَذَا قَالَ:

١٥- ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْحِسَابِ، وَالْجَزَاءِ، وَالْقِيَامَةِ.

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ الذين قصروا في حقوق الله، وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾، أي: عذاب أليم، في دار الدنيا، ودار البرزخ، وفي دار القرار»[(٤)].

١٦- ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾، أَيْ: لَا يَغِيبُونَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ، أَوِ الرَّاحَةِ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا.

١٧- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ:

١٨- ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

١٩- ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، أَيْ: لَا يَقْدِرُ وَاحِدٌ عَلَى نَفْعِ أَحَدٍ، وَلَا خَلَاصِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى.

وفي حَدِيثَ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**»[(٥)]؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾؛ كَقَوْلِهِ:

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٢٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٨.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٧٨.

(٥) جزء من حديث رواه مسلم، برقم ٢٠٤، ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ
=

﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غَافِرٍ: ١٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الْفُرْقَانِ: ٢٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الْفَاتِحَةِ: ٤].

قَالَ قَتَادَةُ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، وَالْأَمْرُ - وَاللَّهِ- الْيَوْمَ لِلَّهِ، وَلَكِنَّهُ يَوْمَئِذٍ لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ[1].



=
شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا».

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٧٩.

٨٣- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ نَبِيّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾، فحسنُّوا الكيلَ بَعْدَ ذَلِكَ»[١].

وَعَنْ هِلَالِ بْنِ طَلْقٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ ابْنِ عُمَرَ، فَقُلْتُ: مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ هَيْئَةً وَأَوْفَاهُ كَيْلًا؟ أَهْلُ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «حَقٌّ لَهُمْ، أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾»[٢].

فَالْمُرَادُ بِالتَّطْفِيفِ هَاهُنَا: البَخْس فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، إِمَّا بِالِازْدِيَادِ إِنِ اقْتَضَى مِنَ النَّاسِ، وَإِمَّا بِالنُّقْصَانِ إِنْ قَضاهم. وَلِهَذَا فَسَّرَ تَعَالَى الْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ وَعَدَهُمْ بالخَسَار والهلاك وَهُوَ الْوَيْلُ، بِقَوْلِهِ:

٢- ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾، أَيْ: مِنَ النَّاسِ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾، أَيْ: يَأْخُذُونَ حَقَّهُمْ بِالْوَافِي وَالزَّائِدِ

٣- ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾، أَيْ: يَنْقِصُونَ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ يُجْعَلَ «كَالُوا»، وَ«وَزَنوا» مُتَعَدِّيًا، وَيَكُونُ هُمْ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهَا ضَمِيرًا مُؤَكِّدًا لِلْمُسْتَتِرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَالُوا﴾، وَ«وَزَنُوا»، وَيُحْذَفُ الْمَفْعُولُ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عليه، وكلاهما متقارب.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ -تَعَالَى- بِالْوَفَاءِ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ، فَقَالَ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٥]، وَقَالَ: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وَقَالَ:

---

(١) سنن ابن ماجه، برقم ٢٢٢٣، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٥٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٧٦٠.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم، برقم ١٩١٧٨، والزهد لهناد، برقم ٣٢٩.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]، وَأَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ، ودَمَّرهم عَلَى مَا كَانُوا يَبْخَسُونَ النَّاسَ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

٤-٥- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ: ﴿**أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾؟ أَيْ: أَمَا يخافُ أُولَئِكَ مِنَ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَي مَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالضَّمَائِرَ، فِي يَوْمٍ عَظِيمِ الْهَوْلِ، كَثِيرِ الْفَزَعِ، جَلِيلِ الْخَطْبِ، مَنْ خَسِرَ فِيهِ أُدْخِلَ نَارًا حَامِيَةً؟

٦- ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، أَيْ: يَقُومُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرلاً، فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرِجٍ، ضَيِّقٍ ضنك عَلَى الْمُجْرِمِ، وَيَغْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ-مَا تَعْجِزُ الْقُوَى وَالْحَوَاسُّ عَنْهُ.

قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ: عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**»[١].

وَلَفْظُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ **لعظمة الرَّحْمَنِ** ﷻ **يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِنَّ العرقَ لَيُلجِمُ الرجالَ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ**»[٢].

وعن الْمِقْدَادِ ابْنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيِّ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا كَانَ يومُ الْقِيَامَةِ أُدنِيَت الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ، حَتَّى تَكُونَ قيدَ مِيلٍ أَوْ مِيلَيْنِ، قَالَ: فَتَصْهرُهُمُ الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي العَرقِ كقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى عَقِبيه، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حَقْوَيه، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا**»[٣].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا، تَغْلِي مِنْهَا الْهَوَامُّ كَمَا تَغْلِي الْقُدُورُ، يُعرَقون فِيهَا عَلَى قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ**

---

(١) البخاري، برقم ، ومسلم، برقم ٢٨٦٢.

(٢) مسند أحمد، برقم ٥٨٢٣، ٦٠٧٥، وهي بلفظ البخاري، ومسلم عن ابن عمر، وأما الرواية الأخرى المذكورة في المتن، فهي برقم ٤٨٦٢، وصححها لغيرها محققو المسند.

(٣) مسند أحمد، ٣٩/ ٢٣٥، برقم ٢٣٨١٣، حدثنا علي ين إسحق، وليس: إبراهيم بن إسحق، وصحح إسناده محققو المسند، وهو في صحيح مسلم، ٢٨٦٤، ولفظه: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**»، قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِى مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِى تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ، قَالَ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا**».

إِلَى سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ»[١].

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قال: سمعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبيه، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغ العَجُز، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغ مَنْكِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغ وَسط فِيهِ»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَلْجَمَهَا فَاهُ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ هَكَذَا، «وَمِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ»، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِشَارَةً[٢].

وَفِي صَحِيح مُسْلِمٍ[٣] عَنْ أَبِي هُرَيرة مَرْفُوعًا ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤].

وَعن عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْتَتِحُ قِيَامَ اللَّيْلِ: «يَكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا»، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي»، وَيَتَعَوَّذُ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ القيامة»[٥].

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)﴾.

٧- يَقُولُ: حَقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾، أَيْ: إِنَّ مَصِيرَهُمْ وَمَأْوَاهُمْ لَفِي سِجِّينٍ -فِعِيلٍ مِنَ السَّجن، وَهُوَ الضِّيقُ- كَمَا يُقَالُ: فِسِّيقٌ، وَشِرِّيبٌ، وَخِمِّيرٌ، وَسِكِّيرٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا عَظَّمَ أَمْرَهُ فَقَالَ:

---

(١) مسند أحمد، برقم ٢٢١٨٦، وقوّى إسناده محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، برقم ١٧٤٣٩، وصحح إسناده لغيره محققو المسند.

(٣) صحيح مسلم، برقم ٩٨٧ بنحوه.

(٤) سنن أبي داود، برقم ٧٦٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٧٤٢.

(٥) سنن أبي داود، برقم ٧٦٦، وسنن النسائي، برقم ٥٥٣٥، وسنن ابن ماجه، برقم ١٣٥٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٧٤٢.

٨- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾؟ أَيْ: هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَسِجْنٌ مُقِيمٌ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ.

ثُمَّ قَدْ قَالَ قَائِلُونَ: هِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، فِي حَدِيثِهِ الطَّوِيلِ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ فِي رُوحِ الْكَافِرِ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ»[1]، وَسِجِّينٌ: هِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَقِيلَ: صَخْرَةٌ تَحْتَ السَّابِعَةِ خَضْرَاءُ، وَقِيلَ: بِئْرٌ فِي جَهَنَّمَ.

وَالصَّحِيحُ أَنْ «سِجِّينًا» مَأْخُوذٌ مِنَ السَّجن، وَهُوَ الضِّيقُ، فَإِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ كُلُّ مَا تَسَافَلَ مِنْهَا ضَاقَ، وَكُلُّ مَا تَعَالَى مِنْهَا اتَّسَعَ، فَإِنَّ الْأَفْلَاكَ السَّبْعَةَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَوْسَعُ، وَأَعْلَى مِنَ الَّذِي دُونَهُ، وَكَذَلِكَ الْأَرْضُونَ، كُلُّ وَاحِدَةٍ أَوْسَعُ مِنَ الَّتِي دُونَهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ السُّفُولُ الْمُطْلَقُ، وَالْمَحَلُّ الْأَضْيَقُ إِلَى الْمَرْكَزِ فِي وَسَطِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَلَمَّا كَانَ مَصِيرُ الْفُجَّارِ إِلَى جَهَنَّمَ، وَهِيَ أَسْفَلُ السَّافِلِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٥-٦].

وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾، وَهُوَ يَجْمَعُ الضِّيقَ والسفول، كما قال: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣][2].

٩- ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾، لَيْسَ تَفْسِيرًا لِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾، وَإِنَّمَا هُوَ تَفْسِيرٌ لِمَا كُتِبَ لَهُمْ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى سِجِّينٍ، أَيْ: مَرْقُومٌ مَكْتُوبٌ مَفْرُوغٌ مِنْهُ، لَا يُزَادُ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ أَحَدٌ؛ قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ[3].

١٠- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، أَيْ: إِذَا صَارُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَا أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ السِّجن، وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ، وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْهَلَاكُ، وَالدَّمَارُ، كَمَا يُقَالُ: وَيْلٌ لِفُلَانٍ، وَكَمَا جَاءَ فِي الْمُسْنَدِ[4]، وَالسُّنَنِ[5] مِنْ رِوَايَةِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ

---

(١) الحديث أخرجه أحمد، ٣٠/ ٤٩٩، برقم ١٨٥٣٤، وأوله: «عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ...»، وأصله في البخاري، برقم ٦٦٠٥، وصححه محققو المسند، ٣٠/ ٥٠٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٤.

(٣) المرجع السابق، ١٤/ ٢٨٤.

(٤) مسند أحمد، ٣٣/ ٢٤٤، برقم ٢٠٠٤٥، وحسن إسناده محققو المسند.

(٥) سنن أبي داود، برقم ٤٩٩٠، سنن الترمذي، برقم ٢٣١٥، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٥٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الجامع الصغير وزيادته، برقم ٧١٣٦.

حَيْدة، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّث فَيَكْذِبُ، ليضحِك النَّاسَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**»، ثُمَّ قَالَ تَعالَى مُفَسِّرًا لِلْمُكَذِّبِينَ الْفُجَّارِ الْكَفَرَةِ:

١١- ﴿**الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾، أَيْ: لَا يُصَدِّقُونَ بِوُقُوعِهِ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ كَوْنَهُ، وَيَسْتَبْعِدُونَ أَمْرَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

١٢- ﴿**وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**﴾، أَيْ: مُعْتَدٍ فِي أَفْعَالِهِ؛ مِنْ تَعَاطِي الْحَرَامِ، وَالْمُجَاوَزَةِ فِي تَنَاوُلِ الْمُبَاحِ، وَالْأَثِيمِ فِي أَقْوَالِهِ: إِنْ حَدَّث كَذَبَ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ.

١٣- ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾، أَيْ: إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ مِنَ الرَّسُولِ، يُكَذِّبُ بِهِ، وَيَظُنُّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُفْتَعَلٌ مَجْمُوعٌ مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ [النَّحل: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [الفُرقَان: ٥]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

١٤- ﴿**كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، وَلَا كَمَا قَالُوا، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ، وَوَحْيُهُ، وَتَنْزِيلُهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَإِنَّمَا حَجَبَ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرَّيْنِ الَّذِي قَدْ لَبِسَ قُلُوبَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾، وَالرَّيْنُ يَعْتَرِي قلوبَ الْكَافِرِينَ، وَالْغَيْمُ لِلْأَبْرَارِ، وَالْغَيْنُ لِلْمُقَرَّبِينَ[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ**

(١) انظر هذا المعنى مستوفى للقاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم، حديث رقم ٢٧٠٢، فقد قال: «قيل: ذلك عبارة عن الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان دائه فيستغفر منه؛ إذ كان أبداً فيمن يدمن ذلك، فرأى الغفلة عنه ذنبًا، وقيل: ذلك الغين همه بسبب أمته، وما اطلع عليه من أحوالها بعده، حتى يستغفر لهم، وقيل: إن ذلك لما يشغله عن عظيم مقامه من النظر في أمور أمته، ومصالحهم، ومجاهة عدوه، ومداراتهم للاستئلاف، فيرى شغله لذلك! إن كان من أعظم الطاعات، وأفضل الأعمال، نزولاً عن عليِّ درجته، ورفيع مقامه، من حضوره بهمه كله مع اللهَّ، ومشاهدته عنده، وفراغه عن غيره إليه، وخلوصه له عمن سواه، فيستغفر لذلك، وقيل: قد يكون هذا الغين السكينة التي تغشى قلبه؛ لقوله تعالى: ﴿**فَأَنزَلَ اللهُّ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ**﴾[التوبة: ٤٠]، واستغفاره إظهار للعبودية، والافتقار، وملازمة الخضوع، شكراً لما أولاه به، قال المحاسبي: خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام، وإن كانوا آمنين من عذاب اللهَّ، وقيل: يحتمل أن يكون حال خشية لإعظام يغشى القلب، ويكون استغفاره هذا على ما تقدم شكراً وإعظامًا، ولا يعتقد أن استغفاره لأَجل الغين، بل ذكر الغين قصة، والاستغفار أخرى غير مرتبطة بها». إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٨/ ٩٦.

سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَلَفْظُ النَّسَائِيِّ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ، وَاسْتَغْفَرَ، وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، فَهُوَ الرَّانُ الَّذِي قال اللَّه: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[(٢)].

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يَعْمَى الْقَلْبُ، فَيَمُوتُ، وَكَذَا قال مجاهد ابن جَبْرٍ وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ[(٣)].

١٥- ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، أَيْ: لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنزِلٌ، وَنُزُلٌ سِجِّينٌ، ثُمَّ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ ذَلِكَ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ.

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ: هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ ﷻ يَوْمَئِذٍ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَهُوَ اسْتِدْلَالٌ بِمَفْهُومِ هَذِهِ الْآيَةِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مَنْطُوقُ قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وَكَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصِّحَاحُ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ ﷻ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، رُؤْيَةٌ بِالْأَبْصَارِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، وَفِي رَوْضَاتِ الْجِنَانِ الْفَاخِرَةِ[(٤)].

١٦- ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾، أَيْ: ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا الْحِرْمَانِ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ.

١٧- ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، أَيْ: يُقَالُ لَهُمْ ذَلِكَ عَلَى

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٨٧. سنن الترمذي، برقم ٣٣٣٤، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١٠٢٥١، وسنن ابن ماجه، برقم ٤٢٤٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٦٧٠.

(٢) مسند أحمد، ١٣/ ٣٣٣، برقم ٧٩٥٢، وقوّى إسناده محققو المسند.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٥.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٧.

وَجْهِ التَّقْرِيعِ، وَالتَّوْبِيخِ، وَالتَّصْغِيرِ، وَالتَّحْقِيرِ.

﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨)﴾.

يَقُولُ تَعَالَى: حَقًّا:

١٨- ﴿إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ﴾، وَهُمْ بِخِلَافِ الْفُجَّارِ، ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾، أَيْ: مَصِيرُهُمْ إِلَى عِلِّيِّينَ، وَهُوَ بِخِلَافِ سِجِّينٍ.

قَالَ الْأَعْمَشُ[١]، عَنْ شِمرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ هِلَالِ بْنِ يَسَافٍ قَالَ: سَأَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَعْبًا، وَأَنَا حَاضِرٌ عَنْ سِجِّينٍ، قَالَ: هِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ، وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ، وَسَأَلَهُ عَنْ عِلِّيِّين فَقَالَ: هِيَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، وَفِيهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّهَا السَّمَاءُ السَّابِعَةُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾، يَعْنِي: الْجَنَّةَ.

وَالظَّاهِرُ: أَنَّ عِلِّيِّينَ مَأْخُوذٌ مِنَ الْعُلُوِّ، وَكُلَّمَا عَلَا الشَّيْءُ وَارْتَفَعَ عَظُمَ وَاتَّسَعَ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُعَظِّمًا أَمْرَهُ، وَمُفَخِّمًا شَأْنَهُ[٢]:

١٩- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾، ثُمَّ قَالَ مُؤَكِّدًا لِمَا كَتَبَ لَهُمْ:

٢٠- ٢١- ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَشْهَدُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا.

٢٢- ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ، وَجَنَّاتٍ فِيهَا فَضْلٌ عَمِيمٌ.

٢٣- ﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾، وَهِيَ: السُّرُرُ تَحْتَ الحِجَالِ، ﴿يَنْظُرُونَ﴾، قِيلَ:

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٢٩١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٨.

مَعْنَاهُ: يَنْظُرُونَ فِي مُلكهم، وَمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَالْفَضْلِ الَّذِي لَا يَنْقَضِي، وَلَا يَبِيدُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾، إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَهَذَا مُقَابَلَةٌ لِمَا وُصف بِهِ أُولَئِكَ الْفُجَّارُ: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾، فَذَكَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يُبَاحُونَ النَّظَرَ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَهُمْ عَلَى سُرُرِهِمْ، وَفُرُشِهِمْ[(١)].

٢٤- ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾، أَيْ: تَعرِفُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، أَيْ: صِفَةَ التَّرَافَةِ، وَالْحِشْمَةِ، وَالسُّرُورِ، والدّعة، وَالرِّيَاسَةِ؛ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الْعَظِيمِ.

٢٥- ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾، أَيْ: يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالرَّحِيقُ: مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ:

٢٦- ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾، أَيْ: خَلْطُهُ مِسْكٌ، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: طَيَّبَ اللَّهُ لَهُمُ الْخَمْرَ، فَكَانَ آخِرُ شَيْءٍ جُعِلَ فِيهَا مِسْكٌ، خُتِمَ بِمِسْكٍ، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ وَالْحَسَنُ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾، أَيْ: عَاقِبَتُهُ مِسْكٌ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾، قَالَ: طِيبُهُ مِسْكٌ.

٢٦- ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، أَيْ: وَفِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ فَلْيَتَفَاخَرِ المتفاخرون، وليتباهى، وَيُكَاثِرْ، وَيَسْتَبِقْ إِلَى مِثْلِهِ الْمُسْتَبِقُونَ، كَقَوْلِهِ: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصَّافَّات: ٦١].

٢٧- ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾، أَيْ: وَمِزَاجُ هَذَا الرَّحِيقِ الْمَوْصُوفِ مِنْ تَسْنِيمٍ، أَيْ: مِنْ شَرَابٍ يُقَالُ لَهُ: تَسْنِيمٌ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَاهُ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ، وَالضَّحَّاكُ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٢٨- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، أَيْ: يَشْرَبُهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وتُمزَجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَزجًا، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمْ.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٨٤.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُجْرِمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَضْحَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَحْتَقِرُونَهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَتَغَامَزُونَ عَلَيْهِمْ، أَيْ: مُحْتَقِرِينَ لَهُمْ،

٣١- ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾، أَيْ: إِذَا انْقَلَبَ، أَيْ: رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، انْقَلَبُوا إليها فاكهين، أَيْ: مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَمَعَ هَذَا مَا شَكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بَلِ اشْتَغَلُوا بِالْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْتَقِرُونَهُمْ وَيَحْسُدُونَهُمْ[1].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾، يَعْنِي الْكُفَّارَ، ﴿إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾، مُعْجَبِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ، يَتَفَكَّهُونَ بِذِكْرِهِمْ»[2].

٣٢- ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾، أَيْ: لِكَوْنِهِمْ عَلَى غَيْرِ دِينِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

٣٣- ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾، أَيْ: وَمَا بُعِثَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ حَافِظِينَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَصْدُرُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَأَقْوَالِهِمْ، وَلَا كُلِّفُوا بِهِمْ، فَلِمَ اشْتَغَلُوا بِهِمْ، وَجَعَلُوهُمْ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨ -١١١].

وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا:

٣٤- ﴿فَالْيَوْمَ﴾: يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٠.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٦٢.

أَيْ: فِي مُقَابَلَةِ مَا ضَحِكَ بِهِمْ أُولَئِكَ.

٣٥- ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾، أَيْ: إِلَى اللهِ ﷻ فِي مُقَابَلَةِ مَنْ زَعَمَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ، ولَيْسُوا بِضَالِّينَ، بَلْ هُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ، يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ.

٣٦- ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؟ أَيْ: هَلْ جُوزِيَ الْكُفَّارُ عَلَى مَا كَانُوا يُقَابِلُونَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّنَقُّصِ أَمْ لَا؟ يَعْنِي: قَدْ جُوزُوا أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَأَتَمَّهُ، وَأَكْمَلَهُ[1].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾: هَلْ جُوزِيَ ﴿الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أَيْ: جَزَاءَ اسْتِهْزَائِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَمَعْنَى الِاسْتِفْهَامِ هَاهُنَا لِلتَّقْرِيرِ، وَثُوِّبَ، وَأَثَابَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ»[2].



(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٥.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٦٣.

٨٤- تَفْسِيرُ سُورَةَ الانْشِقَاقِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ: «أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَرَأَ بِهِمْ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، فَسَجَدَ فِيهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَجَدَ فِيهَا»[(١)].

وَعَنْ بَكْرٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرِيرة الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ، قَالَ: سجدتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «سَجَدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، وَ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]»[(٣)].

﴿إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ ما فِيها وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ (٥) يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً (٨) وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً (١١) وَيَصْلى سَعِيراً (١٢) إِنَّهُ كانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤) بَلى إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيراً (١٥)﴾.

١- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[(٤)].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، أي: انفطرت، وتمايز بعضُها من بعض، وانتثرت نجومُها، وخسف بشمسها وقمرها»[(٥)].

٢- ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾، أَيْ: اسْتَمَعَتْ لِرَبِّهَا، وَأَطَاعَتْ أَمْرَهُ فِيمَا أَمَرَهَا بِهِ مِنَ الِانْشِقَاقِ، ﴿وَحُقَّتْ﴾، أَيْ: وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ أَمْرَهُ؛ لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُمانَع، وَلَا يُغَالَبُ، بَلْ قَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٥٧٨.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٧٦٦، وصحيح مسلم، برقم ٥٧٨.

(٣) صحيح مسلم، برقم ٥٧٨.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨١.

٣- ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، أَيْ: بُسطت وَفُرِشَتْ وَوُسِّعَت.

٤- ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾، أَيْ: أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَتَخَلَّتْ مِنْهُمْ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدٌ، وَقَتَادَةُ[١].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَأَلْقَتْ﴾: أَخْرَجَتْ، ﴿مَا فِيها﴾ مِنَ الْمَوْتَى وَالْكُنُوزِ، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾، خَلَتْ مِنْهَا»[٢].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الأموات، والكنوز، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ منهم، فإنه ينفخ في الصور، فتخرج الأموات من الأجداث إلى وجه الأرض، وتُخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالأسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسّرون على ما هم فيه»[٣].

٥- ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: كَمَا تَقَدَّمَ في تفسير الآية.

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾، أَيْ: سَاعٍ إِلَى رَبِّكَ سَعْيًا، وَعَامِلٌ عَمَلًا ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾، ثُمَّ إِنَّكَ سَتَلْقَى مَا عملتَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَيَشْهَدُ لَهُ مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ[٤]، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ**»، وفي لفظ: «**وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ**»[٥].

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعِيدُ الضَّمِيرَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبِّكَ﴾، أَيْ: فَمُلَاقٍ رَبَّكَ، وَمَعْنَاهُ: فَيُجَازِيكَ بِعَمَلِكَ، وَيُكَافِئُكَ عَلَى سَعْيِكَ، وَعَلَى هَذَا فَكِلَا الْقَوْلَيْنِ مُتَلَازِمٌ.

قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٦٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨١.

(٤) مسند الطيالسي، ص ٢٤٢، برقم ١٧٥٥، وهو بلفظ: «عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: قال جبريل ﷺ: «يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبّ من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك لاقيه»»، والمستدرك، ٤/ ٣٦٠، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٧٣.

(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٤/ ٣٦٠، المعجم الأوسط، ٤/ ٣٠٦، برقم ٤٢٧٨، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ٣/ ٢٥٣، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٥٢، برقم ٦٢٧.

كَدْحًا﴾، يَقُولُ: تَعْمَلُ عَمَلًا تَلْقَى اللَّهَ بِهِ، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾: إِنَّ كَدْحَكَ -يَا ابْنَ آدَمَ- لَضَعِيفٌ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَكُونَ كَدْحُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ[١].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ أي: إنك ساع إلى الله، وعامل بأوامره، ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير، وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تعدم منه جزاءً بالفضل إن كنت سعيدًا، أو بالعدل إن كنت شقيًا»[٢].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ الكادح: هو الساعي بجد، ونوع مشقة، وقوله: ﴿إلى ربك﴾ يعني: أنك تكدح كدحاً يوصلك إلى ربك، يعني أن منتهى كدحك مهما كنت ينتهي إلى الله؛ لأننا سنموت، وإذا متنا رجعنا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فمهما عملت فإن المنتهى هو الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢]؛ ولهذا قال: ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾ حتى العاصي كادح كادحًا غايته الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]، لكن الفرق بين المطيع والعاصي: أن المطيع يعمل عملاً يرضاه الله، ويصل به إلى مرضاة الله يوم القيامة، والعاصي يعمل عملاً يغضب الله، لكن مع ذلك ينتهي إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إذاً قوله: ﴿يا أيها الإنسان﴾ يعم كل إنسان مؤمن وكافر ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ الفاء يقول النحويون: إنها تدل على الترتيب والتعقيب، يعني: فأنت ملاقيه عن قرب ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤]، وكل آت قريب ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، وإذا شئت أن يتبين لك أن ملاقاة الرب عَزَّ وَجَلَّ قريبة، فانظر ما مضى من عمرك الآن، لو مضى لك مئة سنة كأنما هذه السنوات ساعة واحدة، كل الذي مضى من أعمارنا كأنه ساعة واحدة إذاً هو قريب»[٣].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨١.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١١- ٢١٢.

٧- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، أَيْ: سَهْلًا بِلَا تَعْسِيرٍ، أَيْ: لَا يُحَقِّقُ عَلَيْهِ جَمِيعُ دَقَائِقِ أَعْمَالِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ حوسب كذلك يهلك لا محالة.

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نُوقِش الْحِسَاب عُذِّب**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَلَيْسَ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ بِالْحِسَابِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ العَرْض، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**»[1].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أنه لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مُعَذَّبًا**»، فَقُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ؟ ، قَالَ: «**ذَاكَ الْعَرْضُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِش الْحِسَابَ عُذب**»، وَقَالَ بِيَدِهِ عَلَى إِصْبَعِهِ كَأَنَّهُ يَنكُتُ[2].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «**مَنْ نُوقِش الْحِسَابَ -أَوْ: مَنْ حُوسِب - عُذِّبَ**»، قَالَ: ثُمَّ قَالَتْ: «**إِنَّمَا الحسابُ اليسيرُ عَرض عَلَى اللَّهِ** ﷻ**، وَهُوَ يَرَاهُمْ**»[3].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**»، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِش الحسابَ يَا عائشةُ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ**»[4].

٩- ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، أَيْ: وَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، ﴿مَسْرُورًا﴾، أَيْ: فَرْحَانَ مُغْتَبِطًا بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ ﷻ.

---

(١) صحيح البخاري، برقم ١٠٣، ٤٩٣٩، وصحيح مسلم، برقم ٢٨٧٦، وسنن الترمذي، برقم ٢٤٢٦، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٥٩، ومسند أحمد، ٤٠/ ٢٣٦، برقم ٢٤٢٠٠، وتفسير الطبري، ٩/ ٢٤٤.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣١٤، وفي رواية البخاري عن عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ»، قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قَالَ: «ذَلِكِ الْعَرْضُ»، البخاري، برقم ٦٥٣٦.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣١٤، قال سعد الله بن عبد الله آل حميد في تعليقه على حديث الحاكم رقم ١١٧١، في تلخيص ابن الملقن لملخص الذهبي، ٧/ ٣٥٣٤ عن عائشة، قالت: «مرَّ بي رسول الله ﷺ، وأنا رافعة يدي وأنا أقول: اللهم حاسبني حساباً يسيراً، الحديث. قال الذهبي: «قلت: الحُريش بن الخِرّيت، قال البخاري: فيه نظر،: «الحديث أخرجه الحاكم هنا من طريق حرمي بن عمارة، عن الحريش بن خِرّيت، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه ابن جرير الطبري ٣٠/ ١١٦ من طريق مسلم بن إبراهيم، عن الحريش، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: من نوقش الحساب، أو: من حوسب، عُذِّب، قال: ثم قالت: إنما الحساب اليسير: عرض على الله، وهو يراهم، وأصل الحديث في الصحيحين... وحديث الحاكم ضعيف» مختصر تلخيص الذهبي، ٧/ ٣٥٣٥.

(٤) مسند أحمد، ٤٠/ ٢٦٠، برقم ٢٤٢١٥، ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**»، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ، يُكَفِّرُ اللهُ ﷻ بِهِ عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ**». وصححه محققو المسند، وقال ابن كثير في تفسيره، ١٤/ ٢٩٤: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ».

١٠- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾، أَيْ: بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، تُثْنَى يَدُهُ إِلَى وَرَائِهِ، وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِهَا كَذَلِكَ.

١١- ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾، أَيْ: خَسَارًا وَهَلَاكًا.

١٢- ١٣- ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، أَيْ: فَرِحًا لَا يُفَكِّرُ فِي الْعَوَاقِبِ، وَلَا يَخَافُ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ الْفَرَحُ الْيَسِيرُ الْحُزْنَ الطَّوِيلَ.

١٤- ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾، أَيْ: كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى اللهِ، وَلَا يُعِيدُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُهُمَا، والحَوْرُ: هُوَ الرُّجُوعُ[١]، قَالَ اللَّهُ:

١٥- ﴿بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾، يَعْنِي: بَلَى سَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا بَدَأَهُ، وَيُجَازِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِ: خَيْرِهَا، وَشَرِّهَا، فَإِنَّهُ ﴿كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾، أَيْ: عَلِيمًا خَبِيرًا.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾.

رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وعُبَادَة بْنِ الصَّامِتِ، وَأَبِي هُرَيرة، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّد بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمَكْحُولٍ، وَبَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ، وبُكَيْرِ بْنِ الْأَشَجِّ، وَمَالِكٍ، وَابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الماجَشُون أَنَّهُمْ قَالُوا: الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَر، عَنِ ابْنِ خُثَيم عَنِ ابْنِ لَبِيبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: الشَّفَقُ: الْبَيَاضُ.

فَالشَّفَقُ هُوَ: حُمْرَةُ الْأُفُقِ، إِمَّا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، كَمَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَإِمَّا بَعْدَ غُرُوبِهَا، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ.

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا ذَهَبَ قِيلَ: غَابَ الشَّفَقُ.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٥.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الشَّفَقُ: بَقِيَّةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وحمرتُها فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ العَتمَة.

وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ: الشَّفَقُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَقْتُ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ**»[١].

فَفِي هَذَا كُلِّهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الشَّفَقَ هُوَ كَمَا قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ، وَالْخَلِيلُ، وَلَكِنْ صَحَّ عن مجاهد أنه قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ:

١٦- ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ**﴾: هُوَ النَّهَارُ كُلُّهُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: الشَّفَقُ: الشَّمْسُ، رَوَاهُمَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَإِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا قَرْنهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

١٧- ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**﴾، أَيْ: جَمَعَ، كَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِالضِّيَاءِ وَالظَّلَامِ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِالنَّهَارِ مُدْبِرًا، وَبِاللَّيْلِ مُقْبِلًا، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ[٢]: وَقَالَ آخَرُونَ: الشَّفَقُ اسْمٌ لِلْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ. وَقَالُوا: هُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: ﴿**وَمَا وَسَقَ**﴾: وَمَا جَمَعَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَمَا جَمَعَ مِنْ نَجْمٍ وَدَابَّةٍ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**﴾: يَقُولُ: مَا سَاقَ مِنْ ظُلْمَةٍ، إِذَا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَأْوَاهُ.

١٨- ﴿**وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ**﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِذَا اجْتَمَعَ وَاسْتَوَى، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

﴿**وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ**﴾: إِذَا اسْتَوَى، وَقَالَ الْحَسَنُ: إِذَا اجْتَمَعَ، إِذَا امْتَلَأَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا اسْتَدَارَ.

وَمَعْنَى كَلَامِهِمْ: أَنَّهُ إِذَا تَكَامَلَ نُورُهُ وَأَبْدَرَ، جَعَلَهُ مُقَابِلًا لِلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ[٣].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل، ﴿**وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ**﴾،

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٦١٢.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣١٨.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٦.

أي: احتوى عليه من حيوانات وغيرها، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾، أي: امتلأ نورًا بإبداره، وذلك أحسن ما يكون، وأكثر منافع، والمقسم عليه قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فلا أقسم بالشفق * والليل وما وسق * والقمر إذا اتسق * لتركبن طبقاً عن طبق﴾ هذه الجملة مكونة من قسم، ومُقسم به، ومقسم عليه، ومُقسِم، فالقسم في قوله: ﴿لا أقسم بالشفق﴾ قد يظن الظان أن معنى ﴿لا أقسم﴾ نفي، وليس كذلك بل هو إثبات و﴿لا﴾ هنا جيء بها للتنبيه، ولها نظائر مثل ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾، ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾[2]، ﴿فلا أقسم برب المشارق﴾، ﴿فلا أقسم بما تبصرون﴾، وكلها يقول العلماء: إن (لا) فيها للتنبيه، وأن القسم مثبت، أما المقسِم فهو الله عَزَّ وَجَلَّ أما المقسَم به في هذه الآية فهو الشفق وما عطف عليه»[3].

١٩- قوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ-قَالَ هَذَا نَبِيّكُمْ ﷺ، هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِهَذَا اللَّفْظِ[4]، وَهُوَ مُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَسْنَدَ هَذَا التَّفْسِيرَ عَنِ النَّبِيّ ﷺ، كَأَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنْ نَبِيكُمْ ﷺ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: «نَبِيُّكُمْ» مَرْفُوعًا عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ مِنْ «قَالَ»، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[5]، كَمَا قَالَ أَنَسٌ: «لَا يَأْتِي عَامٍ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيّكُمْ ﷺ»[6].

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ؛ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَقُولُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: يَعْنِي نَبِيَّكُمْ ﷺ، يَقُولُ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، هَذَا لَفْظُهُ[7].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٢.

(٢) ذكر الطبري : في تفسيره، ٢٤/ ٤٧- ٥٠ الاختلاف في تفسير قوله تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾، فقال بعضهم: «لا» صلة، وإنما معنى الكلام: أقسم بيوم القيامة، وقال آخرون: بل دخلت «لا» توكيداً للكلام، وقال نحويُّو الكوفة: «لا» ردٌّ لكلام قد مضى من كلام المشركين، الذين كانوا ينكرون الجنة والنار، ثم ابتدأ القسم، فقال: أقسم بيوم القيامة، ورجّح العلامة الشنقيطي في أضواء البيان، ٨/ ٦٣٢: أن «لا» نافية لكلام قبلها، فلا تتعارض مع الإقسام بيوم القيامة... والثاني: أنها صلة.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١١٥-١١٦.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٠.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٧.

(٦) صحيح البخاري، برقم ٧٠٦٨.

(٧) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٢٢.

وقال علي بن أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، ومُرَة الطَّيِّب، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، قَالَ: هَذَا، يَعْنِي الْمُرَادُ بِهَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ، فَيَكُونُ مَرْفُوعًا عَلَى أَنَّ «هَذَا»، وَ«نَبِيُّكُمْ»، يُكَوِّنَانِ مُبْتَدَأً وَخَبَرًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَلَعَلَّ هَذَا قَدْ يَكُونُ هُوَ الْمُتَبَادَرُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الرُّوَاةِ، كَمَا جاء عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: «مُحَمَّدٌ ﷺ»[1].

وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْمَعْنَى قراءةُ عُمَرَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَامَّةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ: ﴿لَتَرْكَبَنّ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالْبَاءِ.

وعَنِ الشَّعْبِيِّ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: لتركَبن يَا مُحَمَّدُ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءً[2]، وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمَسْرُوقٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ. يَعْنُونَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ[3]، وروي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: مَنْزِلًا عَلَى مَنْزِلٍ، وَكَذَا رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِثْلَهُ، وَزَادَ: وَيُقَالُ: «أَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ، وَحَالًا بَعْدَ حَالٍ».

وَقَالَ السُّدِّيُّ نفسهُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: أَعْمَالُ مَنْ قَبْلِكُمْ مَنْزِلًا عَن مَنْزِلٍ[4].

كَأَنَّهُ أَرَادَ مَعْنَى الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ[5]: **«لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذْو الْقُذَّة بالقُذَّة، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحر ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ»**. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»، وَهَذَا مُحْتَمَلٌ.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: السَّمَاءُ تَنْشَقُّ ثُمَّ تَحْمَرُّ، ثُمَّ تَكُونُ لَوْنًا بَعْدَ لَوْنٍ.

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٢٣.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤١٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٩.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٩.

(٥) صحيح البخاري، برقم ٧٣٢٠، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٦٩، ولفظه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ: «**فَمَنْ؟**»، وعند الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٠٢، ولفظه: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ**»، وصَحّحه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٠٦٧.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ قَيْسِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾، قَالَ: السَّمَاءُ مَرةً كَالدِّهَانِ، وَمَرَّةً تَنْشَقُّ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ قَالَ: قَوْمٌ كَانُوا فِي الدُّنْيَا خَسِيسٌ أَمْرُهُمْ، فَارْتَفَعُوا فِي الْآخِرَةِ، وَآخَرُونَ كَانُوا أَشْرَافًا فِي الدُّنْيَا، فَاتَّضَعُوا فِي الْآخِرَةِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، فَطِيمًا بعد ما كان رضيعًا، وشيخًا بعد ما كَانَ شَابًّا.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ يَقُولُ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، رَخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ، وَشِدَّةً بَعْدَ رَخَاءٍ، وَغِنًى بَعْدَ فَقْرٍ، وَفَقْرًا بَعْدَ غِنًى، وَصِحَّةً بَعْدَ سَقَمٍ، وسَقَما بَعْدَ صِحَّةٍ[1].

قَالَ ابن جرير[2] بعد ما حَكَى أَقْوَالَ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ: وَالصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: لَتَرْكَبَنّ أَنْتَ -يَا مُحَمَّدُ- حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائد، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ -وَإِنْ كَانَ الْخطاب إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُوَجَّها- جَمِيعَ النَّاسِ، وَأَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ مِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْوَالِهِ أَحْوَالًا[3].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أي: أطوارا متعددة، وأحوالا متباينة، من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى نفخ الروح، ثم يكون وليدًا، وطفلاً، ثم مميزًا، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث، ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده بحكمته، ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم، ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، أي: لا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه»[4].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٧.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٢٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٢.

وذكر في أضواء البيان قوله: «﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ وَذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ لِمَعْنَاهُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، مَعَانِي عَدِيدَةً: طُفُولَةً، وَشَبَابًا، وَشُيُوخَةً، فَقْرًا وَغِنًى، وَقُوَّةً وَضَعْفًا، حَيَاةً وَمَوْتًا وَبَعْثًا، رَخَاءً وَشِدَّةً، إِلَى كُلِّ مَا تَحْتَمِلُهُ الْكَلِمَةُ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الْكُلُّ مُحْتَمَلٌ، وَكُلُّهُ مُرَادٌ»[1].

٢٠- ٢١- ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، أَيْ: فَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؟ وَمَا لَهُمْ إِذَا قَرَأْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ، وَكَلَامَهُ- وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ، لَا يَسْجُدُونَ إِعْظَامًا وَإِكْرَامًا وَاحْتِرَامًا؟.

٢٢- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾، أَيْ: مِنْ سَجِيَّتِهِمُ التَّكْذِيبُ، وَالْعِنَادُ، وَالْمُخَالَفَةُ لِلْحَقِّ.

٢٣- ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: يكتمون في صدورهم[2].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾، أي: بما يعملونه وينوونه سرًا، فالله يعلم سرهم، وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم»[3].

٢٤- ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أَيْ: فَأَخْبِرْهُمْ -يَا مُحَمَّدُ- بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

٢٥- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، يَعْنِي لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا -أَيْ: بِقُلُوبِهِمْ- وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرُ مَنْقُوصٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ: غَيْرُ مَحْسُوبٍ.

وَحَاصِلُ قَوْلِهِمَا أَنَّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وَقَالَ السُّدِّيُّ: قَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غَيْرُ مَنْقُوصٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عَلَيْهِمْ.

---

(١) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ٩/ ١٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٢.

وَهَذَا الْقَوْلُ الْآخَرُ عَنْ بَعْضِهِمْ قَدْ أَنْكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ؛ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَهُ الْمِنَّةُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي كُلِّ حَالٍ وَآنٍ وَلَحْظَةٍ، وَإِنَّمَا دَخَلُوهَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، لَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَلَهُ عَلَيْهِمُ الْمِنَّةُ دَائِمًا سَرْمَدًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ أَبَدًا؛ وَلِهَذَا يُلْهَمُونَ تَسْبِيحَهُ، وَتَحْمِيدَهُ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَس: ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [يُونُس: ١٠][١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ وسميت البشارة بشارة؛ لأنها تؤثر في البشرة سرورًا أو غمًا، فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان به، ومن الناس فريق هداهم الله، فآمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، فآمنوا وعملوا الصالحات، فهؤلاء لهم أجر غير ممنون أي: غير مقطوع؛ بل هو أجر دائم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٢].



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٩٩- ٣٠٠.

(٢) فبشرهم تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٢.

٨٥- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبُرُوجِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠)﴾.

يُقْسِمُ تعالى بِالسَّمَاءِ وَبُرُوجِهَا، وَهِيَ: النُّجُومُ الْعِظَامُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: الْبُرُوجُ: النُّجُومُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا: الْبُرُوجُ الَّتِي فِيهَا الْحَرَسُ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ رَافِعٍ: الْبُرُوجُ: قُصُورٌ فِي السَّمَاءِ، وَقَالَ المِنْهَال بْنُ عَمْرٍو:

١- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾: الْخَلْقُ الْحَسَنُ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ[١] أَنَّهَا: مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا، تَسِيرُ الشَّمْسُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا شَهْرًا، وَيَسِيرُ الْقَمَرُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ يَوْمَيْنِ وَثُلْثًا، فذلك ثمانية وعشرون منزلة، ويستسرّ ليلتين[٢].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أي: ذات المنازل المشتملة على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب، ونظام دال على كمال قدرة اللَّه تعالى، ورحمته، وسعة علمه، وحكمته»[٣].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿والسماء ذات البروج﴾ الواو هذه حرف قسم يعني يقسم تعالى بالسماء ﴿ذات البروج﴾ أي صاحبة البروج، والبروج جمع برج، وهو المجموعة العظيمة من النجوم، وسُمّيت بروجاً لعلوها، وارتفاعها،

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠١.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٣.

وظهورها، وبيانها، والبروج عند الفلكيين اثني عشر برجاً جمعت في قول الناظم:

حمـــــلٌ فثـــــور فجـــــوزاء فســـرطان فأســـدٌ ســـنبلة ميـــزان
فعقـــربٌ قـــوسٌ فجـــدي وكـــــذا دلـــو وذي آخرهـــا الحيتـــان

فهي اثنا عشر برجاً، ثلاثة منها للربيع، وثلاثة للصيف، وثلاثة للخريف، وثلاثة للشتاء، فيقسم الله تعالى بالسماء ذات البروج، وله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، أما نحن، فلا نقسم إلا بالله، بأسمائه، وصفاته، ولا نقسم بشيء من المخلوقات لقول النبي ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»[(١)]؛ ولقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(٢)].

٢- ٣- ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾: يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿وَشَاهِدٍ﴾: يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ، وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَلَا يَسْتَعِيذُ فِيهَا مِنْ شَرٍّ إِلَّا أَعَاذَهُ، ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ يَوْمُ عَرَفَةَ»[(٣)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، قَالَ: يَعْنِي الشاهدَ يومُ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمٌ مَشْهُودٌ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»[(٤)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، قَالَ: الشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»[(٥)].

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»، وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَلَمْ أَرَهُمْ يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ[(٦)].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٢٦٧٩.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٢٤ – ١٢٥، والحديث رواه أحمد، برقم ٦٠٧٢، وصححه محقق المسند، وأبو داود، برقم ٣٢٥١، والترمذي، برقم ١٥٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٦٢٠٤.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤١٣وهو في السنن الكبرى للبيهقي، ٣/ ٢٤٢، برقم ٥٥٦٣، ٥٥٦٤، والمعجم الأوسط للطبراني، برقم ١٠٨٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٨٢٠١. وأخرجه ابن خزيمة، برقم ١٧٢٦، وصححه محققه الأعظمي.

(٤) أحمد في المسند، ١٣/ ٣٥١، برقم ٧٩٧٢، وضعف محققو المسند رفعه، وحسّنوه موقوفاً.

(٥) مسند أحمد، ١٣/ ٣٥٢، برقم ٧٩٧٣، وصحح إسناده محققو المسند.

(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٢.

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الشَّاهِدَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَإِنَّ الْمَشْهُودَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ ذَخَرَهُ اللَّهُ لَنَا**»[(١)].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ المسَيَّب أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ سَيِّدَ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ الشاهِدُ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ**»، وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب[(٢)].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «**الشَّاهِدُ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾ [هود: ١٠٣]»[(٣)].

وَعَنْ شِبَاكٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيّ عَنْ: ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾، قَالَ: سَأَلْتَ أَحَدًا قَبْلِي؟ قَالَ: نَعَمْ، سَأَلْتُ ابْنَ عُمَرَ، وَابْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَا: «**يَوْمَ الذَّبْحِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ**»، فَقَالَ: لَا وَلَكِنَّ الشَّاهِدَ مُحَمَّدٌ ﷺ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١]، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾»[(٤)].

وَهَكَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنِ ابْنِ حَرْمَلَةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: ﴿**وَمَشْهُودٍ**﴾: يَوْمُ الْقِيَامَةِ[(٥)].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ: الشَّاهِدُ: ابْنُ آدَمَ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ[(٦)].

وَعَنْ عِكْرِمَةَ أَيْضًا: الشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ[(٧)].

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الشَّاهِدُ: اللَّهُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ[(٨)].

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾، قَالَ: الشَّاهِدُ:

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٤. ومعجم الطبراني الكبير، برقم ٣٤٥٨، ووثقه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ٥.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٥، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٣.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٤. وقال صاحب الروض البسام بترتيب وتخريج فوائد تمام، ٤/ ١٧٦: «عن سعيد بن المسيب مرسلًا: «**إن سيّد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد، والمشهود: يوم عرفة**»، وإسناده لا بأس به، ابن حرملة مختلف في تعديله، فإذا ضمَّ هذا الطريق المرسل إلى الطريقين المسندين صار الحديث حسنًا إن شاء الله، والله أعلم».

(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٥.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٤.

(٦) المرجع السابق، ١٤/ ٣٠٤.

(٧) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٤.

(٨) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٤.

الْإِنْسَانُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ. هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[(١)].

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: الشَّاهِدُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَبِهِ عَنْ سُفْيَانَ-هُوَ الثَّوْرِيُّ-عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: يَوْمُ الذَّبْحِ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ، يَعْنِي الشَّاهِدَ وَالْمَشْهُودَ[(٢)].

قَالَ **ابْنُ جَرِيرٍ**[(٣)]: وَقَالَ آخَرُونَ: الْمَشْهُودُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، ثم ساقه بإسناده حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنِي عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَيْمَنَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيٍّ، وذكر حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا عليَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ**»[(٤)].

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: الشَّاهِدُ: اللَّهُ، وَتَلَا ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، والمشهود: نَحْنُ، حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ، وَقَالَ: الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ[(٥)].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾، وهو يوم القيامة، الذي وعد اللَّه الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف اللَّه الميعاد، ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾، وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف، أي: مُبصِر، ومُبصَر، وحاضرٌ، ومحضورٌ، وراءٍ، ومرئيٌّ، والمقسم عليه، ما تضمنه هذا القسم من آيات اللَّه الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة، وقيل: إن المقسم عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾، وهذا دعاء عليهم بالهلاك»[(٦)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤١٣.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٤.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٦.
(٤) سنن ابن ماجه، برقم ١٦٣٧، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٣٣٤، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ١١١٦، وروى جزأه الأول إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي، ص ٤٠، وصححه الألباني في تحقيقه للكتاب، وجوّد إسناده ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي، (ص ١٥٨، والشوكاني في تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٥١.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٢- ٣٠٣.
(٦) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٣.

وقال في **أضواء البيان**: «اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى مَا يَقْرُبُ مِنْ عِشْرِينَ قَوْلًا، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ مَا مُلَخَّصُهُ: الشَّاهِدُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، أَوِ النَّحْرِ، وَعَزَاهُ لِعَلِيٍّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَالشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَزَاهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَالشَّاهِدُ: الْإِنْسَانُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَزَاهُ لِمُجَاهِدٍ وَعِكْرِمَةَ، وَالشَّاهِدُ: هُوَ اللَّهُ، وَالْمَشْهُودُ: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَزَاهُ لِابْنِ عَبَّاسٍ، ثُمَّ قَالَ: وَالصَّوَابُ عِنْدِي أَنَّهُ صَالِحٌ لِكُلِّ مَا يُقَالُ لَهُ شاهد، وَيُقَالُ لَهُ مَشْهُودٌ، فَلَمْ يَفْصِلْ مَا إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْحُضُورِ، أَوِ الشَّهَادَةِ، وَمِثْلُهُ الْقُرْطُبِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ، وَقَدْ فَصَّلَ أَبُو حَيَّانَ عَلَى مَا قَدَّمْنَا، فَقَالَ: إِنْ كَانَ بِمَعْنَى الْحُضُورِ، فَالشَّاهِدُ: الْإِنْسَانُ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودَ نَاسَبَ أَنْ يَذْكُرَ كُلَّ مَنْ يَشْهَدُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ قَوْلًا»[1].

قال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**وشاهد ومشهود**﴾ ذكر علماء التفسير في الشاهد والمشهود عدة أقوال، يجمعها أن اللَّه أقسم بكل شاهد، وبكل مشهود، والشهود كثيرون، منهم محمد رسول اللَّه ﷺ شهيداً علينا، كما قال الله تعالى: ﴿**وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً**﴾ [النساء: ٤١]، ومنهم هذه الأمة شهداء على الناس، ﴿**وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [البقرة: ١٤٣]، وأعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[النور: ٢٤]، ومنهم الملائكة يشهدون يوم القيامة، فكل من شهد بحق فهو داخل في قوله: ﴿**وشاهد**﴾، وأما ﴿**المشهود**﴾، فهو يوم القيامة، وما يعرض فيه من الأهوال العظيمة، كما قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾ [هُودٍ: ١٠٣]، فأقسم اللَّه بكل شاهد وبكل مشهود»[2].

٤- ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ**﴾، أَيْ: لُعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، وَجَمْعُهُ:

---

(١) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٣١- ١٣٢).

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٢٥.

أَخَادِيدُ، وَهِيَ الْحَفِيرُ فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا خَبَرٌ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَمَدوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ ﷻ، فَقَهَرُوهُمْ، وَأَرَادُوهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، فَحَفَرُوا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أخدُودًا، وَأَجَّجُوا فيه نار، وَأَعَدُّوا لَهَا وَقُودًا يُسَعِّرُونَهَا بِهِ، ثُمَّ أَرَادُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ، فَقَذَفُوهُمْ فِيهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعالَى:

٣-٧- ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۞ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۞ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾، أَيْ: مُشَاهِدُونَ لِمَا يُفْعَلُ بِأُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

٨- ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، أَيْ: وَمَا كَانَ لَهُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُضَامُ مَنْ لَاذَ بِجَنَابِهِ، الْمَنِيعِ الْحَمِيدِ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَدَّر عَلَى عِبَادِهِ هَؤُلَاءِ هَذَا الَّذِي وَقَعَ بِهِمْ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ بِهِ، فَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ، وَإِنْ خَفِيَ سَبَبُ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

٩- ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات وَالْأَرْضِ، وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**، أَيْ: لَا يَغِيبُ عَنْهُ شيء فِي جميع السموات وَالْأَرْضِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ.

وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ فِي أَهْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ، مَنْ هُمْ؟ فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ **أَنَّهُمْ أَهْلُ فَارِسٍ** حِينَ أَرَادَ مَلِكُهُمْ تَحْلِيلَ تَزْوِيجِ الْمَحَارِمِ، فَامْتَنَعَ عَلَيْهِ عُلَمَاؤُهُمْ، فَعَمَدَ إِلَى حَفْرِ أُخْدُودٍ فَقَذَفَ فِيهِ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَاسْتَمَرَّ فِيهِمْ تَحْلِيلُ الْمَحَارِمِ إِلَى الْيَوْمِ.

وَعَنْهُ **أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا بِالْيَمَنِ** اقْتَتَلَ مُؤْمِنُوهُمْ وَمُشْرِكُوهُمْ، فَغَلَبَ مُؤْمِنُوهُمْ عَلَى كُفَّارِهِمْ، ثُمَّ اقْتَتَلُوا فَغَلَبَ الْكُفَّارُ الْمُؤْمِنِينَ، فخدُّوا لَهُمُ الْأَخَادِيدَ، وَأَحْرَقُوهُمْ فِيهَا.

وَعَنْهُ **أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْحَبَشَةِ**، وَاحِدُهُمْ حَبَشِيٌّ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾**، قَالَ: نَاسٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، خَدّوا أُخْدُودًا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ أَوْقَدُوا فِيهِ نَارًا، ثُمَّ أَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ الْأُخْدُودِ رِجَالًا وَنِسَاءً، فعُرضوا عَلَيْهَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُ دَانْيَالُ وَأَصْحَابُهُ[1].

وعَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ**

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٠٥.

لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ

أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[(١)].

وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ وَقَعَ فِي الْعَالَمِ كَثِيرًا، كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: كَانَتِ الْأُخْدُودُ فِي الْيَمَنِ زَمَانَ تُبَّعٍ، وَفِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ زَمَانَ قُسْطَنْطِينَ حِينَ صَرَفَ النَّصَارَى قِبْلَتَهُمْ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ وَالتَّوْحِيدِ، فَاتَّخَذُوا أَتُّونًا، وَأُلْقِيَ فِيهِ النَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ وَالتَّوْحِيدِ، وَفِي الْعِرَاقِ فِي أَرْضِ بَابِلَ بُخْتُنَصَّرُ الَّذِي وَضَعَ الصَّنَمَ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ، فَامْتَنَعَ دَانْيَالُ وصاحباه: عُزْرَيَا، وَمِيشَائِيلُ، فَأَوْقَدَ لَهُمْ أَتُّونًا، وَأَلْقَى فِيهِ الْحَطَبَ وَالنَّارَ، ثُمَّ أَلْقَاهُمَا فِيهِ، فَجَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمَا بَرْدًا وَسَلَامًا، وَأَنْقَذَهُمَا مِنْهَا، وَأَلْقَى فِيهَا الَّذِينَ بَغَوْا عَلَيْهِ، وَهُمْ تِسْعَةُ رَهْطٍ، فَأَكَلَتْهُمُ النَّارُ[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٣٠٠٥، ومسند أحمد، ٣٩/ ٣٥١، برقم ٢٣٩٣١.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، ١٢/ ٣٨٦.

وَعَنِ السُّدِّيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُودِ﴾، قَالَ: كَانَتِ الْأُخْدُودُ ثَلَاثَةً: خَدٌّ بِالْعِرَاقِ، وخَدٌّ بِالشَّامِ، وخَدٌّ بِالْيَمَنِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[1].

«وَعَنْ مُقَاتِلٍ قَالَ: كَانَتِ الْأُخْدُودُ ثَلَاثَةً: وَاحِدَةٌ بِنَجْرَانَ بِالْيَمَنِ، وَالْأُخْرَى بِالشَّامِ، وَالْأُخْرَى بِفَارِسَ ... فَأَمَّا الَّتِي بِفَارِسَ وَالشَّامِ فَلَمْ يُنْزِلِ اللَّهُ فِيهِمْ قُرْآنًا، وَأَنْزَلَ فِي الَّتِي كَانَتْ بِنَجْرَانَ»[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾ هذه الجملة جواب القسم ﴿قتل﴾ يعني أهلك، وقيل: القتل هنا بمعنى اللعن، وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، و﴿أصحاب الأخدود﴾ هم قوم كفار أحرقوا المؤمنين بالنار، وقد وردت قصص متعددة في هؤلاء القوم، منها شيء في الشام، ومنها شيء في اليمن، والمقصود أن هؤلاء الكفار حاولوا بالمؤمنين أن يرتدوا عن دينهم، ولكنهم عجزوا، فحفروا أخدوداً حُفراً ممدودة في الأرض، كالنهر، وجمعوا الحطب الكثير، وأحرقوا المؤمنين بها، والعياذ بالله؛ ولهذا قال: ﴿النار ذات الوقود﴾ يعني أن الأخدود هي أخدود النار ﴿ذات الوقود﴾ أي: الحطب الكثير المتأجج، ﴿إذ هم عليها قعود﴾ يعني: أن هؤلاء الذين حفروا الأخاديد، وألقوا فيها المؤمنين، كانوا، والعياذ بالله، عندهم قوة وجبروت، يرون النار تلتهم هؤلاء البشر وهم قعود عليها على الأسرة، يتفكهو كأن شيئاً لم يكن، وهذا من الجبروت أن يرى الإنسان البشر تلتهمه النار، وهو جالس على سريره يتفكه بالحديث ولا يبالي، ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ يعني هم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين، أي: حضور لا يغيب عنهم ما فعلوه بالمؤمنين؛ ولذلك استحقوا هذا الوعيد، بل استحقوا هذه العقوبة أن الله أهلكهم، ولعنهم، وطردهم، وأبعدهم عن رحمته»[3].

١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، أَيْ: حَرقوا، قَالَهُ ابْنُ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١١.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٢٦.

عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ أَبْزَى.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾، أَيْ: لَمْ يُقْلِعُوا عَمَّا فَعَلُوا، وَيَنْدَمُوا عَلَى مَا أَسْلَفُوا.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾.

١١- يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ بِخِلَافِ مَا أُعِدَّ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْحَرِيقِ وَالْجَحِيمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

١٢- ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، أَيْ: إِنَّ بَطْشَهُ، وَانْتِقَامَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ كَذَّبوا رُسُلَهُ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، لَشَدِيدٌ عَظِيمٌ قَوِيٌّ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ كَمَا يَشَاءُ فِي مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ، أَوْ هُوَ أَقْرَبُ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

١٣- ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾، أَيْ: مِنْ قُوَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ التَّامَّةِ يُبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ كَمَا بَدَأَهُ، بِلَا مُمَانِعٍ وَلَا مُدَافِعٍ.

١٤- ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾، أَيْ: يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، وخَضَعَ لَدَيْهِ، وَلَوْ كَانَ الذَّنْبُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ.

وَالْوَدُودُ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هُوَ الْحَبِيبُ.

١٥- ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾، أَيْ: صَاحِبُ الْعَرْشِ الْمُعَظَّمِ الْعَالِي عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ.

و﴿الْمَجِيدُ﴾: فِيهِ قِرَاءَتَانِ: الرَّفْعُ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلرَّبِّ ﷻ، وَالْجَرُّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْعَرْشِ، وَكِلَاهُمَا مَعْنًى صَحِيحٌ[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٣.

١٦- ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾، أَيْ: مَهْمَا أَرَادَ فِعْلَهُ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ؛ لِعَظَمَتِهِ، وَقَهْرِهِ، وَحِكْمَتِهِ، وَعَدْلِهِ، كَمَا رَوَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ، وَهُوَ فِي مَرَضِ الْمَوْتِ: «هَلْ نَظَرَ إِلَيْكَ الطَّبِيبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ»[1].

١٧- ١٨- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾، أَيْ: هَلْ بَلَغَكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْبَأْسِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّقْمَةِ الَّتِي لَمْ يَرُدَّهَا عَنْهُمْ أَحَدٌ؟، وَهَذَا تَقْرِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، أَيْ: إِذَا أَخَذَ الظَّالِمَ أَخَذَهُ أَخْذًا أَلِيمًا شَدِيدًا، أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

١٩- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾، أَيْ: هُمْ فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ وَكُفْرٍ وَعِنَادٍ.

٢٠- ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾، أَيْ: هُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، قَاهِرٌ لَا يَفُوتُونَهُ، وَلَا يُعْجِزُونَهُ[2].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿والله من ورائهم محيط﴾ يعني أن الله تعالى محيط بهم من كل جانب، لا يشذون عنه، ولا عن علمه، ولا عن سلطانه، ولا عن عقابه، ولكنه عَزَّوَجَلَّ قد يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[3].

٢١- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾، أَيْ: عَظِيمٌ كَرِيمٌ[4].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ﴾ ﴿بل هو﴾ أي: ما جاء به الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ﴿قرآن مجيد﴾ أي: ذو عظمة ومجد، ووصف القرآن بأنه مجيد، لا يعني أن المجد وصف للقرآن نفسه فقط، بل هو وصف للقرآن، ولمن تحمل هذا القرآن فحمله، وقام بواجبه من تلاوته حق تلاوته، فإنه سيكون لهم المجد والعزة والرفعة»[5].

٢٢- ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾، أَيْ: هُوَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة، برقم ٣٤٤٤٠، وحلية الأولياء، ١/ ٣٤، والمحتضرين لابن أبي الدنيا، برقم ٣٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٤.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٤٦.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٤.

(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٤٦.

وَالنَّقْصِ، وَالتَّحْرِيفِ، وَالتَّبْدِيلِ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْمَجِيدَ عِنْدَ اللَّهِ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ، يُنَزِّلُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾، أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم، ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ من التغيير، والزيادة، والنقص، ومحفوظ من الشياطين، وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء، وهذا يدل على جلالة القرآن، وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم»[٢].



(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٤.

٨٦- تَفْسِيرُ سُورَةِ الطَّارِقِ

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: صَلَّى مُعَاذٌ الْمَغْرِبَ، فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ وَالنِّسَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟ مَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقْرَأَ بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَنَحْوَ هَذَا؟**»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠)﴾

يُقْسِمُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ النَّيِّرَةِ؛ ولِهَذَا قَالَ:

١-**﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾**. ثُمَّ قَالَ:

٢- **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾**، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

٣- **﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾**.

قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: إِنَّمَا سُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُرَى بِاللَّيْلِ، وَيَخْتَفِي بِالنَّهَارِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**نَهَى أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا**»[2]، أَيْ: يَأْتِيَهُمْ فجأة بالليل، وفي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الدُّعَاءِ: «**إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ**»[3].

وَقَوْلُهُ: **﴿الثَّاقِبُ﴾**، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمُضِيءُ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَثْقُبُ الشَّيَاطِينَ إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهَا، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ مُضِيءٌ وَمُحْرِقٌ لِلشَّيْطَانِ.

٤- **﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾**، أَيْ: كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ يَحْرُسُهَا مِنَ الْآفَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ**

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١١٦٠٠، وابن قانع في معجم الصحابة ١/ ١٣٦، وفوائد الحنائي الحنائيات، ١/ ٧٤٠، برقم ١٣٥، وصححه، وحديث السراج، ص ٨٨، برقم ١٧٥، وصححه النخشبي في فوائد الحنائي ١/ ٧٤٠.

(٢) انظر: صحيح البخاري، برقم ١٨٠١، ورقم ٥٢٤٣، ومسلم، برقم ٧١٥.

(٣) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١٠٧٢٦، الموطأ، - رواية يحيى الليثي، برقم ١٧٠٥، ومسند أحمد، ٢٤/ ٢٠٢، برقم ١٥٤٦١، وضعفه محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٦٠٢.

يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ الْآيَةَ [الرَّعْد: ١١].

٥- ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾، تَنْبِيهٌ لِلْإِنْسَانِ عَلَى ضَعْفِ أَصْلِهِ الَّذِي خُلق مِنْهُ، وَإِرْشَادٌ لَهُ إِلَى الاعْتِرَافِ بِالْمَعَادِ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى البَدَاءة فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، كَمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرُّوم: ٢٧].

٦- ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾، يَعْنِي: الْمَنِيُّ؛ يَخْرُجُ دفقًا مِنَ الرَّجُلِ وَمِنَ الْمَرْأَةِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الْوَلَدُ بِإِذْنِ اللهِ ﷻ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٧- ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، يَعْنِي: صُلْبَ الرَّجُلِ، وَتَرَائِبَ الْمَرْأَةِ، وَهُوَ صَدْرُهَا.

وَعَنْ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾: صُلْبِ الرَّجُلِ، وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ، أَصْفَرَ رَقِيقٍ، لَا يَكُونُ الْوَلَدُ إِلَّا مِنْهُمَا»، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَير، وَعِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ والسُّدِّي، وَغَيْرُهُمْ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، قَالَ: هَذِهِ التَّرَائِبُ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ، وَعَطِيَّةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَريبة الْمَرْأَةِ: موضع الْقِلَادَةِ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَير.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: التَّرَائِبُ: بَيْنَ ثَدْيَيْهَا.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: التَّرَائِبُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ إِلَى الصَّدْرِ، وَعَنْهُ أَيْضًا: التَّرَائِبُ: أَسْفَلُ مِنَ التَّرَاقِي.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: فَوْقَ الثَّدْيَيْنِ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَير: التَّرَائِبُ أَرْبَعَةُ أَضْلَاعٍ مِنْ هَذَا الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: التَّرَائِبُ بَيْنَ الثَّدْيَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، وَالْعَيْنَيْنِ.

وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ مَعْمَر بْن أَبِي حَبِيبَةَ الْمَدَنِيّ: أَنَّهُ بَلَغَهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، قَالَ: هُوَ عُصَارَةُ الْقَلْبِ، مِنْ هُنَاكَ يَكُونُ الْوَلَدُ.

وَعَنْ قَتَادَةَ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، مِنْ بَيْنِ صُلْبِهِ وَنَحْرِهِ[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٦.

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ يحتمل أنه من بين صلب الرجل، وترائب المرأة، وهي ثدياها، ويحتمل أن المراد المني الدافق، وهو منيُّ الرجل، وأن محلَّه الذي يخرج منه ما بين صلبه وترائبه، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف اللَّه به الماء الدافق، والذي يحس به، ويشاهد دفقه، هو مني الرجل، وكذلك لفظ الترائب؛ فإنها تستعمل في الرجل، فإن الترائب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثى، فلو أريدت الأنثى لقال: من بين الصلب والثديين، ونحو ذلك، واللَّه أعلم»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ من بين صلب الرجل، وترائبه أعلى صدره، وهذا يدل على عمق مخرج هذا الماء، وأنه يخرج من مكان مكين في الجسد، وقال بعض العلماء: ﴿يخرج من بين الصلب﴾ أي: صلب الرجل ﴿والترائب﴾ ترائب المرأة، ولكن هذا خلاف ظاهر اللفظ، والصواب أن الذي يخرج من بين الصلب والترائب هو ماء الرجل، لأن اللَّه تعالى وصفه بذلك»[٢].

٨- ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾، فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: عَلَى رَجْعِ هَذَا الْمَاءِ الدَّافِقِ إِلَى مَقَرِّهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ لَقَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، قاله مجاهد، وَعِكْرِمَةُ، وَغَيْرُهُمَا.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّهُ عَلَى رَجْعِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمَخْلُوقِ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ، أَيْ: إِعَادَتُهُ، وَبَعْثُهُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ لَقَادِرٌ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدْءِ قَدَرَ عَلَى الْإِعَادَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عز وجل هَذَا الدَّلِيلَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَ بِهِ الضَّحَّاكُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٩- ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، أَيْ: تَظْهَرُ وَتَبْدُو، وَيَبْقَى السِّرُّ عَلَانِيَةً، وَالْمَكْنُونُ مَشْهُورًا[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٥.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٥٢- ١٥٣.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٦.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»[١].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث، والنشور، والجزاء، وقد قيل: إن معناه، أن اللَّه على رجع الماء المدفوق في الصلب لقادر، وهذا، وإن كان المعنى صحيحًا، فليس هو المراد من الآية؛ ولهذا قال بعده: ﴿**يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ**﴾ أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر»[٢].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**إنه على رجعه لقادر**﴾ «إنه» أي: اللَّه عَزَّوَجَلَّ، ﴿**على رجعه**﴾ أي: على رجع الإنسان ﴿**لقادر**﴾، وذلك يوم القيامة لقوله: ﴿**يوم تبلى السرائر**﴾، فالذي قدر على أن يخلق الإنسان من هذا الماء الدافق المهين، قادر على أن يعيده يوم القيامة، وهذا من باب الاستدلال بالمحسوس على المنظور المترقب، وهو قياس عقلي، فإن الإنسان بعقله يقول إذا كان اللَّه قادراً على أن يخلق الإنسان من هذا الماء المهين ويحييه، [فإنه] قادر على أن يعيده مرة ثانية ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ [الرُّوم: ٢٧]، ولهذا يستدل اللَّه عَزَّوَجَلَّ بالمبدأ على المعاد؛ لأنه قياس جلي واضح، ينتقل العقل من هذا إلى هذا بسرعة، وبدون كلفة»[٣].

١٠- ﴿**فَمَا لَهُ**﴾ أَيِ: الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿**مِنْ قُوَّةٍ**﴾، أَيْ: فِي نَفْسِهِ، ﴿**وَلَا نَاصِرٍ**﴾، أَيْ: مِنْ خَارِجٍ مِنْهُ، أَيْ: لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْقِذَ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ أَحَدٌ ذَلِكَ.

﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ**

(١) صحيح البخاري، برقم ٣١٨٨، ومسلم، برقم ١٧٣٨، واللفظ له.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٥.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٥٣.

الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)﴾

١١- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿الرَّجْعُ﴾: الْمَطَرُ، وَعَنْهُ: هُوَ السَّحَابُ فِيهِ الْمَطَرُ، وَعَنْهُ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: تُمْطِرُ ثُمَّ تُمْطِرُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: تُرْجِعُ رِزْقَ الْعِبَادِ كُلَّ عَامٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَلَكُوا وَهَلَكَتْ مَوَاشِيهِمْ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: تَرْجِعُ نُجُومُهَا وَشَمْسُهَا وَقَمَرُهَا، يَأْتِينَ مِنْ هَاهُنَا.

١٢- ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ انْصِدَاعُهَا عَنِ النَّبَاتِ، وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيرٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ أي: ترجع السماء بالمطر كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون، والبهائم، وترجع السماء أيضًا بالأقدار، والشؤون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات»[٢].

١٣- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾، قَالَ: حَقٌّ، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَقَالَ آخَرُ: حُكْمٌ عَدْلٌ[٣].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ أي: حق وصدق بين واضح، ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ أي: جد ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف، والمقالات، وتنفصل به الخصومات، ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين للرسول ﷺ، وللقرآن ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ ليدفعوا بكيدهم الحق، ويؤيدوا الباطل، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ لإظهار الحق، ولو كره الكافرون»[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إنه لقول فصل﴾ فصل يفصل بين الحق والباطل، وبين المتقين والظالمين، بل إنه فصل، أي: قاطع لكل من ناوأه

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٨.
(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٦.

وعاداه؛ ولهذا نجد المسلمين لما كانوا يجاهدون الكفار بالقرآن، نجدهم غلبوا الكفار، وقطعوا دابرهم، وقضي بينهم، فلما أعرضوا عن القرآن هُزموا، وأذلوا بقدر بُعدهم عن القرآن، وكلما أبعد الإنسان عن كتاب الله ابتعدت عنه العزة، وابتعد عنه النصر حتى يرجع إلى كتاب الله ﷻ»[1].

١٤- ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾، أَيْ: بَلْ هُوَ حَقٌّ جِدٌّ[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿وما هو بالهزل﴾ أي: ما هو باللعب، والعبث، واللغو، بل هو حق، كلماته كلها حق، أخباره صدق، وأحكامه عدل، وتلاوته أجر، لو تلاه الإنسان كل أوانه، لم يمل منه، وإذا تلاه بتدبر وتفكر، فتح الله عليه من المعاني، ما لم يكن عنده من قبل، وهذا شيء مشاهد، اقرأ القرآن وتدبره، كلما قرأته، وتدبرته حصل لك من معانيه، ما لم يكن يحصل لك من قبل، كل هذا لأنه فصل، وليس بالهزل، لكن الكلام اللغو من كلام الناس كلما كررته مججته، وكرهته، ومللته، أما كتاب الله فلا»[3].

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بِهِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِهِ، فَقَالَ:

١٥- ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾، أَيْ: يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ.

١٧- ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾، أَيْ: أَنْظِرْهُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ، ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾، أَيْ: قَلِيلًا، أَيْ: وَتَرَى مَاذَا أُحِلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَالنَّكَالِ، وَالْعُقُوبَةِ، وَالْهَلَاكِ، كَمَا قَالَ: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤][4].



---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٨.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٥٦.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣١٨.

٨٧- تَفْسِيرُ سُورَةِ سَبِّحْ

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا[(١)].

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: «هَلَّا صَلَّيت بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»[(٢)].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِيدَيْنِ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، وَإِنْ وَافَقَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَرَأَهُمَا جَمِيعًا»[(٣)].

وَلَفْظُ مُسْلِمٍ، وَأَهْلِ السُّنَنِ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَرَأَهُمَا»[(٤)].

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، وَعَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، زَادَتْ عَائِشَةُ: «وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ»[(٥)].

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي

---

(١) البخاري، برقم ٤٩٤١.

(٢) البخاري، برقم ٧٠٥، ومسلم، برقم ٤٦٥.

(٣) مسند أحمد، ٣٠/ ٣٣٢، وبرقم ١٨٣٨٣، وصححه محققو المسند.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٨٧٨، وسنن أبي داود، برقم ١١٢٢، وسنن الترمذي، برقم ٥٣٣، وسنن النسائي، برقم ١٤١٤، وسنن ابن ماجه، برقم ١٢٨١.

(٥) مسند أحمد، عن ابن عباس، برقم ٢٧٢٠، وصححه محققو المسند، وعن عبد الرحمن بن أبزى ١٥٣٥٤، ١٥٣٥٥، وصححهما محققو المسند، وعن أبي بن كعب ٢١١٤٢، وصحح إسناده محققو المسند، وعن عائشة ٢٥٩٠٧، وصحح إسناده محققو المسند.

يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)﴾

عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الْوَاقِعَة:٧٤، ٩٦]، قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ»، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»(٢).

١- وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيّ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَرَأَهَا، قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»(٣).

٢- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، أَيْ: خَلَقَ الْخَلِيقَةَ، وسَوّى كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ.

٣- ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: هَدَى الْإِنْسَانَ لِلشَّقَاوَةِ، وَالسَّعَادَةِ، وَهَدَى الْأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا.

وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٥٠]، أَيْ: قَدَّرَ قَدْرًا، وَهَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ، كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ الله ابن عَمرو: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كتبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قال: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»(٤).

٤- ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾، أَيْ: مِنْ جَمِيعِ صُنُوفِ النَّبَاتَاتِ وَالزُّرُوعِ.

٥- ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَشِيمًا مُتَغَيِّرًا، وَعَنْ مُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، وَابْنِ زَيْدٍ، نَحْوُهُ(٥).

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ أي: أسود، أي: جعله

---

(١) مسند أحمد، ٢٨/ ٦٣٠، برقم ١٧٤١٤، وقال محققو المسند: «إسناده محتمل للتحسين»، سنن أبي داود، برقم ٨٦٩، وابن ماجه، برقم ٨٨٧، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ١٥٢، وحسنه في مشكاة المصابيح، برقم ٨٧٩.

(٢) مسند أحمد، ٣/ ٤٩٥، برقم ٢٠٦٦، وصححه محققو المسند موقوفاً، وسنن أبي داود، برقم ٨٨٣، قال الحافظ ا في تفسيره، ١٤/ ٣٢١: «رواه أبو داود، برقم ٨٨٣، عن ابن عباس موقوفاً»، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٨٢٦.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٦٨، وصححه الألباني موقوفاً في صحيح أبي داود، بعد الحديث رقم ٨٢٦.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٦٥٣.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٢.

هشيمًا رميمًا، ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتن اللَّه بأصلها ومنشئها، وهو القرآن، فقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى﴾ أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئًا، وهذه بشارة كبيرة من اللَّه لعبده ورسوله محمد ﷺ، أن اللَّه سيعلمه علمًا لا ينساه، ﴿إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة»[1].

٦- ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾، أَيْ: يَا مُحَمَّدُ ﴿فَلا تَنسَى﴾، وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَوَعْدٌ مِنْهُ لَهُ، بِأَنَّهُ سَيُقْرِئُهُ قِرَاءَةً لَا يَنْسَاهَا.

٧- ﴿إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ[2]: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَنْسَى شَيْئًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلا تَنسَى﴾ طَلَبٌ، وَجَعَلُوا مَعْنَى الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى هَذَا ما يقع من النَّسْخ، أَيْ: لَا تَنْسَى مَا نُقْرِئُكَ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ رَفْعَهُ؛ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَتْرُكَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾، أَيْ: يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ الْعِبَادُ، وَمَا يُخْفُونَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ، وَأَفْعَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.

٨- ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾، أَيْ: نُسَهِّلُ عَلَيْكَ أَفْعَالَ الْخَيْرِ، وَأَقْوَالَهُ، وَنُشَرِّعُ لَكَ شَرْعًا سَهْلًا، سَمْحًا، مُسْتَقِيمًا، عَدْلًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَلَا حَرَجَ وَلَا عُسْرَ.

٩- ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾، أَيْ: ذَكِّرْ حَيْثُ تَنْفَعُ التَّذْكِرَةُ، وَمِنْ هَاهُنَا يُؤْخَذُ الْأَدَبُ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ، فَلَا يَضَعُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، كَمَا قَالَ عبد اللَّه بن مسعود ﷺ: **مَا أَنْتَ بِمحدِّث قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ**[3]، وَقَالَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: «**حَدِّثوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!**»[4].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾ يعني: ذكر الناس، ذكرهم بآيات اللَّه، ذكرهم بأيام اللَّه، عظهم ﴿إن نفعت الذكرى﴾ يعني: في محل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٦.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٧١، وعزاه في الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٨/ ٤٨٣ إلى: عبد الرَّزَّاق، وَعبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم.

(٣) مقدمة صحيح مسلم، ١/ ١١ عن ابن مسعود ﷺ.

(٤) صحيح البخاري، برقم ١٢٧.

تنفع فيه الذكرى، وعلى هذا فتكون «إن» شرطية، والمعنى إن نفعت الذكرى فذكر، وإن لم تنفع فلا تذكر؛ لأنه لا فائدة من تذكير قوم نعلم أنهم لا ينتفعون، هذا ما قيل في هذه الآية، وقال بعض العلماء: المعنى ذكر على كل حال، إن كان هؤلاء القوم تنفع فيهم الذكرى، فيكون الشرط هنا ليس المقصود به أنه لا يُذكر إلا إذا نفعت، بل المعنى ذكر إن كان هؤلاء القوم ينفع فيهم التذكير، فالمعنى على هذا القول: ذكر بكل حال، والذكرى سوف تنفع، تنفع المؤمنين، وتنفع الُمذكِّر أيضاً، فالمذكر منتفع على كل حال، والمذكر إن انتفع بها فهو مؤمن، وإن لم ينتفع بها؛ فإن ذلك لا ينقص من أجر المذكر شيئاً، فذكر سواء نفعت الذكرى أم لم تنفع، وقال بعض العلماء: إن ظن أن الذكرى تنفع وجبت، وإن ظن أنها لا تنفع، فهو مخير إن شاء ذكر، وإن شاء لم يذكر، ولكن على كل حال نقول: لابد من التذكير حتى وإن ظننت أنها لا تنفع، فإنها سوف تنفعك أنت، وسوف يعلم الناس أن هذا الشيء الذي ذكرت عنه إما واجب، وإما حرام، وإذا سكتَّ والناس يفعلون المحرم، قال الناس: لو كان هذا محرماً لذكَّر به العلماء، أو لو كان هذا واجباً لذكَّر به العلماء، فلابد من التذكير ولابد من نشر الشريعة سواء نفعت أم لم تنفع»[1].

١٠- ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾، أَيْ: سَيَتَّعِظُ بِمَا تُبَلِّغُهُ - يَا مُحَمَّدُ - مَنْ قَلْبُهُ يَخْشَى اللَّهَ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُلَاقِيهِ[2].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿سيذكر من يخشى * ويتجنبها الأشقى﴾** فبين تعالى أن الناس ينقسمون بعد الذكرى إلى قسمين:

القسم الأول: من يخشى الله عَزَّ وَجَلَّ، أي: يخافه خوفاً عن علم بعظمة الخالق جل وعلا، فهذا إذا ذكر بآيات ربه تذكر، كما قال تعالى في وصف عباد الرحمن: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾** [الفرقان: ٧٣]، فمن يخشى الله ويخاف الله إذا ذكر، ووعظ بآيات الله اتعظ وانتفع.

أما القسم الثاني: فقال: **﴿ويتجنبها الأشقى﴾** أي: يتجنب هذه الذكرى،

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٦٨- ١٦٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٤.

ولا ينتفع بها الأشقى، و﴿الأشقى﴾ هنا اسم تفضيل من الشقاء، وهو ضد السعادة كما في سورة هود: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾ [هود: ١٠٦]، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ﴾ [هود: ١٠٨]، فالأشقى المتصف بالشقاوة يتجنب الذكرى، ولا ينتفع بها، والأشقى هو البالغ في الشقاوة غايتها، وهذا هو الكافر، فإن الكافر يذكر، ولا ينتفع بالذكرى»[1].

١١- ١٣- ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا﴾، أَيْ: لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ، بَلْ هِيَ مُضِرَّةٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ بِسَبَبِهَا يَشْعُرُ مَا يُعَاقَبُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ، وَأَنْوَاعِ النَّكَالِ.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، لَا يَمُوتُونَ، وَلَا يَحْيَوْنَ، وَأَمَّا أُنَاسٌ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِمُ الرَّحْمَةَ، فَيُمِيتُهُمْ فِي النَّارِ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الشُّفَعَاءُ، فَيَأْخُذُ الرَّجُلُ أَنْصَارَهُ فَيُنْبِتَهُمْ**»، أَوْ قَالَ: «**يَنْبُتُونَ فِي نَهَرِ الْحَيَاءِ**»، أَوْ قَالَ: «**الْحَيَاةِ**»، أَوْ قَالَ: «**الْحَيَوَانِ**»، أَوْ قَالَ: «**نَهَرِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحبَّة فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا تَرَوْنَ الشَّجَرَةَ تَكُونُ خضراءَ، ثُمَّ تكونُ صفراءَ**»، أَوْ قَالَ: «**تَكُونُ صَفْرَاءَ ثُمَّ تَكُونُ ثُمَّ تَكُونُ خَضْرَاءَ " قَالَ: فقَالَ بَعْضُهُمْ: كَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ بِالْبَادِيَةِ** »[2].

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ إِخْبَارًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزُّخْرُف:٧٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فَاطِر:٣٦]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ فِي هَذَا الْمَعْنَى[3].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨)

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٦٩.

(٢) مسند أحمد، ١٧/ ٥٩، وصحح إسناده محققو المسند، ١٧/ ٦٠، وفي صحيح مسلم، برقم ١٨٥، ولفظه: «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ».

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٤.

صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)﴾.

١٤- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، أَيْ: طهَّر نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَتَابَعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

١٥- ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾، أَيْ: أَقَامَ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا؛ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ، وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللهِ، وَامْتِثَالًا لِشَرْعِ اللَّهِ[١].

وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَصِ: إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ سَائِلٌ، وَهُوَ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، فَلْيُقَدِّمْ بَيْنَ يَدَيْ صَلَاتِهِ زَكَاتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾: زَكَّى مَالَهُ، وَأَرْضَى خَالِقَهُ[٢].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أي: قد فاز، وربح من طهّر نفسه، ونقّاها من الشرك، والظلم، ومساوئ الأخلاق، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ أي: اتصف بذكر اللَّه، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي اللَّه، خصوصًا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنى الآية الكريمة»[٣].

١٦- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، أَيْ: تُقَدِّمُونَهَا عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَتُبْدُونَهَا عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُهُمْ، وَصَلَاحُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ، وَمَعَادِهِمْ.

١٧- ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، أَيْ: ثَوَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَبْقَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا دنيَّة فَانِيَةٌ، وَالْآخِرَة شَرِيفَةٌ بَاقِيَةٌ، فَكَيْفَ يُؤْثِرُ عَاقِلٌ مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى، وَيَهْتَمُّ بِمَا يَزُولُ عَنْهُ قَرِيبًا، وَيَتْرُكُ الِاهْتِمَامَ بِدَارِ الْبَقَاءِ وَالْخُلْدِ؟!

وَعَنْ عَرْفَجة الثَّقَفِيِّ قَالَ: اسْتَقْرَأْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فَلَمَّا بَلَغَ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ تَرَكَ الْقِرَاءَةِ، وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَقَالَ: آثَرْنَا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: آثَرْنَا الدُّنْيَا لِأَنَّا رَأَيْنَا زِينَتَهَا، وَنِسَاءَهَا، وَطَعَامَهَا، وَشَرَابَهَا، وزُويت عَنَّا الْآخِرَةُ، فَاخْتَرْنَا هَذَا الْعَاجِلَ، وَتَرَكْنَا الْآجِلَ[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٢٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٦.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٧٥.

وَهَـذَا مِنْهُ عَلَى وَجْهِ التَّوَاضُعِ، وَالْهَضْمِ، أَوْ هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْجِنْسِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، ومَن أَحبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يبقى عَلَى مَا يَفْنَى»[1].

١٨- ١٩- ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾

عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، قَالَ: كُلُّهَا فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النَّجْم:٣٧]، قَالَ: وفَّى ﴿أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النَّجْم:٣٨][2].

يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ كَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى * وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النَّجْم: ٣٦-٤٢] الْآيَاتِ إِلَى آخِرِهِنَّ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ-فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ يَقُولُ: الْآيَاتُ الَّتِي فِي سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى[3].

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: قِصَّةُ هَذِهِ السُّورَةِ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى[4].

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾، أَيْ: مَضْمُونُ هَذَا الْكَلَامِ ﴿لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[5].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا اخْتِيَارٌ حَسَنٌ قَوِيٌّ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، وَابْنِ

---

(١) مسند أحمد، ٣٢/ ٤٧٠، برقم ١٩٦٩٧، ورقم ١٩٦٩٨وحسنه لغيره محققو المسند.
(٢) سنن النسائي الكبرى، ٦/ ٥١٣، برقم ١١٦٦٨، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٢٥٨، وصححه، ووافقه الذهبي.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٧٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٨.
(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٣٧٦.

زَيْدٍ، نحوُه. وَاللَّهُ أَعْلَمُ»(١).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ هَـٰذَا﴾ المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة ﴿لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد ﷺ. فهذه أوامر في كل شريعة؛ لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان»(٢).



(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٢٣٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٦.

٨٨- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، وَالْغَاشِيَةِ فِي صَلاَةِ الْعِيدِ وَيَوْمِ الْجُمُعَةِ[1].

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عُبَيدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ سَأَلَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ: بِمَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ مَعَ سُورَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: " هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»[2].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)﴾.

الْغَاشِيَةُ: مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ وتَعُمّهم[3].

١- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ يَعْنِي: قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْقِيَامَةِ، تَغْشَى كُلَّ شَيْءٍ بِالْأَهْوَالِ»[4].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ يجوز أن يكون الخطاب موجهاً للرسول ﷺ وحده، وأمته تبعاً له، ويجوز أن يكون عاماً لكل من يتأتّى خطابه، والاستفهام هنا للتشويق، فهو كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، ويجوز أن يكون للتعظيم لعظم هذا الحديث عن الغاشية ﴿حديث الغاشية﴾ أي: نبأها وخبرها، و﴿الغاشية﴾ هي الداهية العظيمة التي تغشى الناس، وهي يوم القيامة التي تحدث الله عنها في القرآن كثيراً، ووصفها بأوصاف

---

(١) مسلم، برقم ٨٧٨.
(٢) موطأ مالك، ١/ ١١١، برقم ١٩، وسنن أبي داود، برقم ١١٢٣، وسنن النسائي، برقم ١٤٢٣، وصحيح مسلم، برقم ٨٧٨، وسنن ابن ماجه، ١١١٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٨.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٤٧٨.

عظيمة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]»[1].

٢- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾، أَيْ: ذَلِيلَةٌ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَخْشَعُ، وَلَا يَنْفَعُهَا عَمَلُهَا[2].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿خَاشِعَةٌ﴾ من الذل، والفضيحة والخزي»[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾: «خاشعة» أي: ذليلة كما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، فمعنى خاشعة يعني ذليلة»[4].

٣- ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾، أَيْ: قَدْ عَمِلَتْ عَمَلًا كَثِيرًا، وَنَصِبَتْ فِيهِ، وَصَلِيَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا حامية.

رَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ عن أَبي عِمْرَانَ الجَوني يَقُولُ: «مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِدَيْرِ رَاهِبٍ، قَالَ: فَنَادَاهُ: يَا رَاهِبُ، يَا رَاهِبُ، فَأَشْرَفَ، قَالَ: فَجَعَلَ عُمَرُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَبْكِي، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا يُبْكِيكَ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾، فَذَاكَ الَّذِي أَبْكَانِي»[5].

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾: النَّصَارَى[6].

وَعَنْ عِكْرِمَةَ، وَالسُّدِّيِّ: ﴿عَامِلَةٌ﴾ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي، ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ فِي النَّارِ بِالْعَذَابِ، وَالْأَغْلَالِ[7].

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٧٨.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٧.
(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٥- ١٧٦.
(٥) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٥٦٧، وجوّد إسناده الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق، ٢/ ٦١٧.
(٦) البخاري، بعد الحديث رقم ٤٩٤١.
(٧) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٠.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِينَ عَمِلُوا، وَنَصَبُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ، مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِثْلِ الرُّهْبَانِ، وَغَيْرِهِمْ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُمُ اجْتِهَادًا فِي ضَلَالَةٍ، يَدْخُلُونَ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَمَعْنَى النَّصَبِ: الدَّأْبُ فِي الْعَمَلِ بِالتَّعَبِ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ، وَالسُّدِّيُّ: عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي، نَاصِبَةٌ فِي الْآخِرَةِ فِي النَّارِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَامِلَةٌ فِي النَّارِ، نَاصِبَةٌ فِيهَا، قَالَ الْحَسَنُ: لَمْ تَعْمَلْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، فَأَعْمَلَهَا، وَأَنْصَبَهَا فِي النَّارِ بِمُعَالَجَةِ السَّلَاسِلِ، وَالْأَغْلَالِ، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ، وَهِيَ رِوَايَةُ الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: تَخُوضُ فِي النَّارِ كَمَا تَخُوضُ الْإِبِلُ فِي الْوَحْلِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: يَجُرُّونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يُكَلَّفُونَ ارْتِقَاءَ جَبَلٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي النَّارِ، وَالْكَلَامُ خَرَجَ عَلَى «الْوُجُوهِ»، وَالْمُرَادُ مِنْهَا أَصْحَابُهَا»[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ أي: تاعبة في العذاب، تجر على وجوهها، وتغشى وجوههم النار، ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ في الدنيا؛ لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه، وهو الإيمان، صار يوم القيامة هباء منثوراً، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحًا من حيث المعنى، فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول؛ لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة؛ ولأن المقصود هنا بيان وصف أهل النار عمومًا، وذلك الاحتمال جزء قليل من أهل النار بالنسبة إلى أهلها؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا»[٢].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ عاملة عملاً يكون به النصب، وهو التعب، قال العلماء: وذلك أنهم يكلفون يوم القيامة بجر السلاسل والأغلال، والخوض في نار جهنم، كما يخوض الرجل في

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٧٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٧.

الوحل، فهي عاملة، تعبة من العمل الذي تكلف به يوم القيامة؛ لأنه عمل عذاب وعقاب، وليس المعنى كما قال بعضهم إن المراد بها: الكفار الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وذلك لأن الله قيد هذا بقوله: «﴿وجوه يومئذ﴾ أي: يومئذ تأتي الغاشية، وهذا لا يكون إلا يوم القيامة، إذن فهي عاملة ناصبة بما تكلف به من جر السلاسل والأغلال، والخوض في نار جهنم أعاذنا اللَّه منها»[١].

٤- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: ﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾، أَيْ: حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: تدخل في نار جهنم، والنار الحامية التي بلغت من حموها أنها فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءًا، يعني نار الدنيا كلها، بما فيها، من أشد ما يكون من حرارة نار جهنم أشد منها بتسعة وستين جزءًا، ويدلك على شدة حرارتها أن حرارة الشمس تصل إلينا مع بُعد ما بيننا وبينها، ومع أنها تنفذ من خلال أجواء باردة غاية البرودة، وتصل لنا هذه الحرارة التي تدرك، ولاسيما في أيام الصيف، فالنار نار حامية»[٣].

٥- ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾، أَيْ: قَدِ انْتَهَى حَرّها وَغَلَيَانُهَا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَالسُّدِّيُّ[٤].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي: حارة شديدة الحرارة ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، فهذا شرابهم»[٥].

٦- ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: شَجَرٌ مِنْ نَارٍ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الزَّقُّومُ، وَعَنْهُ: أَنَّهَا الْحِجَارَةُ.

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٠.
(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٠.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٧.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ، وَقَتَادَةُ: هُوَ الشِّبرِقُ، قَالَ قَتَادَةُ: قُرَيْشٌ تُسَمِّيهِ فِي الرَّبِيعِ الشِّبرِقُ، وَفِي الصَّيْفِ الضَّرِيعُ، قَالَ عِكْرِمَةُ: وَهُوَ شَجَرَةٌ ذَاتُ شَوْكٍ لَاطِئَةٌ بِالْأَرْضِ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ[1]: قَالَ مُجَاهِدٌ: الضريعُ نبتٌ يُقَالُ لَهُ: الشِّبرِق، يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ: الضريعَ إِذَا يَبِسَ، وَهُوَ سُمٌّ.

وَقَالَ مَعْمَر، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾: هُوَ الشِّبرِقُ، إِذَا يَبِسَ، سُمّي الضَّرِيعَ.

وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ، وَأَبْشَعِهِ، وَأَخْبَثِهِ»[2].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ: هُوَ نَبْتٌ ذُو شَوْكٍ لَاطِئٍ بِالْأَرْضِ، تُسَمِّيهِ قُرَيْشٌ الشَّبْرَقَ، فَإِذَا هَاجَ سَمَّوْهَا الضَّرِيعَ، وَهُوَ أَخْبَثُ طَعَامٍ وَأَبْشَعُهُ»[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، الضريع: قالوا: إنه شجر ذو شوك عظيم، إذا يبس لا يرعاه ولا البهائم، وإن كان أخضر رعته الإبل، ويسمى عندنا الشبرق، فهم، والعياذ بالله، في نار جهنم، ليس لهم طعام إلا من هذا الضريع، ولكن لا تظن أن الضريع الذي في نار جهنم كالضريع الذي في الدنيا، فهو يختلف عنه اختلافاً عظيماً»[4].

٧- ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، يَعْنِي: لَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودٌ، وَلَا يَنْدَفِعُ بِهِ مَحْذُورٌ[5].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾، فلا ينفعها في باطنها، فهو لا خير فيه، ليس فيه إلا الشوك، والتجرع العظيم، والمرارة،

---

(١) البخاري، بعد الحديث رقم ٤٩٤١.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣١.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٧٨.
(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٨.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣١.

والرائحة المنتنة التي لا يستفيدون منها شيئاً»[١].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦)﴾.

لَمَّا ذَكَرَ حَالَ الْأَشْقِيَاءِ، ثَنَّى بِذِكْرِ السُّعَدَاءِ فَقَالَ:

٨- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿نَّاعِمَةٌ﴾، أَيْ: يُعْرَفُ النَّعِيمُ فِيهَا، وَإِنَّمَا حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ بِسَعْيِهَا.

٩- وَقَالَ سُفْيَانُ: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾، قَدْ رَضِيَتْ عَمَلَهَا.

١٠- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾، أَيْ: رَفِيعَةٌ، بَهِيَّةٌ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ.

١١- ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ أَيْ: لَا يُسْمَعُ فِي الْجَنَّةِ الَّتِي هُمْ فِيهَا كَلِمَةَ لَغْوٍ. كَمَا قَالَ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مَرْيَم:٦٢]، وَقَالَ: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطُّور:٢٣]، وَقَالَ: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الْوَاقِعَة: ٢٥- ٢٦].

١٢- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، أَيْ: سَارِحَةٌ، وَهَذِهِ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا عَيْنًا وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هَذَا جِنْسٌ، يَعْنِي: فِيهَا عُيُونٌ جَارِيَاتٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَفْجُرُ مِنْ تَحْتِ تِلَالِ-أَوْ: مِنْ تَحْتِ جِبَالِ-الْمِسْكِ**»[٢].

١٣- ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾، أَيْ: عَالِيَةٌ نَاعِمَةٌ كَثِيرَةُ الْفَرْشِ، مُرْتَفِعَةُ السَّمْك، عَلَيْهَا الْحُورُ الْعِينُ، قَالُوا: فَإِذَا أَرَادَ وَلِيُّ اللَّهِ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى تِلْكَ السُّرُرِ الْعَالِيَةِ تَوَاضَعَتْ لَهُ.

١٤- ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾، يَعْنِي: أَوَانِي الشُّرْبِ مُعَدَّةٌ، مُرصدة لِمَنْ أَرَادَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا.

١٥- ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: النَّمَارِقُ: الْوَسَائِدُ، وَكَذَا قَالَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٧٨.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٢٢، وصحيح ابن حبان، ١٦/ ٤٢٣، برقم ٧٤٠٨، وحسنه محققه، وهو في البعث والنشور للبيهقي، برقم ٢٦٦.

عِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

١٦- ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الزَّرَابِيُّ: الْبُسُطُ، وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ.

وَمَعْنَى مَبْثُوثَةٍ، أَيْ: هَاهُنَا وَهَاهُنَا لِمَنْ أَرَادَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا[١].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)﴾.

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ بِالنَّظَرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ:

١٧- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾؟ فَإِنَّهَا خَلْقٌ عَجِيبٌ، وَتَرْكِيبُهَا غَرِيبٌ، فَإِنَّهَا فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَلِينُ لِلْحَمْلِ الثَّقِيلِ، وَتَنْقَادُ لِلْقَائِدِ الضَّعِيفِ، وَتُؤْكَلُ، وَيُنْتَفَعُ بِوَبَرِهَا، وَيُشْرَبُ لَبَنُهَا، وَنُبِّهُوا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْعَرَبَ غَالِبُ دَوَابِّهِمْ كَانَتِ الْإِبِلُ، وَكَانَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي يَقُولُ: اخْرُجُوا بِنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ.

١٨- ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؟ أَيْ: كَيْفَ رَفَعَهَا اللَّهُ ﷻ عَنِ الْأَرْضِ هَذَا الرَّفْعَ الْعَظِيمَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق:٦].

١٩- ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾، أَيْ: جُعِلَتْ مَنْصُوبَةً قَائِمَةً ثَابِتَةً، رَاسِيَةً لِئَلَّا تَمِيدَ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَعَادِنِ.

٢٠- ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؟ أَيْ: كَيْفَ بُسِطَتْ، وَمُدَّتْ، وَمُهِّدَتْ، فَنَبَّهَ الْبَدَوِيَّ عَلَى الِاسْتِدْلَالِ بِمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ بَعِيرِهِ الَّذِي هُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهِ، وَالسَّمَاءِ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِهِ، وَالْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَهُ، وَالْأَرْضِ الَّتِي تَحْتَهُ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِ ذَلِكَ، وَصَانِعِهِ، وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْعَظِيمُ، الْخَالِقُ الْمُتَصَرِّفُ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٢.

الْمَالِكُ، وَأَنَّهُ الْإِلَهُ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ[١]، وَهَكَذَا أَقْسَمَ «ضِمَام» فِي سُؤَالِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُ أَتَانَا رسولُك فزعَم لَنَا أَنَّكَ تَزعُم أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**»، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «**اللَّهُ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، آللهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رسولُك أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا؟ قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «**صَدَقَ**»، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ**»، وقال في آخره: «وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»[٢].

٢١- ٢٢- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾، أَيْ: فَذَكِّرْ -يَا مُحَمَّدُ- النَّاسَ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُهُمَا: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: لَسْتَ بِالَّذِي تُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ.

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[٣]،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٣.

(٢) مسند أحمد، ١٩/ ٤٤١، برقم ١٢٤٥٧، وصححه محققو المسند، وهو في المسند كما هنا مع نقص في فقرة: «قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرٍ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ...». وهو في صحيح البخاري، برقم ٦٣، وصحيح مسلم، برقم ١٢.

(٣) مسند أحمد، ٢٢/ ١١٩، برقم ١٤٢٠٩، وصحح إسناده محققو المسند.

وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١]، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، بِدُونِ ذِكْرِ هَذِهِ الْآيَةِ[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فذكر﴾ أمره الله أن يذكر، ولم يخصص أحداً بالتذكير، أي: لم يقل: ذكّر فلاناً وفلاناً، فالتذكير عام؛ لأن الرسول ﷺ بُعث إلى الناس كافة، أي: ذكّر كل أحد في كل حال، وفي كل مكان، فذكر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذكّر خلفاؤه من بعده الذين خلفوه في أمته، في العلم، والعمل، والدعوة، ولكن هذه الذكرى هل ينتفع بها كل الناس؟ الجواب: لا، ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، أما غير المؤمن؛ فإن الذكرى تقيم عليه الحجة، لكن لا تنفعه، لا تنفع الذكرى إلا المؤمن، ونقول: إذا رأيت قلبك لا يتذكر بالذكرى، فاتهمه، لأن الله يقول: ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فإذا ذُكرت، ولم تجد من قلبك تأثراً وانتفاعاً، فاتهم نفسك، واعلم أن فيك نقص إيمان؛ لأنه لو كان إيمانك كاملاً، لانتفعت بالذكرى، لأن الذكرى لابد أن تنفع المؤمنين، ﴿إنما أنت مذكر﴾ يعني أن محمداً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ليس إلا مذكراً مبلغاً، وأما الهداية فبيد الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقد قام ﷺ بالذكرى والتذكير إلى آخر رمق من حياته، حتى أنه في آخر حياته يقول: «الصلاةَ، الصلاةَ، وما ملكت أيمانكم»[٣]، حتى جعل يغرغر بها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فذكّر صلوات الله وسلامه عليه منذ بعث، وقيل له: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ٢]، إلى أن توفاه الله، لم يألُ جهداً في التذكير في كل موقف، وفي كل زمان على ما أصابه من الأذى من قومه، ومن غير قومه»[٤].

٢٣- ﴿إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾، أَيْ: تَوَلَّى عَنِ الْعَمَلِ بِأَرْكَانِهِ، وَكَفَرَ بِالْحَقِّ بِجِنَانِهِ وَلِسَانِهِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: ﴿فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: ٣١-٣٢]؛ وَلِهَذَا قَالَ:

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٢١.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٢٩٤٦، وصحيح مسلم، برقم ٢١.

(٣) مسند الإمام أحمد، ١٩/ ٢٠٩، برقم ١٢١٦٩، وصححه محققو المسند، وسنن ابن ماجه، برقم ١٦٢٥، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٧٩، برقم ٢٢٨٥.

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٨٥.

٢٤- ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾، وَعن أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ مَرَّ عَلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَلْيَنِ كَلِمَةٍ سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ شَرَدَ عَلَى اللَّهِ شَرادَ الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ**»[1].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾** يعني: ليس لك سلطة عليهم، ولا سيطرة عليهم، السلطة لله رب العالمين، أنت عليك البلاغ بلغ، والسلطان والسيطرة لله عَزَّ وَجَلَّ، **﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾** قال العلماء: «إلا» هنا بمعنى «لكن»، يعني أن الاستثناء في الآية منقطع، وليس بمتصل، والفرق بين المتصل والمنقطع أن المتصل يكون فيه المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع يكون أجنبيًّا منه، فمثلاً لو قلنا: إنه متصل لصار معنى الآية: «لست عليهم بمصيطر إلا من تولى وكفر فأنت عليهم مصيطر»، وليس الأمر كذلك؛ بل المعنى: لكن من تولى وكفر، بعد أن ذكرته، فيعذبه الله العذاب الأكبر، فمن تولى وكفر بعد أن بلغه الوحي النازل على رسول الله ﷺ؛ فإنه سيعذب، **﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾** التولي يعني: الإعراض، فلا يتجه للحق، ولا يقبل الحق، ولا يسمع الحق، حتى لو سمعه بأذنه لم يسمعه بقلبه، كما قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾** [الأنفال: ٢٠-٢١]، أي: لا ينقادون، فهنا يقول جَلَّ: **﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾** «تولى»: أعرض، «وكفر»: أي: استكبر، ولم يقبل ما جاء به الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ **﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾**، والعذاب الأكبر يوم القيامة، وهنا قال «الأكبر»، ولم يذكر المفضل عليه، يعني لم يقل: الأكبر من كذا، فهو قد بلغ الغاية في الكبر، والمشقة، والإهانة، وكل من تولى وكفر؛ فإن الله يعذبه العذاب الأكبر، وهناك عذاب أصغر في الدنيا، قد يبتلى المتولي المعرض بأمراض في بدنه، أو في عقله، أو في أهله، أو في ماله، أو في مجتمعه، وكل هذا بالنسبة لعذاب النار

---

(١) مسند أحمد، ٣٦/ ٥٦٠، برقم ٢٢٢٢٦، وحسّن إسناده محققو المسند.

عذاب أصغر، لكن العذاب الأكبر، إنما يكون يوم القيامة»[١].

٢٥- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾، أَيْ: مَرْجِعَهُمْ وَمُنْقَلَبَهُمْ.

٢٦- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، أَيْ: نَحْنُ نُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَنُجَازِيهِمْ بِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًا فَشَرٌّ[٢].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص١٨٦ - ١٨٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٦.

٨٩- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَجْرِ

عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: «صَلَّى مُعَاذٌ صَلَاةً، فَجَاءَ رَجُلٌ فَصَلَّى مَعَهُ فطَول، فَصَلَّى فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ: مُنَافِقٌ. فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ الْفَتَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أُصَلِّي مَعَهُ فَطَوّل عَلَيّ، فَانْصَرَفْتُ وصليتُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَعَلَّقْتُ نَاضِحِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟»[(١)]، «أَيْنَ أَنْتَ مِنْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَالْفَجْرِ﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾»[(٢)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾

١- أَمَّا الْفَجْرُ فَمَعْرُوفٌ، وَهُوَ: الصُّبْحُ. قَالَهُ عَلِيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالسُّدِّيُّ.

وَعَنْ مَسْرُوقٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ: الْمُرَادُ بِهِ فَجْرُ يَوْمِ النَّحْرِ خَاصَّةً، وَهُوَ خَاتِمَةُ اللَّيَالِي الْعَشْرِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الصَّلَاةُ الَّتِي تُفْعَلُ عِنْدَهُ، كَمَا قَالَهُ عِكْرِمَةُ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ جَمِيعُ النَّهَارِ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[(٣)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَقْسَمَ اللَّهُ ﷻ بِالْفَجْرِ، رَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ

---

(١) سنن النسائي، برقم ٨٣١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٧٥٦.

(٢) سنن النسائي الكبرى، ٦/ ٥١٥، برقم ١١٦٧٣، ولفظه: «عن جابر قال: صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال يا رسول الله جئت أصلي معه فطول علي فانصرفت وصليت في ناحية المسجد فعلفت ناضحي فقال رسول الله ﷺ لمعاذ: «أفتانًا يا معاذ فأين أنت من سبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والفجر والليل إذا يغشى»، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٣/ ١٢٨.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٧.

عَبَّاسٍ قَالَ: هُوَ انْفِجَارُ الصُّبْحِ كُلَّ يَوْمٍ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ، وقال عطية: عند صلاة الصبح، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ فَجْرُ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ تَنْفَجِرُ مِنْهُ السَّنَةُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: فَجْرُ ذِي الحجة؛ لأنه قرن بِهِ اللَّيَالِي الْعَشْرُ»[1].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**والفجر**﴾ هو النور الساطع الذي يكون في الأفق الشرقي قرب طلوع الشمس، وبينه وبين طلوع الشمس ما بين ساعة واثنتين وثلاثين دقيقة، إلى ساعة وسبع عشرة دقيقة، ويختلف باختلاف الفصول، فأحياناً تطول الحصة ما بين الفجر وطلوع الشمس، وأحياناً تقصر حسب الفصول، والفجر فجران: فجر صادق، وفجر كاذب، والمقصود بالفجر هنا: الفجر الصادق، والفرق بين الفجر الصادق والكاذب من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: الفجر الكاذب يكون مستطيلاً في السماء ليس عرضاً، ولكنه طولاً، وأما الفجر الصادق يكون عرضاً يمتد من الشمال إلى الجنوب.

الفرق الثاني: أن الفجر الصادق لا ظلمة بعده، بل يزداد الضياء حتى تطلع الشمس، وأما الفجر الكاذب؛ فإنه يحدث بعده ظلمة بعد أن يكون هذا الضياء، ولهذا سمي كاذباً؛ لأنه يضمحل ويزول.

الفرق الثالث: أن الفجر الصادق متصل بالأفق، أما الفجر الكاذب فبينه وبين الأفق ظلمة، هذه ثلاثة فروق آفاقية حسية، يعرفها الناس إذا كانوا في البر، أما في المدن، فلا يعرفون ذلك؛ لأن الأنوار تحجب هذه العلامات.

وأقسم اللَّه بالفجر؛ لأنه ابتداء النهار، وهو انتقال من ظلمة دامسة إلى فجر ساطع، وأقسم اللَّه به؛ لأنه لا يقدر على الإتيان بهذا الفجر إلا اللَّه عَزَّوَجَلَّ كما قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ**﴾ [القصص: ٧١]، وأقسم اللَّه بالفجر؛ لأنه يترتب عليه أحكام شرعية، مثل: إمساك الصائم، فإنه إذا طلع الفجر، وجب على الصائم أن يمسك إذا كان صومه فرضاً أو نفلاً، إذا أراد أن يتم صومه، ويترتب عليه أيضاً: دخول وقت صلاة الفجر، وهما حكمان شرعيان عظيمان، أهمهما دخول وقت

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨١.

الصلاة، أي: أنه يجب أن نراعي الفجر من أجل دخول وقت الصلاة، أكثر مما نراعيه من أجل الإمساك في حالة الصوم؛ لأننا في الإمساك عن المفطرات في الصيام لو فرضنا أننا أخطأنا، فإننا بنينا على أصل، وهو بقاء الليل، لكن في الصلاة لو أخطأنا وصلينا قبل الفجر، لم نكن بنينا على أصل؛ لأن الأصل بقاء الليل وعدم دخول وقت الصلاة؛ ولهذا لو أن الإنسان صلى الفجر قبل دخول وقت الصلاة بدقيقة واحدة، فصلاته نفل، ولا تبرأ بها ذمته، ومن ثَمَّ ندعوكم إلى ملاحظة هذه المسألة، أعني العناية بدخول وقت صلاة الفجر؛ لأن كثيراً من المؤذنين يؤذنون قبل الفجر، وهذا غلط؛ لأن الأذان قبل الوقت ليس بمشروع؛ لقول النبي ﷺ: «**فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ**»[1]، ويكون حضور الصلاة إذا دخل وقتها، فلو أذَّن الإنسان قبل دخول وقت الصلاة، فأذانه غير صحيح، ويجب عليه الإعادة، والعناية بدخول الفجر مهمة جداً، من أجل مراعاة وقت الصلاة»[2].

٢- وَاللَّيَالِي الْعَشْرُ: الْمُرَادُ بِهَا عَشَرُ ذِي الْحِجَّةِ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**» يَعْنِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**»[3].

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمُحَرَّمِ، حكاه أبو جعفر ابن جَرِيرٍ وَلَمْ يَعْزُهُ إِلَى أَحَدٍ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو كُدَيْنة، عَنْ قَابُوسَ بْنُ أَبِي ظِبْيان، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، قَالَ: هُوَ الْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنْ رَمَضَانَ، وَالصَّحِيحُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ[4].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٣١، وصحيح مسلم، برقم ٦٧٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ١٩٠- ١٩٢.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٩٦٩، ولفظه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ»، قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ»، واللفظ المذكور في صحيح ابن خزيمة، برقم ٢٨٦٥، وسنن أبي داود، برقم ٢٤٣٨، وسنن الترمذي، برقم ٧٥٧، وسنن ابن ماجه، برقم ١٧٢٧، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٢٤٨.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٧.

وعَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ**»[١].

وأقوال المفسرين محصورة في أربعة أقوال:

القول الأول: إنها العشر الأول من ذي الحجة، والقول الثاني: أنها العشر الأواخر من رمضان، والقول الثالث: أنها العشر الأول من محرم التي عاشرها يوم عاشوراء، والقول الرابع: أنها العشر الأول من رمضان.

ذكر هذا القول عن الضحاك، والقول الصحيح إن شاء الله تعالى ما صححه الإمام ابن كثير رحمه الله، وأنها العشر الأول من ذي الحجة، والله تعالى أعلم[٢].

وقال **العلامة محمد بن صالح العثيمين** رحمه الله: «ليال عشر»: عشر ذي الحجة، وأطلق على الأيام ليالي؛ لأن اللغة العربية واسعة، قد تطلق الليالي، ويراد بها الأيام، والأيام ويراد بها الليالي، وقيل: المراد بـ«ليال عشر» ليالي العشر الأخيرة من رمضان، أما على الأول: الذين يقولون: المراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة؛ فلأن عشر ذي الحجة أيام فاضلة، قال فيها النبي ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه، وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء**»[٣]، وأما الذين قالوا: إن المراد بالليالي العشر هي ليال عشر رمضان الأخيرة، فقالوا: إن الأصل في الليالي أنها الليالي، وليست الأيام، وقالوا: إن ليالي العشر الأخيرة من رمضان، فيها ليلة القدر التي قال الله عنها ﴿**خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [القدر: ٣]، وقال: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ [الدخان: ٣- ٤]، وهذا القول أرجح من القول الأول، وإن كان القول الأول هو قول الجمهور، لكن اللفظ لا يسعف قول الجمهور، وإنما يرجح القول الثاني أنها الليالي العشر

---

(١) مسند أحمد، ٢٢/ ٣٨٩، برقم ١٤٥١١، وقال محققو المسند: «هذا إسناد لا بأس برجاله»، وأخرجه النسائي في الكبرى، ٤/ ١٩٤- برقم ٤٠٨٦، ورقم ١١٦٠٧، و١١٦٠٨، والطبري، ٢٤/ ٣٩٧، والحاكم، ٤/ ٢٢٠، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨١، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٨، وأضواء البيان، ٧/ ٢١٠، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٨٦.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٩٦٩.

الأواخر من رمضان، وأقسم الله بها لشرفها؛ ولأن فيها ليلة القدر؛ ولأن المسلمين يختمون بها شهر رمضان الذي هو وقت فريضة من فرائض الإسلام، وأركان الإسلام؛ فلذلك أقسم الله بهذه الليالي»[١].

قلت: والصواب ما تقدم في حديث جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ**»[٢].

وقال **الإمام الطبري** رحمه الله في تفسيره وقال: «اختلف أهل التأويل في هذه الليالي العشر، أي ليالٍ هي: فقال بعضهم: هي ليالي عشر ذي الحجة، ثم ذكر ذلك عن ابن عباس، وعن عبد الله بن الزبير، وعن مسروق، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ثم قال: «والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، ثم استدل بحديث جابر عن النبي ﷺ، وساقه بإسناده[٣].

ويؤكد ذلك ما قاله **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «والليالي العشر: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، وغير واحد من السلف والخلف، ... ثم ذكر بعض الأقوال الأخرى، ثم قال: «والصحيح القول الأول»؛ ثم استدل بحديث جابر المذكور[٤]، فإذا ثبت حديث جار عن النبي ﷺ، فلا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ.

٣- ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، قَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْوَتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ؛ لِكَوْنِهِ التَّاسِعَ، وَأَنَّ الشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ لِكَوْنِهِ الْعَاشِرَ، وَقَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ أَيْضًا.

قَوْلٌ ثَانٍ: عن واصل ابن السَّائِبِ قَالَ: سَأَلْتُ عَطَاءً عَنْ قَوْلِهِ: ﴿**وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ**﴾، قلتُ: صَلَاتُنَا وِتْرَنَا هَذَا؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّ الشَّفْعَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالْوَتْرَ لَيْلَةُ الْأَضْحَى.

قَوْلٌ ثَالِثٌ: وخطب النَّاسَ عبد الله ابن الزُّبَيْرِ، فَقَامَ إِلَيْهِ رجلٌ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم «جزء عم»، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) مسند أحمد، برقم ١٤٥١١، وقال محققو السند: «هذا إسناد لا بأس برجاله»، وأخرجه النسائي في الكبرى، ٤/ ١٩٤، برقم ٤٠٨٦، ورقم ١١٦٠٧، ورقم ١١٦٠٨، والطبري، ٢٤/ ٣٩٧، والحاكم، ٤/ ٢٢٠، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٤/ ٣٩٦.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٨.

الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي عَنِ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، فَقَالَ: الشَّفْعُ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وَالْوَتْرُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٣].

وَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أيضاً: الشَّفْعُ أَوْسَطُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَالْوَتْرُ آخِرُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ[1].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيرة، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وهو وتر يحب الوتر»[2].

قَوْلٌ رَابِعٌ: قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: الْخَلْقُ كُلُّهُمْ شَفْعٌ، وَوِتْرٌ، أَقْسَمَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ، وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَالْمَشْهُورُ عَنْهُ الأول.

وَقَالَ العوفي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، قَالَ: اللَّهُ وِتْرٌ وَاحِدٌ، وَأَنْتُمْ شَفْعٌ، وَيُقَالُ: الشَّفْعُ صَلَاةُ الْغَدَاةِ، وَالْوَتْرُ: صَلَاةُ الْمَغْرِبِ.

قَوْلٌ خَامِسٌ: عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾، قَالَ: الشَّفْعُ الزَّوْجُ، وَالْوَتْرُ: اللَّهُ ﷻ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُجَاهِدٍ: اللَّهُ الْوَتْرُ، وَخَلْقُهُ الشَّفْعُ: الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ شَفْعٌ، السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَنَحْوُ هَذَا، وَنَحَا مُجَاهِدٌ فِي هَذَا مَا ذَكَرُوهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذَّارِيَات:٤٩]، أَيْ: لِتَعْلَمُوا أَنَّ خَالِقَ الْأَزْوَاجِ وَاحِدٌ.

قَوْلٌ سَادِسٌ: قَالَ قَتَادَةُ، عَنِ الْحَسَنِ: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: هُوَ الْعَدَدُ، مِنْهُ شَفْعٌ، وَمِنْهُ وَتْرٌ.

وقَوْلٌ سَابِعٌ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُهُمَا: هِيَ الصَّلَاةُ، مِنْهَا شَفْعٌ كَالرُّبَاعِيَّةِ وَالثُّنَائِيَّةِ، وَمِنْهَا وَتْرٌ كَالْمَغْرِبِ، فَإِنَّهَا ثَلَاثٌ، وَهِيَ وَتْرُ النَّهَارِ، وَكَذَلِكَ صَلَاةُ الْوِتْرِ فِي آخِرِ التَّهَجُّدِ مِنَ اللَّيْلِ[3].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ قَرَأَ حَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ: «الْوِتْرُ» بِكَسْرِ الْوَاوِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِفَتْحِهَا، وَاخْتَلَفُوا فِي الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، قِيلَ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٣٩.

(٢) صحيح البخاري، ٦٤١٠، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٧٧.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٠٠.

الشَّفْعُ: الْخَلْقُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ: ٨]، وَ«الْوَتْرُ» هُوَ اللَّهُ ﷻ، رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَهُوَ قَوْلُ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمَسْرُوقٌ: «الشَّفْعُ»: الْخَلْقُ كُلُّهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]: الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ، وَالْهُدَى وَالضَّلَالَةَ، وَالسَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، وَالْبَرَّ وَالْبَحْرَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَالْوَتْرُ هُوَ اللَّهُ ﷻ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، قَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ: «الشَّفْعُ وَالْوَتْرُ» الْخَلْقُ كُلُّهُ، مِنْهُ شَفْعٌ، وَمِنْهُ وَتْرٌ، وَرَوَى قَتَادَةُ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: هُوَ الْعَدَدُ مِنْهُ شَفْعٌ وَمِنْهُ وَتْرٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُمَا الصَّلَوَاتُ، مِنْهَا شَفْعٌ، وَمِنْهَا وَتْرٌ، وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا، وَرَوَى عَطِيَّةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الشَّفْعُ صَلَاةُ الْغَدَاةِ، وَالْوَتْرُ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ، وعن عبد الله بن الزُّبَيْرِ قَالَ: «الشَّفْعُ»: يَوْمُ النَّفْرِ الْأَوَّلِ، وَ«الْوَتَرُ»: يَوْمُ النَّفْرِ الْأَخِيرِ، رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنِ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيَالِي الْعَشْرِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الشَّفْعُ وَالْوَتْرُ: فَقَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، فَهُمَا الشَّفْعُ وَالْوَتْرُ، وَأَمَّا اللَّيَالِي الْعَشْرُ: فَالثَّمَانِ وَعَرَفَةُ وَالنَّحْرُ، وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: «الشَّفْعُ»: الْأَيَامُ وَاللَّيَالِي، وَ«الْوَتَرُ»: الْيَوْمُ الَّذِي لَا لَيْلَةَ بَعْدَهُ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: «الشَّفْعُ»: دَرَجَاتُ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّهَا ثَمَانٍ، وَ«الْوَتَرُ»: دِرْكَاتُ النَّارِ؛ لِأَنَّهَا سَبْعٌ، كَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِالْجَنَّةِ والنار، وسئل أبو بكر الْوَرَّاقُ عَنِ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ فَقَالَ: «الشَّفْعُ»: تَضَادُّ أَخْلَاقِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعِزِّ وَالذُّلِّ، وَالْقُدْرَةِ وَالْعَجْزِ، وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، وَالْبَصَرِ وَالْعَمَى، وَ«الْوَتْرُ»: انْفِرَادُ صِفَاتِ اللَّهِ: عِزٌّ بِلَا ذُلٍّ، وَقُدْرَةٌ بِلَا عَجْزٍ، وَقُوَّةٌ بِلَا ضَعْفٍ، وَعِلْمٌ بِلَا جَهْلٍ، وَحَيَاةٌ بِلَا مَوتٍ» [1].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾، الظاهر أن المقسم به، هو المقسم عليه، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمرًا ظاهرًا مهمًا، وهو كذلك

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨١- ٤٨٢.

في هذا الموضع، فأقسم تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل، ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل، وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة اللَّه تعالى، وأنه وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم اللَّه بها؛ ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، وهي على الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو عشر ذي الحجة، فإنها ليال مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات، والقربات ما لا يقع في غيرها، وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو ركن من أركان الإسلام، وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر اللَّه فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر، ولا أدحر منه في يوم عرفة؛ لما يرى من تنزل الأملاك، والرحمة من اللَّه لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة لأن يقسم اللَّه بها»[1].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمْ يَجْزِمِ ابْنُ جَرِيرٍ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ»[2].

وقال في **أضواء البيان**: «﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ قَوْلًا، وَمَجْمُوعُهَا يَشْمَلُ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، أَمَّا جُمْلَةً، فَقَالُوا: إِنَّمَا الْوَتْرُ هُوَ اللَّهُ ؛ لِلْحَدِيثِ: «**إِنَّ اللَّهَ وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ**»، وَمَا سِوَاهُ شَفْعٌ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾ [الذاريات: ٤٩]، فَهَذَا شَمِلَ كُلَّ الْوُجُودِ ... وأَمَّا التَّفْصِيلُ، فَقَالُوا: الْمَخْلُوقَاتُ: إِمَّا شَفْعٌ، كَالْحَيَوَانَاتِ أَزْوَاجًا، وَالسَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ، وَالْجَبَلِ، وَالْبَحْرِ، وَالنَّارِ، وَالْمَاءِ، وَهَكَذَا ذَكَرُوا لِكُلِّ شَيْءٍ مُقَابِلَهُ، وَمِنَ الْأَشْيَاءِ الْفَرْدُ كَالْهَوَاءِ، وَكُلُّهَا مِنْ بَابِ الْأَمْثِلَةِ، وَالْوَاقِعُ أَنَّ أَقْرَبَ الْأَقْوَالِ عِنْدِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: أَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلُ.. وَهُوَ أَنَّ الْوَتْرَ هُوَ اللَّهُ، وَالشَّفْعَ هُوَ الْمَخْلُوقَاتُ جَمِيعُهَا، هُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ، وَهُوَ الْأَعَمُّ فِي الْمَعْنَى»[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٠.

(٣) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٢١٠.

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿والشفع والوتر﴾ قيل: إن المراد به كل الخلق، فالخلق إما شفع، وإما وتر، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩]، والعبادات إما شفع، وإما وتر، فيكون المراد بالشفع والوتر كل ما كان مخلوقاً من شفع ووتر، وكل ما كان مشروعاً من شفع ووتر، وقيل: المراد بالشفع الخلق كلهم، والمراد بالوتر الله عَزَّوَجَلَّ...والوتر فيها قراءتان صحيحتان: (والوِتر)، (والوَتر)... وإذا كانت الآية تحتمل معنيين، ولا منافاة بينهما، فلتكن لكل المعاني التي تحتملها الآية، وهذه القاعدة في علم التفسير أن الآية إذا كانت تحتمل معنيين، وأحدهما لا ينافي الآخر، فهي محمولة على المعنيين جميعاً»[1].

قلت وتقدم حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَى، وَالْوَتْرُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعُ يَوْمُ النَّحْرِ»[2]، فإذا ثبت فلا قول لأحد مع قول رسول الله ﷺ، وقد قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر، ولم يخصص نوعاً من الشفع، ولا من الوتر دون نوع بخبر، ولا عقل، وكلّ شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل إنه داخل في قسمه هذا؛ لعموم قَسَمه بذلك»[3]، والعلم عند الله تعالى.

٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ إِذَا ذَهَبَ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: حَتَّى يُذْهِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَقَتَادَةُ، وَمَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ وَابْنِ زَيْدٍ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: إِذَا سَارَ.

وَهَذَا يُمْكِنُ حَمْلُهُ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَيْ: ذَهَبَ، ويحتمل أن يكون المراد إذا سار، أَيْ: أَقْبَلَ، وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا أَنْسَبُ؛ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، فَإِنَّ الْفَجْرَ هُوَ إِقْبَالُ النَّهَارِ، وَإِدْبَارُ اللَّيْلِ، فَإِذَا حُمِلَ قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ عَلَى إِقْبَالِهِ، كَانَ قَسَمًا بِإِقْبَالِ اللَّيْلِ، وَإِدْبَارِ النَّهَارِ، وَبِالْعَكْسِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ *

(١) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص ١٩٣.

(٢) مسند أحمد، برقم ١٤٥١١، والحاكم، ٤/ ٢٢٠، والنسائي في الكبرى، ٤/ ١٩٤، برقم ٤٨٦، والطبري في التفسير، ٢٤/ ٣٩٧، وتقدم الكلام عليه، وأن محققي المسند، قالوا: «هذا إسناد لا بأس برجاله»، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٠٠.

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٧-١٨]، وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، أَيْ: يَجْرِي.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ يَعْنِي: لَيْلَةَ جَمْعٍ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[١].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، أَيْ: إِذَا سار، وذهب، كما قال: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: ٣٣]»[٢].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أقسم اللَّه أيضاً بـ﴿اللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، والسرى: هو السير في الليل، والليل يسير يبدأ بالمغرب، وينتهي بطلوع الفجر، فهو يمشي زمناً لا يتوقف، فهو دائماً في سريان، فأقسم اللَّه به لما في ساعاته من العبادات: كصلاة المغرب، والعشاء، وقيام الليل، والوتر، وغير ذلك؛ ولأن في الليل مناسبة عظيمة، وهي أن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: «من يسألني فأعطيه، من يدعوني فأستجيب له، من يستغفرني فأغفر له»[٣]؛ ولهذا نقول: إن الثلث الآخر من الليل وقت إجابة، فينبغي أن ينتهز الإنسان هذه الفرصة، فيقوم للَّه عَزَّ وَجَلَّ يتهجد، ويدعو اللَّه سبحانه بما شاء من خير الدنيا والآخرة، لعله يصادف ساعة إجابة ينتفع بها في دنياه وأخراه»[٤].

٥- ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾، أَيْ: لِذِي عَقْلٍ، وَلُبٍّ، وَحِجَا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْعَقْلُ حِجْرًا؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ تَعَاطِي مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَمِنْهُ حِجْرُ الْبَيْتِ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الطَّائِفَ مِنَ اللُّصُوقِ بِجِدَارِهِ الشَّامِيِّ، وَمِنْهُ حِجْرُ الْيَمَامَةِ، وَحَجَرَ الْحَاكِمُ عَلَى فُلَانٍ: إِذَا مَنَعَهُ التَّصَرُّفَ، ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان:٢٢]، كُلُّ هَذَا مِنْ قَبِيلٍ وَاحِدٍ، وَمَعْنًى مُتَقَارِبٍ، وَهَذَا الْقَسَمُ هُوَ بِأَوْقَاتِ الْعِبَادَةِ، وَبِنَفْسِ الْعِبَادَةِ مِنْ حَجٍّ، وَصَلَاةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْقُرَبِ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمُتَّقُونَ الْمُطِيعُونَ لَهُ، الْخَائِفُونَ مِنْهُ، الْمُتَوَاضِعُونَ لَدَيْهِ، الْخَاشِعُونَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٢.

(٣) أخرجه البخاري، برقم ٦٤١٠، ومسلم برقم ٢٦٧٧.

(٤) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص ١٩٤.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٢.

٦- وَلَمَّا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ، وَعِبَادَتَهُمْ، وَطَاعَتَهُمْ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ عُتَاةً جَبَّارِينَ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ مُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ، جَاحِدِينَ لِكُتُبِهِ، فَذَكَرَ تَعَالَى كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ، وَدَمَّرَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيث وعبراً، فَقَالَ:

٦- ٧- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: وَهَؤُلَاءِ عَادٌ الْأَوْلَى، وَهُمْ أَوْلَادُ عَادِ بْنِ إِرَمَ بْنِ عَوص بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَهُمُ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولَهُ هُودًا عليه السلام، فَكَذَّبُوهُ، وَخَالَفُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧- ٨]، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، لِيَعْتَبِرَ بِمَصْرَعِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: عَطْفُ بَيَانٍ؛ زِيَادَةُ تَعْرِيفٍ بِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بُيُوتَ الشَّعْرِ الَّتِي تُرْفَعُ بِالْأَعْمِدَةِ الشِّدَادِ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ خِلْقَةً، وَأَقْوَاهُمْ بَطْشًا، وَلِهَذَا ذكَّرهم هُودٌ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩]، وقال تعالى: ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾، وقال تعالى:﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]، وَقَالَ هَاهُنَا[١]:

وقال الإمام البغوي رحمه الله: «﴿أَلَمْ تَرَ﴾، قَالَ الْفَرَّاءُ: أَلَمْ تُخْبَرْ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَلَمْ تَعْلَمْ، وَمَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ»[٢].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بقلبك، وبصيرتك، كيف فُعِل بهذه

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٢.

الأمم الطاغية، وهي ﴿إِرَمَ﴾ القبيلة المعروفة في اليمن ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: القوة الشديدة، والعتوّ، والتجبّر»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إرم﴾ هذه اسم للقبيلة، وقيل اسم للقرية، وقيل غير ذلك، فسواء كانت اسماً للقبيلة، أو اسماً للقرية، فإن الله تعالى نكّل بهم نكالاً عظيماً، مع أنهم أقوياء، وقوله: ﴿ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ يعني أصحاب ﴿العماد﴾ الأبنية القوية»[٢].

٨- ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾، أَي: الْقَبِيلَةُ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي بِلَادِهِمْ، لِقُوَّتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ وَعِظَمِ تَرْكِيبِهِمْ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: إِرَمَ: أُمَّةٌ قَدِيمَةٌ، يَعْنِي: عَادًا الْأُولَى، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ، والسُّدِّيُّ: إِنَّ إِرَمَ بَيْتُ مَمْلَكَةِ عَادٍ، وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالْكَلْبِيُّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: كَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ، لَا يُقِيمُونَ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ لِطُولِهِمْ.

وَاخْتَارَ الْأَوَّلَ ابنُ جَرِيرٍ، وَرَدَّ الثَّانِي فَأَصَابَ[٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾: أَعَادَ ابْنُ زَيْدٍ الضميرَ عَلَى الْعِمَادِ؛ لِارْتِفَاعِهَا، وَقَالَ: بَنَوْا عُمُدا بِالْأَحْقَافِ، لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَأَمَّا قَتَادَةُ، وَابْنُ جَرِيرٍ فَأَعَادَ الضَّمِيرَ عَلَى الْقَبِيلَةِ، أَيْ: لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ فِي الْبِلَادِ، يَعْنِي فِي زَمَانِهِمْ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّوَابُ، وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ وَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَهُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ أَرَادَ ذَلِكَ لَقَالَ: الَّتِي لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾[٤].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُلْتُ: فَعَلَى كُلِّ قَوْلٍ، سَوَاءٌ كَانَتِ الْعِمَادُ أَبْنِيَةً بَنَوْهَا، أَوْ أَعْمِدَةَ بُيُوتِهِمْ لِلْبَدْوِ، أَوْ سِلَاحًا يُقَاتِلُونَ بِهِ، أَوْ طُولَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٩.

(٢)تفسير القرآن الكريم، جزء عم، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص ١٩٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٣.

فَهُمْ قَبِيلَةٌ، وَأُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ، وَهُمُ الْمَذْكُورُونَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، الْمَقْرُونُونَ بِثَمُودَ كَمَا هَاهُنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[١].

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾: مَدِينَةٌ إِمَّا دِمَشْقُ، كَمَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَعِكْرِمَةَ، أَوِ إِسْكَنْدَرِيَّةُ كَمَا رُوِيَ عَنِ الْقُرَظِيِّ أَوْ غَيْرُهُمَا، فَفِيهِ نَظَرٌ، فَإِنَّهُ كَيْفَ يَلْتَئِمُ الْكَلَامُ عَلَى هَذَا: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ إِنْ جَعَلَ ذَلِكَ بَدَلًا، أَوْ عَطْفَ بَيَانٍ؛ فَإِنَّهُ لَا يَتَّسِقُ الْكَلَامُ حِينَئِذٍ، ثُمَّ الْمُرَادُ إِنَّمَا هُوَ الْإِخْبَارُ عَنْ إِهْلَاكِ الْقَبِيلَةِ الْمُسَمَّاةِ بِعَادٍ، وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ بَأْسِهِ الَّذِي لَا يُرَد، لَا أَنَّ المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم.

وَإِنَّمَا نَبَّهْتُ عَلَى ذَلِكَ لِئَلَّا يُغْتَرَّ بِكَثِيرٍ مِمَّا ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عِنْدَ هَذِهِ الْآيَةِ، مِنْ ذِكْرِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، قُصُورُهَا، وَدَوْرُهَا، وَبَسَاتِينُهَا، وَإِنَّ حَصْبَاءَهَا لَآلِئٌ وَجَوَاهِرُ، وَتُرَابُهَا بَنَادِقُ الْمِسْكِ، وَأَنْهَارُهَا سَارِحَةٌ، وَثِمَارُهَا سَاقِطَةٌ، وَدُورُهَا لَا أَنِيسَ بِهَا، وَسُورُهَا وَأَبْوَابُهَا تَصْفَرُّ، لَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلَا مُجِيبٌ، وَأَنَّهَا تَنْتَقِلُ، فَتَارَةً تَكُونُ بِأَرْضِ الشَّامِ، وَتَارَةً بِالْيَمَنِ، وَتَارَةً بِالْعِرَاقِ، وَتَارَةً بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ؛ فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ مِنْ خُرَافَاتِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، مِنْ وَضْعِ بَعْضِ زَنَادِقَتِهِمْ، لِيَخْتَبِرُوا بِذَلِكَ عُقُولَ الْجَهَلَةِ مِنَ النَّاسِ أَنْ تُصَدِّقَهُمْ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ»[٢].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِرَمَ﴾: القبيلة المعروفة في اليمن، ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، أي: القوة الشديدة، والعتوّ والتجبّر»[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ يعني أصحاب ﴿العماد﴾: الأبنية القوية ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾، أي: لم يصنع مثلها في البلاد؛ لأنها قوية ومحكمة، وهذا هو الذي غرهم وقالوا: ﴿مَن أشد منا قوة؟﴾، وفي قوله: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾، مع أن الذي صنعها الادمي، وهذا دليل على أن الآدمي قد يوصف

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٩.

بالخلق فيقال: خلق كذا، ومنه قول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في المصورين «**يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[(١)]، لكن الخلق الذي ينسب للمخلوق ليس هو الخلق المنسوب إلى الله، الخلق المنسوب إلى الله إيجاد بعد عدم وتحويل وتغيير، أما الخلق المنسوب لغير الله، فهو مجرد تحويل وتغيير»[(٢)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقولُ ابْنِ جَرِيرٍ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ﴾ قَبِيلَةً، أَوْ بَلْدَةً كَانَتْ عَادٌ تَسْكُنُهَا؛ فَلِذَلِكَ لَمْ تُصرَف، فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ السِّيَاقِ إِنَّمَا هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْقَبِيلَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهُ[(٣)]:

٩- ﴿**وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**﴾، يَعْنِي: يَقْطَعُونَ الصَّخْرَ بِالْوَادِي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَنْحِتُونَهَا، وَيَخْرِقُونَهَا، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ. وَمِنْهُ يُقَالُ: «مُجْتَابِي النِّمَارَ»، إِذَا خَرَقُوهَا، وَاجْتَابَ الثَّوْبَ: إِذَا فَتَحَهُ، وَمِنْهُ الْجَيْبُ أَيْضًا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ**﴾ [الشُّعَرَاء:١٤٩].

١٠- ﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ**﴾، قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْأَوْتَادُ: الْجُنُودُ الَّذِينَ يَشُدُّونَ لَهُ أَمْرَهُ، وَيُقَالُ: كَانَ فِرْعَوْنُ يُوتِدُ أَيْدِيَهُمْ، وَأَرْجُلَهُمْ فِي أَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ، يُعَلِّقُهُمْ بِهَا، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانَ يُوتِدُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ، وَهَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنُ، وَالسُّدِّيُّ، قَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ يَرْبِطُ الرَّجُلَ، كُلُّ قَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِهِ فِي وَتَدٍ، ثُمَّ يُرْسِلُ عَلَيْهِ صَخْرَةً عَظِيمَةً فَتَشْدَخُهُ.
وَقَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَطَالُّ وَمَلَاعِبُ، يَلْعَبُ لَهُ تَحْتَهَا، مِنْ أَوْتَادٍ وَحِبَالٍ.
وَقَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ: قِيلَ لِفِرْعَوْنَ ﴿**ذِي الْأَوْتَادِ**﴾؛ لِأَنَّهُ ضَرَبَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ، ثُمَّ جَعَلَ عَلَى ظَهْرِهَا رَحًى عَظِيمَةً حَتَّى مَاتَتْ»[(٤)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ**﴾ أي: ذي الجنود الذين ثَبَّتُوا ملكه، كما تُثَبِّتُ الأوتاد ما يراد إمساكه بها»[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٩٥٠، وصحيح مسلم، برقم ٢١٠٤.
(٢) تفسير القرآن لابن عثيمين: جزء عم، ص ١٩٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٣.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٨٩.

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ذي الأوتاد﴾ أي: ذي القوة؛ لأن جنوده كانوا له بمنزلة الوتد، والوتد تربط به حبال الخيمة، فتستقر وتثبت، فله جنود أمم عظيمة ما بين ساحر، وكاهن، وغير ذلك؛ لكن اللَّه سبحانه فوق كل شيء»(١).

١١- ١٢- ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾، أَيْ: تَمَرَّدُوا، وَعَتَوْا، وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ بِالْإِفْسَادِ، وَالْأَذِيَّةِ لِلنَّاسِ.

١٣- ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، أَيْ: أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ، وَأَحَلَّ بِهِمْ عُقُوبَةً لَا يَرُدُّهَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

١٤- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَسْمَعُ وَيَرَى، يَعْنِي: يَرْصُدُ خَلْقَهُ فِيمَا يَعْمَلُونَ، وَيُجَازِي كُلًّا بِسَعْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْأُخْرَى، وَسَيُعْرَضُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ عَلَيْهِ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ، وَيُقَابِلُ كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ، وَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ(٢).

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)﴾.

١٥- ١٦- يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اعْتِقَادِهِ إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ لِيَخْتَبِرَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِكْرَامٌ لَهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾** [الْمُؤْمِنُونَ:٥٥ - ٥٦].

وَكَذَلِكَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ: إِذَا ابْتَلَاهُ، وَامْتَحَنَهُ، وضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِهَانَةٌ لَهُ، قَالَ اللَّهُ: **﴿كَلا﴾**، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، لَا فِي هَذَا، وَلَا فِي هَذَا، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَإِنَّمَا الْمَدَارُ فِي ذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ

---

(١) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين: جزء عم، ص: ١٩٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٦.

مِنَ الْحَالَيْنِ، إِذَا كَانَ غَنِيًّا بِأَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا بِأَنْ يَصْبِرَ[1].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كلا﴾ يعني: لم يعطك ما أعطاك إكراماً لك؛ لأنك مستحق، ولكنه تفضل منه، ولم يهنك حين قدر عليك رزقه، بل هذا مقتضى حكمته وعدله»[2].

١٧- ﴿بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾، فِيهِ أَمْرٌ بِالْإِكْرَامِ لَهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا**»، وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ يعني: أنتم إذا أكرمكم اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بالنعم، لا تعطفون على المستحقين للإكرام، وهم اليتامى، فاليتيم هنا اسم جنس، ليس المراد يتيماً واحداً، بل جنس اليتامى، واليتيم قال العلماء: هو الذي مات أبوه قبل بلوغه من ذكر أو أنثى، وأما من ماتت أمه فليس بيتيم، وقوله تعالى: ﴿اليتيم﴾ يشمل الفقير من اليتامى، والغني من اليتامى؛ لأنه ينبغي الإحسان إليه وإكرامه؛ لأنه انكسر قلبه بفقد أبيه، ومن يقوم بمصالحه، فأوصى اللَّه تعالى به حتى يزول هذا الكسر الذي أصابه»[4].

١٨- ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، يَعْنِي: لَا يَأْمُرُونَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيُحِثُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي ذَلِكَ[5].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلا تَحَاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ﴾، أَيْ: لَا تَأْمُرُونَ بِإِطْعَامِهِ، وَقَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَأَهْلُ الْكُوفَةِ تَحَاضُّونَ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَأَلِفٍ بَعْدَهَا أَيْ: لَا يَحُضُّ بعضكم بعضاً عليه» [6].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٦.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠١.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٦٠٠٥ ، وفي سنن أبي داود، برقم ٥١٥٠، وسنن الترمذي، برقم ١٩١٨، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ»، وَقَرَنَ بَيْنَ إصبعيه: الوسطى والتي تلي الإبهام، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٥٤١.

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠١.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٨.

(٦) تفسير البغوي، ٤/ ٣٤٨.

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ يعني لا يحض بعضكم بعضاً على أن يطعم المسكين، وإذا كان لا يحض غيره، فهو أيضاً لا يفعله بنفسه، فهو لا يطعم المسكين، ولا يحض على طعام المسكين، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي لنا أن نكرم الأيتام، وأن يحض بعضنا بعضاً على إطعام المساكين؛ لأنهم في حاجة، والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[1].

١٩- ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾، يَعْنِي: الْمِيرَاثَ **﴿أَكْلًا لَمًّا﴾**، أَيْ: مِنْ أَيِّ جِهَةٍ حَصَلَ لَهُمْ، مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ[2].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ أَيِ: الْمِيرَاثَ، أَكْلًا لَمًّا، شَدِيدًا، وَهُوَ أَنْ يَأْكُلَ نَصِيبَهُ، وَنَصِيبَ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ، وَلَا الصِّبْيَانَ، وَيَأْكُلُونَ نَصِيبَهُمْ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْأَكْلُ اللَّمُّ الَّذِي يَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ يَجِدُهُ لَا يَسْأَلُ عَنْهُ: أَحَلَالٌ هُوَ أَمْ حَرَامٌ، وَيَأْكُلُ الَّذِي لَهُ وَلِغَيْرِهِ، يُقَالُ: لممت عَلَى الْخِوَانِ إِذَا أَتَيْتُ مَا عَلَيْهِ فَأَكَلْتُهُ»[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾، «التراث»: ما يورثه الله العبد من المال، سواء ورثه عن ميت، أو باع، واشترى، وكسب، أو خرج إلى البر، وأتى بما يأتي به من عشب، وحطب، وغير ذلك، فالتراث ما يرثه الإنسان، أو ما يورثه الله الإنسان من المال؛ فإن بني آدم يأكلونه أكلاً لما»[4].

٢٠- ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، أَيْ: كَثِيرًا، زَادَ بَعْضُهُمْ: فَاحِشًا[5].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، أي: كثيراً يعني: يحبون جمع المال، ويولعون بِهِ، يُقَالُ: جَمَّ الْمَاءُ فِي الْحَوْضِ إِذَا كَثُرَ وَاجْتَمَعَ»[6].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، أي: عظيماً،

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠١.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٨.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٥.

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠١- ٢٠٢.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٨.

(٦) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٥.

وهذا هو طبيعة الإنسان، لكن الإيمان له مؤثراته، قد يكون الإنسان بإيمانه، لا يهتم بالمال، وإن جاءه، شكر الله عليه، وأدّى ما يجب، وإن ذهب، لا يهتم به، لكن طبيعة الإنسان من حيث هو كما وصفه الله عَزَّ وَجَلَّ في هاتين الآيتين»[1].

﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا يَقَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ، فَقَالَ:

٢١- ﴿كَلا﴾، أَيْ: حَقًّا ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، أَيْ: وُطِئَتْ، وَمُهِّدَتْ، وَسُوِّيَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَقَامَ الْخَلَائِقُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّهِمْ[2].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿كَلَّا﴾ مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَيْ: لَا يفعلون ما أمروا به من إكرام الْيَتِيمِ، وَإِطْعَامِ الْمِسْكِينِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ تَلَهُّفِهِمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَكُسِرَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى ظَهْرِهَا، مِنْ جَبَلٍ، وَبِنَاءٍ، وَشَجَرٍ، فَلَمْ يَبْقَ عَلَى ظَهْرِهَا شَيْءٌ»[3].

٢٢- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، يَعْنِي: لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَيْهِ بِسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ: مُحَمَّدٍ ﷺ، بَعْدَمَا يَسْأَلُونَ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَكُلُّهُمْ يَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَاكُمْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ النَّوْبَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»[4]، فَيَذْهَبُ فَيَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَيُشَفِّعُهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَهِيَ أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ، وَهِيَ

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٠٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٤.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٥.
(٤) هذه الجملة من مسند أبي داود الطيالسي، برقم ٢٨٣٤.

الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، فَيَجِيءُ الرَّبُّ تَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ كَمَا يَشَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا صُفُوفًا[(١)].

٢٣- ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[(٢)].

وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾، أَيْ: عَمَلَهُ، وَمَا كَانَ أَسْلَفَهُ فِي قَدِيمِ دَهْرِهِ وَحَدِيثِهِ، ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾، أَيْ: وَكَيْفَ تَنْفَعُهُ الذِّكْرَى؟

٢٤- ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، يَعْنِي: يَنْدَمُ عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي، إِنْ كَانَ عَاصِيًا، وَيَوَدُّ لَوْ كَانَ ازْدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ، إِنْ كَانَ طَائِعًا، كَمَا فِي الحديث عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَمِيرة، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**لَوْ أَنَّ عَبْدًا خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرِمًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، لَحَقِرَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ولودَّ أَنَّهُ يُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادُ مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ**»[(٣)].

٢٥- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾، أَيْ: لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ تَعْذِيبِ اللَّهِ مَنْ عَصَاهُ.

٢٦- ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾، أَيْ: وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ قَبْضًا، وَوَثْقًا مِنَ الزَّبَانِيَةِ لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِمْ ﷻ، هَذَا فِي حَقِّ الْمُجْرِمِينَ مِنَ الْخَلَائِقِ، وَالظَّالِمِينَ، فَأَمَّا النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمُطْمَئِنَّةُ، وَهِيَ السَّاكِنَةُ الثَّابِتَةُ الدَّائِرَةُ مَعَ الْحَقِّ، فَيُقَالُ لَهَا:

٢٧- ٢٨- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾، أَيْ: إِلَى جِوَارِهِ وَثَوَابِهِ، وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ، ﴿رَاضِيَةً﴾، أَيْ: فِي نَفْسِهَا، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾، أَيْ: قَدْ رَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ، وَرَضِيَ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

٢٩- ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، أَيْ: فِي جُمْلَتِهِمْ.

٣٠- ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الِاحْتِضَارِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٨.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٢٨٤٢.

(٣) مسند أحمد، برقم ١٧٦٥٠، وصحح إسناده محققو المسند.

أَيْضًا، كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ، وَعِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ(١).

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، أَيْ: مَعَ عِبَادِي فِي جَنَّتِي، وَقِيلَ: فِي جُمْلَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ، الْمُطِيعِينَ، الْمُصْطَفَيْنَ، نَظِيرُهُ: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩]»(٢).

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى ذكر الله، الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله، ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ الذي رباك بنعمته، وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه، وأحبابه ﴿رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ أي: راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾، وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به حال الموت»(٣).



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٤٩.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٧.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٩.

٩٠- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠)﴾

١- هَذَا قَسَمٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ بِمَكَّةَ أُمِّ الْقُرَى فِي حَالِ كَوْنِ السَّاكِنِ فِيهَا حَالًا؛ لِيُنَبِّهَ عَلَى عَظَمَةِ قَدْرِهَا فِي حَالِ إِحْرَامِ أَهْلِهَا.

قَالَ خَصِيف، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، لَا: رَدٌّ عَلَيْهِمْ؛ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ.

وَقَالَ شَبِيب بْنُ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمَة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، يَعْنِي: مَكَّةَ[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، لَا: للاستفتاح، أي: استفتاح الكلام، وتوكيده، وليست نافية؛ لأن المراد إثبات القسم، يعني أنا أقسم بهذا البلد، لكن «لا» هذه تأتي هنا للتنبيه، والتأكيد، و«أقسم»، القسم تأكيد الشيء بذكر معظَّم على وجه مخصوص، فكل شيء محلوف به لابد أن يكون معظماً لدى الحالف، وقد لا يكون معظمًا في حد ذاته، فمثلاً الذين يحلفون باللات والعزى، هي معظمة عندهم، لكن هي في الواقع ليست عظيمة، ولا معظمة، فالحلف، أو القسم، أو اليمين المعنى واحد، هي تأكيد الشيء بذكر معظَّم عند الحالف على صفة مخصوصة، وحروف القسم هي: الباء، والواو، والتاء، والذي في الآية الكريمة هنا ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، «الباء ﴿بهذا البلد﴾: البلد هنا مكة، وأقسم الله بها لشرفها، وعظمها، فهي أعظم بقاع الأرض حرمة، وأحب بقاع الأرض إلى الله ﷻ؛ ولهذا بعث منها رسول الله ﷺ الذي هو سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه، فجدير بهذا البلد الأمين أن يقسم به، ولكن نحن لا نقسم به؛ لأنه مخلوق، وليس لنا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٣.

الحق أن نقسم بمخلوق، كما قال النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[١]، أما اللَّه ﷻ فإنه سبحانه يقسم بما شاء»[٢].

٢- ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، قَالَ: أَنْتَ - يَا مُحَمَّدُ - يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُقَاتِلَ بِهِ.

وَكَذَا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَعَطِيَّةَ، وَالضَّحَّاكِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ، وَابْنِ زَيْدٍ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا أَصَبْتَ فِيهِ فَهُوَ حَلَالٌ لَكَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، قَالَ: أَنْتَ بِهِ مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ، وَلَا إِثْمٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَحَلَّهَا اللَّهُ لَهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالُوهُ قَدْ وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَى صِحَّتِهِ: «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرمَة اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعضَد شَجَرُهُ، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «**فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّص بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ**»[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قيل: المعنى: أقسم بهذا البلد حال كونك حالاًّ فيه، لأن حلول النبي ﷺ في مكة يزيدها شرفاً إلى شرفها، وقيل المعنى: وأنت تستحل هذا البلد، فيكون إقسام اللَّه تعالى بمكة حال كونها حلاًّ للرسول ﷺ، وذلك عام الفتح؛ لأن مكة عام الفتح أُحلت للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولم تحلّ لأحد قبله، ولا تحلّ لأحد بعد ذلك، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ**»[٤]، فيكون إقسام اللَّه تعالى بهذا البلد مقيداً بما إذا كانت حلاًّ للرسول ﷺ عام الفتح؛ لأنها في ذلك اليوم تزداد شرفاً إلى شرفها، حيث طُهِّرت من الأصنام، وهزم المشركون، وفتحت عليهم بلادهم عنوة،

---

(١) مسند أحمد، ١٠/ ٢٤٩، برقم ٦٠٧٢، وقال محققو المسند: «رجاله رجال مسلم»، وسنن أبي داود، برقم ٣٢٥٣، وسنن الترمذي، برقم ١٥٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ١٠٦٧، برقم ٦٢٠٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٤- ٢١٥.

(٣) صحيح البخاري، برقم ١٨٣٢، بلفظه، وانظر: رقم ١٠٤، ١٠٥، ٤٢٩٥، وصحيح مسلم، برقم ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٦٧٩.

(٤) صحيح البخاري، برقم ١٨٣٢، وصحيح مسلم، برقم ١٣٥٤.

وصارت هذه البلد بعد أن كانت بلد كفر صارت بلاد إيمان، وبعد أن كانت بلاد شرك صارت بلاد توحيد، وبعد أن كانت بلاد عناد، صارت بلاد إسلام، فأشرف حال لمكة كانت عند الفتح»[١].

٣- ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾: الْوَالِدُ: الَّذِي يَلِدُ، وَمَا وَلَدَ: الْعَاقِرُ الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ[٢].

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الْوَالِدُ: الْعَاقِرُ، وَمَا وَلَدَ: الَّذِي يَلِدُ[٣].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وخُصيف، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ وَغَيْرُهُمْ: يَعْنِي بِالْوَالِدِ آدَمَ، وَمَا وَلَدَ: وَلَدَهُ.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَأَصْحَابُهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَقْسَمَ بِأُمِّ الْقُرَى، وَهِيَ الْمَسَاكِنُ، أَقْسَمَ بَعْدَهُ بِالسَّاكِنِ، وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ وَوَلَدُهُ.

وَقَالَ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ: هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَذُرِّيَّتُهُ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ وَالِدٍ وَوَلَدِهِ، وَهُوَ مُحْتَمَلٌ أَيْضًا»[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ يعني: وأقسم بالوالد وما ولد، فمن المراد بالوالد ومن المراد بالولد؟ قيل: المراد بالوالد آدم، وبالولد بنو آدم، وعلى هذا تكون «ما» بمعنى «من» أي: ووالد ومن ولد، لأن «من» للعقلاء، و«ما» لغير العقلاء، وقيل: المراد بالوالد وما ولد كل والد وما ولد، الإنسان، والبهائم، وكل شيء؛ لأن الوالد والمولود كلاهما من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ، كيف يخرج هذا المولود حيًّا سويًّا سميعاً بصيراً من نطفة من ماء، فهذا دليل على كمال قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا الولد السوي يخرج من نطفة ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]،

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٥.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٣٢.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٣٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٤.

كذلك الحشرات وغيرها تخرج ضعيفة هزيلة، ثم تكبر إلى ما شاء اللَّه تعالى من حد، والصحيح أن هذه عامة تشمل كل والد وكل مولود»[١].

٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، رُوي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيّ، وخَيْثَمة، وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمْ: يَعْنِي مُنْتَصِبًا، زَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

وَالْكَبَدُ: الِاسْتِوَاءُ وَالِاسْتِقَامَةُ، وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ سَوِيًّا مُسْتَقِيمًا، كَقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الإنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٧]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤].

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَعَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فِي كَبَدٍ، قَالَ: فِي شِدَّةِ خلق، أَلَمْ تَرَ إِلَيْهِ ... وَذَكَرَ مَوْلِدَهُ، وَنَبَاتَ أَسْنَانِهِ.

وقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فِي كَبَدٍ﴾: نُطْفَةٌ، ثُمَّ عَلَقَةٌ، ثُمَّ مُضْغَةٌ، يَتَكَبَّدُ فِي الْخَلْقِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ٤٦]، وَأَرْضَعَتْهُ كُرْهًا، وَمَعِيشَتُهُ كُرْهٌ، فَهُوَ يُكَابِدُ ذَلِكَ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: فِي شِدَّةٍ، وطَلَب مَعِيشَةٍ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: فِي شِدَّةٍ وَطُولٍ، وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي مَشَقَّةٍ.

وَروى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عن عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ، سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ أَبَا جَعْفَرٍ الْبَاقِرَ سَأَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، قَالَ: فِي قِيَامِهِ وَاعْتِدَالِهِ، فَلَمْ يُنكر عَلَيْهِ أَبُو جَعْفَرٍ.

وَرَوَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي مَوْدُودٍ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، قَالَ: يُكَابِدُ أَمْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَأَمْرًا مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ: يُكَابِدُ مضايق الدنيا وشدائد الآخرة[٢].

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، قَالَ: آدَمُ خُلِقَ فِي السَّمَاءِ، فَسُمي ذَلِكَ الكَبَد.

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٥- ٢١٦.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٨/ ٥٢٠: عزا الرواية الأولى إلى: عبد بن حميد، وَابْنِ أَبي حَاتِم، والثانية إلى ابْنِ الْمُبَارك فِي الزّهْد، وَعبد بن حميد، وَابْن أبي حَاتِم.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ مُكَابَدَةُ الْأُمُورِ وَمَشَاقِّهَا[(١)].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده، ويقاسيه من الشدائد في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم، وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد العذاب الشديد أبد الآباد، ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، مقدر على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، فإنه لم يشكر الله على هذه النعمة العظيمة، بل بطر بالعافية، وتجبّر على خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينعزل؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾»[(٢)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ اللام هنا واقعة في جواب القسم، لتزيد الجملة تأكيداً، و (قد) تزيد الجملة تأكيداً أيضاً، فتكون جملة ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ مؤكدة بثلاثة مؤكدات، وهي: القسم، واللام، وقد، ﴿خلقنا الإنسان﴾ الإنسان اسم جنس يشمل كل واحد من بني آدم «في كبد» فيها معنيان:

المعنى الأول: في استقامة، يعني أنه خلق على أكمل وجه في الِخلقة، مستقيماً يمشي على قدميه، ويرفع رأسه، وبدنه معتدلاً، والبهائم بالعكس: الرأس على حذاء الدبر، أما بنو آدم، فالرأس مرتفع أعلى البدن، فهو كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقيل: المراد بـ﴿كبد﴾ مكابدة الأشياء، ومعاناتها، وأن الإنسان يعاني المشقة في أمور الدنيا، وفي طلب الرزق، وفي إصلاح الحرث، وغير ذلك، ويعاني أيضاً معاناة أشد مع نفسه، ومجاهدتها على طاعة الله، واجتناب معاصي الله، وهذا الجهاد الذي هو أشق من معاناة طلب الرزق، ولاسيما إذا ابتلي الإنسان

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩١.

ببيئة منحرفة، وصار بينهم غريباً، فإنه سيجد المشقة في معاناة نفسه، وفي معاناة الناس أيضاً، فإن قال قائل: أفلا يمكن أن تكون الآية شاملة للمعنيين؟

فالجواب: بلى، وهكذا ينبغي إذا وجدت في الكتاب العزيز آية تحتمل معنيين، وليس بينهما مناقضة، فاحملها على المعنيين؛ لأن القرآن أشمل وأوسع، فإن كان بينهما مناقضة فانظر الراجح، فمثلاً، قوله تعالى: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**﴾ [البقرة: ٢٢٨]، «قروء» جمع قرء بفتح القاف فما هو «القرء»؟ قيل: هو الحيض، وقيل: هو الطهر، هنا لا يمكن أن تحمل الآية على المعنيين جميعاً للتناقض، لكن اطلب المرجح لأحد القولين، وخذ به، فهنا نقول: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾ يصح أن تكون الآية شاملة للمعنيين أي: في حسن قامة، واستقامة، و«في كبد» في معاناة لمشاق الأمور»[1].

٥- ﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: يَعْنِي أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَأْخُذُ مَالَهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾، قَالَ: ابْنُ آدَمَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُسأل عَنْ هَذَا الْمَالِ: مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَأَيْنَ أَنْفَقَهُ؟

وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾، قَالَ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[2].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**﴾ أي: أن الإنسان في نفسه وقوته يظن أن لن يقدر عليه أحد؛ لأنه في عنفوان شبابه، وقوته، وكبريائه، وغطرسته، فيقول: لا أحد يقدر عليّ، أنا أعمل ما شئت، ومنه قوله تبارك وتعالى: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾، قال الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾ [فصلت: ١٥]، إذاً، فالإنسان في حال صحته، وعنفوان شبابه، يظن أنه لا يقدر عليه أحد، حتى الرب عَزَّ وَجَلَّ يظن أنه لا يقدر عليه، وهذا لا شك بالنسبة للكافر، أما المؤمن، فإنه يعلم أن الله قادر عليه،

---

(١) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢١٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٥.

وأنه على كل شيء قدير، فيخاف منه»[١].

٦- ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا﴾، أَيْ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: أَنْفَقْتُ مَالًا لُبَدًا، أَيْ: كَثِيرًا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

٧- ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ اللَّهُ عَجَلَ، وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ مِنَ السَّلَفِ[٢].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿يَقُولُ﴾ أي: يقول الإنسان أيضاً في حال غناه، وبسط الرزق له ﴿أَهْلَكْتُ مَالا لُبَدًا﴾ أي: مالاً كثيراً في شهواته، وفي ملذاته، يقول الله عَجَلَ: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ أيظن هذا أنه لا يراه أحد في تبذيره المال، وصرفه في ما لا ينفع، وكل هذا تهديد للإنسان أن يتغطرس، وأن يستكبر من أجل قوته البدنية، أو كثرة ماله»[٣].

٨- ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾، أَيْ: يُبْصِرُ بِهِمَا.

٩- ﴿وَلِسَانًا﴾، أَيْ: يَنْطِقُ بِهِ، فَيُعبر عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ، ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾، يَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَى الْكَلَامِ، وَأَكْلِ الطَّعَامِ، وَجَمَالًا لِوَجْهِهِ وَفَمِهِ[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يعني: يبصر بهما، ويرى فيهما، وهاتان العينان تؤديان إلى القلب ما نظر إليه الإنسان، فإن نظر نظرة محرمة كان آثماً، وإن نظر نظراً يقربه إلى الله كان غانماً، وإذا نظر إلى ما يباح له؛ فإنه لا يحمد، ولا يذم ما لم يكن هذا النظر مفضياً إلى محظور شرعي، فيكون آثماً بهذا النظر، ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ لساناً ينطق به، وشفتين يضبط بهما النطق، وهذه من نعم الله العظيمة؛ لأنه بهذا اللسان، والشفتين يستطيع أن يعبر عما في نفسه، ولولا هذا ما استطاع، لو كان لا يتكلم فكيف يعبر عما في قلبه؟ كيف يعلم الناس بما في نفسه؟ اللهم إلا بإشارة تتعب، يتعب المشير، ويتعب الذين أشير إليهم، ولكن من

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٥.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٩.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٥.

نعمة اللَّه أن جعل له لساناً ناطقاً، وشفتين يضبط بهما النطق، وهذا من نعمة اللَّه، وهو أيضاً من عجائب قدرته: يأتي النطق من هواء يكون من الرئة يخرج من مخارج معينة، إن مر بشيء صار حرفاً، وإن مر بشيء آخر صار حرفاً آخر، وهو هواء واحد من مخرج واحد، لكن يمر بشعيرات دقيقة في الحلق، وفي الشفتين، وفي اللثة هذه الشعرات تكون الحروف، فتجد مثلاً الباء والشين كلها بهواء يندفع من الرئة، ومع ذلك تختلف باختلاف ما تمر عليه في هذا الفم، ومخارج الحروف المعروفة، هذا من تمام قدرة الله ﷻ»[١].

١٠- ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قَالَ: الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَكَذَا رُوِي عَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَأَبِي وَائِلٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَعَطَاءٍ الْخُرَاسَانِيِّ فِي آخَرِينَ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قَالَ: الثَّدْيَيْنِ.

وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيم، وَقَتَادَةَ، وَأَبِي حَازِمٍ، مِثْلُ ذَلِكَ[٢].

قال **الإمام ابْنُ جَرِيرٍ** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالصَّوَابُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ[٣].

وَنَظِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلِهِ: **﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾** [سُورَةُ الْإِنْسَانِ: ٢- ٣][٤].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قيل: أي: بيّنا له طريق الخير، وطريق الشر، القول الثاني: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ دللناه على ما به غذاؤه، وهو الثديان؛ فإنهما نجدان لارتفاعهما فوق الصدر، فهداه اللَّه تعالى وهو رضيع لا يعرف، فمن حين أن يخرج، وتضعه أمه يطلب الثدي، والذي أعلمه الله ﷻ، فبين الله ﷻ منته على هذا الإنسان من حين أن يخرج يهتدي إلى النجدين، وفي بطن أمه يتغذى عن طريق السرة؛ لأنه لا يستطيع أن يتغذى من غير هذا، فلو تغذى عن طريق الفم لاحتاج إلى بول وغائط، وكيف ذلك؟ لكنه عن طريق السرة يأتيه الدم

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٨.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٣٩، مسند إسحاق بن راهويه، برقم ٤٤٧، ومسند الشاميين للطبراني، ٣/ ٣١٤، برقم ٢٣٧٩.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٣٩.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٦.

من دم أمه، وينتشر في عروقه حتى يحيا إلى أن يأذن الله تعالى بإخراجه»[١].

قلت: والآية تشمل المعنيين، كما تقدم من قول العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا وجدت في الكتاب العزيز آية تحتمل معنيين، وليس بينهما مناقضة، فاحملها على المعنيين؛ لأن القرآن أشمل، وأوسع، فإن كان بينهما مناقضة، فانظر الراجح»[٢]، فالله عَزَّ وَجَلَّ دل الإنسان، وبيَّن له طريق الخير، وطريق الشر، ودله على ما به غذاؤه، وهو الثديان، والله تعالى أعلم.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)﴾.

قَالَ **ابْنُ جَرِيرٍ**: عَنِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ:

١١- ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، قَالَ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ.

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: هُوَ سَبْعُونَ دَرَجَةً فِي جَهَنَّمَ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، قَالَ: عَقَبَةٌ فِي جَهَنَّمَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّهَا قَحْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَاقْتَحِمُوهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٣].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: عَقَبَةٌ شَدِيدَةٌ فِي النَّارِ دُونَ الْجِسْرِ، فَاقْتَحِمُوهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْكَلْبِيُّ: هِيَ صِرَاطٌ يُضْرَبُ عَلَى جَهَنَّمَ كَحَدِّ السَّيْفِ، مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ سَهْلًا، وَصُعُودًا، وَهُبُوطًا، وَإِنَّ بِجَنْبَتَيْهِ كَلَالِيبُ، وَخَطَاطِيفُ كَأَنَّهَا شَوْكُ السَّعْدَانِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ مَنْكُوسٌ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَارِسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَالرَّجُلِ يَعْدُو، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّجُلِ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٨.

يَسِيرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمُ الزَّالُّونَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُكَرْدَسُ فِي النَّارِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: يَقُولُ فَهَلَّا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا النَّجَاةُ»[1].

١٢- وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾.

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ مَا اقْتِحَامُ الْعَقَبَةِ، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كُلُّ شَيْءٍ قَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ»، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بِهِ، وَمَا قَالَ: «وَمَا يُدْرِيكَ» فَإِنَّهُ لَمْ يُخْبَرْ بِهِ»[2].

١٣- ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ اقْتِحَامِهَا، فَقَالَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ﴾

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، أَيْ: أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي فِيهَا النَّجَاةُ وَالْخَيْرُ، ثُمَّ بَيَّنَهَا فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ﴾. قُرِئَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بِالْإِضَافَةِ، وقُرِئَ عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ، وَفِيهِ ضَمِيرُ الْفَاعِلِ وَالرَّقَبَةُ مَفْعُولُهُ، وَكِلْتَا الْقِرَاءَتَيْنِ مَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبٌ[3].

وعَنْ أَبِي نَجِيحٍ[4] قَالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ أعتقَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَإِنَّ اللَّهَ جاعلٌ وَفَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرِّرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَفَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِهَا مِنَ النَّارِ**»[5].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَن بَنَى مَسْجِدًا لِيُذْكَرَ اللَّهُ فِيهِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً، كَانَتْ فِدْيَتَهُ مِنْ جَهَنَّمَ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[6].

وعَنْ سُلَيم بْنِ عَامِرٍ: أَنْ شُرَحْبِيلَ بْنَ السِّمْطِ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ عَبسةَ: حَدِّثنا

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٨٩- ٤٩٠.

(٢) المرجع السابق، ٤/ ٤٩٠.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٥٨.

(٤) وَأَبُو نَجِيحٍ هَذَا هُوَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ رضي الله عنه.

(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٤١. وهو في المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٣/ ٥١، وصححه، وبنحوه في مسند أحمد، ٢٨/ ٢٤٦، برقم ١٧٠٢٢، وصحح إسناده محققو المسند وانظر: صحيح البخاري، برقم ٦٧١٥، وصحيح مسلم، برقم ١٥٠٩.

(٦) مسند أحمد، ٣٢/ ١٨٦، برقم ١٩٤٤٠، وصححه محققو المسند.

حَدِيثًا لَيْسَ فِيهِ تَزَيّد، وَلَا نِسْيَانٌ، قَالَ عَمْرو: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ، عُضْواً بعضو، ومن شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ، فَبَلَغَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ كَمُعْتِقِ رَقَبَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ»[(١)].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ يرفعه قال: «مَنْ وُلِد لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ فِي الْإِسْلَامِ فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الحِنْث، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ، وَمَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ رَمى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَلَغَ بِهِ الْعَدُوَّ، أَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، كَانَ لَهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، يُدْخِلُهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ بَابٍ شَاءَ مِنْهَا»[(٢)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذِهِ أَسَانِيدُ جَيِّدَةٌ قَوِيَّةٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»[(٣)].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَن أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَهِيَ فِكَاكُهُ مِنَ النَّارِ»[(٤)].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أقصرت الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَنْفَرِدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ؛ فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَأَطْعِمِ الجائعَ، واسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ»[(٥)].

١٤- ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذِي مَجَاعَةٍ، وَكَذَا

---

(١) مسند أحمد، ٢٨/ ٢٤١، برقم ١٧٠٢٠، وصححه محققو المسند دون قوله: «من ولد إسماعيل»، سنن أبي داود، برقم ٣٩٦٧، والسنن الكبرى للنسائي، برقم ٤٨٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٢٧٠٠.

(٢) مسند أحمد، ٣٢/ ١٨٢، برقم ١٩٤٣٧، وصححه محققو المسند.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٠.

(٤) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٦٢، برقم ١٧٣٢٦، وصححه لغيره محققو المسند.

(٥) مسند أحمد، ٣٠/ ٦٠٠، برقم ١٨٦٤٧، وصحح إسناده محققو المسند.

قَالَ عِكْرِمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، والسَّغب: هُوَ الْجُوعُ.
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي: فِي يومٍ الطعامُ فِيهِ عزيزٌ.
وَقَالَ قَتَادَةُ: فِي يَوْمٍ يُشتهى فِيهِ الطَّعَامُ.

١٥- ﴿**يَتِيمًا**﴾، أَيْ: أَطْعِمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَتِيمًا، ﴿**ذَا مَقْرَبَةٍ**﴾، أَيْ: ذَا قَرَابَةٍ مِنْهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ، صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»[١]، وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٢]، وَالنَّسَائِيُّ[٣]، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ[٤].

١٦- ﴿**أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾، أَيْ: فَقِيرًا مُدقعًا لَاصِقًا بِالتُّرَابِ، وَهُوَ الدَّقْعَاءُ أَيْضًا.
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿**ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾: هُوَ الْمَطْرُوحُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي لَا بَيْتَ لَهُ، وَلَا شَيْءَ يَقِيهِ مِنَ التُّرَابِ، وَفِي رِوَايَةٍ: هُوَ الَّذِي لَصِقَ بِالدَّقْعَاءِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ، لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: هُوَ الْبَعِيدُ التُّرْبَةِ.
قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: يَعْنِي الْغَرِيبَ عَنْ وَطَنِهِ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ الْفَقِيرُ الْمَدْيُونُ الْمُحْتَاجُ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الَّذِي لَا أَحَدَ لَهُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: هُوَ ذُو الْعِيَالِ، وَكُلُّ هَذِهِ قَرِيبَةُ الْمَعْنَى[٥].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ**﴾ أي: لم يقتحمها، ويعبر عليها؛ لأنه متبع لشهواته، وهذه العقبة شديدة عليه، ثم فسر هذه العقبة ﴿**فَكُّ رَقَبَةٍ**﴾، أي: فكّها من الرق، بعتقها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكاك الأسير المسلم عند الكفار، ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ**﴾، أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة، ﴿**يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ**﴾، أي: جامعًا بين كونه يتيمًا، فقيرًا ذا قرابة، ﴿**أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾، أي: قد

---

(١) مسند أحمد، ٢٦/ ١٧١، برقم ١٦٢٣٤، وصححه لغيره محققو المسند.
(٢) سنن الترمذي، برقم ٦٥٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٨٩٢.
(٣) سنن النسائي، برقم ٢٥٨٢، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٨٩٢.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦١.

لزق بالتراب من الحاجة والضرورة»[١].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، أي: الإنسان الذي كان يقول: ﴿أهلكت مالاً لبداً﴾، ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ يعني: هلاّ اقتحم العقبة؟ والاقتحام هو التجاوز بمشقة يسمى اقتحاماً، و«العقبة» هي الطريق في الجبل الوعر، ولا شك أن اقتحام هذه العقبة شاق على النفوس، لا يتجاوزه، أو لا يقوم به إلا من كان عنده نية صادقة في تجاوز هذه العقبة، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ هذا الاستفهام للتشويق، والتفخيم أيضاً، يعني: ما الذي أعلمك شأن هذه العقبة التي قال الله عنها ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ بيّنها الله في قوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: «هي فك رقبة» وفك الرقبة له معنيان:

المعنى الأول: فكها من الرق، بحيث يعتق الإنسان العبيد المملوكين، سواء كانوا في ملكه فيعتقهم، أو كانوا في ملك غيره فيشتريهم ويعتقهم.

المعنى الثاني: فك رقبة من الأسر، فإن فكاك الأسير من أفضل الأعمال إلى الله عز وجل، والأسير ربما لا يفكه العدو إلا بفدية مالية، وربما تكون هذه الفدية فدية باهظة كثيرة، لا يقتحمها إلا من كان عنده إيمان بالله عز وجل بأن يخلف عليه ما أنفق، وأن يثيبه على ما تصدق. ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ «أو» هذه للتنويع، يعني: وإما ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة شديدة؛ لأن الناس قد يصابون بالمجاعة الشديدة، إما لقلة الحاصل من الثمار والزروع، وإما لأمراض في أجسامهم، يأكل الإنسان ولا يشبع، وهذا قد وقع فيما نسمع عنه في البلاد النجدية، وربما في غيرها أيضاً، أن الناس يأكلون ولا يشبعون، يأكل الواحد مأكل العشرة ولا يشبع، ويموتون من الجوع في الأسواق، ويتساقطون في الأسواق من الجوع، هذه من المساغب، أو قلة المحصول بحيث لا تثمر الأشجار، ولا تنبت الزروع، فيقل الحاصل، وتحصل المسغبة،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٢.

ويموت الناس جوعاً، وربما يهاجرون عن بلادهم. «يتيماً» اليتيم هو من مات أبوه قبل أن يبلغ، سواءً كان ذكراً أم أنثى، فإن بلغ فإنه لا يكون يتيماً؛ لأنه بلغ وانفصل، وكذلك لو ماتت أمه، فإنه لا يكون يتيماً، خلافاً لما يظنه بعض العامة، أن اليتيم من ماتت أمه، وهذا ليس بصحيح، فاليتيم من مات أبوه؛ لأنه إذا مات أبوه لم يكن له كاسب من الخلق يكسب له، وقوله: «ذا مقربة» ذا قرابة من الإنسان؛ لأنه إذا كان يتيماً كان له حظ من الإكرام والصدقات، وإذا كان قريباً ازداد حظه من ذلك؛ لأنه يكون واجب الصلة، فمن جمع هذين الوصفين اليتم والقرابة فإن الإنفاق عليه من اقتحام العقبة إذا كان ذلك في يوم ذي مسغبة، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ يعني: أو إطعام في يوم ذي مسغبة ﴿مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾، المسكين: هو الذي لا يجد قوته ولا قوت عياله، المتربة: مكان التراب، والمعنى: أنه مسكين ليس بيديه شيء إلا التراب، ومعلوم أنه إذا قيل عن الرجل: ليس عنده إلا التراب، فالمعنى: أنه فقير جداً ليس عنده طعام، وليس عنده كساء، وليس عنده مال فهو مسكين ذو متربة»[1].

١٧- ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أَيْ: ثُمَّ هُوَ مَعَ هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمنٌ بِقَلْبِهِ، مُحْتَسِبٌ ثَوَابَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، كَمَا قَالَ تَعالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]، وَقَالَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الْآيَةَ [النحل: ٩٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، أَيْ: كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْعَامِلِينَ صَالِحًا، الْمُتَوَاصِينَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَى النَّاسِ، وَعَلَى الرَّحْمَةِ بِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»[2]، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**لَا يَرْحَمِ اللهُ مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ**»[3]، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢١٩- ٢٢١.

(٢) مسند أحمد، ١١/ ٣٣، برقم ٦٤٩٤، وصححه لغيره محققو المسند. وسنن أبي داود، برقم ٤٩٤١، وسنن الترمذي، برقم ١٩٢٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٥٢٢.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٧٣٧٦.

بْنِ عَمْرو – يَرْوِيهِ –قَالَ: «مَنْ لَمْ يَرْحم صَغِيرَنَا ويَعْرِف حَقَّ كَبِيرنَا، فَلَيْسَ مِنَّا»[١].

١٨- ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، أَيِ: الْمُتَّصِفُونَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ[٢].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان به، وعملوا الصالحات بجوارحهم، من كل قول، وفعل واجب، أو مستحب، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقدار الله المؤلمة بأن يحث بعضهم بعضًا على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملاً منشرحًا به الصدر، مطمئنة به النفس، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، أولئك الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفقهم الله لاقتحام هذه العقبة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾؛ لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه، وحقوق عباده، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها»[٣].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، «ثم كان» يعني: ثم هو بعد ذلك ليس محسناً على اليتامى والمساكين فقط، بل هو ذو إيمان، آمن بكل ما يجب الإيمان به، وقد بين الرسول ﷺ الذي يجب الإيمان به، فقال حين سأله جبريل عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[٤]، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر، والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، فهم صابرون متواصون بالصبر بهذه الأنواع: الصبر على طاعة الله، ثم الصبر عن معصية الله، ثم الصبر على أقدار الله المؤلمة، وقد اجتمعت هذه الأنواع الثلاثة، في الرسل عليهم الصلاة

(١) سنن أبي داود، برقم ٤٩٤٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٥٢٢.
(٢) تفسير ابن كثير، ١/ ٣٦٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٢.
(٤) مسلم، برقم ٨.

والسلام، وأتباعهم، فها هو الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صابر على طاعة الله، يجاهد في سبيل الله، ويدعو إلى الله، ويؤذى ويعتدى عليه بالضرب، حتى همّ المشركون بقتله، وهو مع ذلك صابر محتسب، وهو أيضاً صابر عن معصية الله، لا يمكن أن يغدر بأحد، ولا أن يكذب أحداً، ولا أن يخون أحداً، وهو أيضاً متق لله تعالى بقدر ما يستطيع، كذلك صابر على أقدار الله، كم أوذي في الله عَزَّ وَجَلَّ من أجل طاعته، أليست قريش قد آذوه حتى إذا رأوه ساجداً تحت الكعبة، أمروا من يأتي بسلا ناقة فيضعه على ظهره، وهو ساجد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ[1]؟! وهو صابر في ذلك كله، ويوسف عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صبر على أقدار الله، فقد أُلقي في البئر في غيابة الجب، وأوذي في الله بالسجن، ومع ذلك فهو صابر محتسب، لم يتضجر، ولم ينكر ما وقع به، وقوله: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾، أي: أوصى بعضهم بعضاً أن يرحم الآخر، ورحمة الإنسان للمخلوقات تكون في البهائم، وتكون في الناطق، فهو يرحم آباءه، وأمهاته، وأبناءه، وبناته، وإخوانه، وأخواته، وأعمامه، وعماته، وهكذا، ويرحم كذلك سائر البشر، وهو أيضاً يرحم الحيوان البهيم، فيرحم ناقته، وفرسه، وحماره، وبقرته، وشاته، وغير ذلك، وقد قال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[2]، «أولئك» أي: هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ أي: أصحاب اليمين، الذين يُؤتون كتابهم يوم القيامة بأيمانهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً، وينقلب إلى أهله مسروراً»[3].

١٩- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾، أَيْ: أَصْحَابُ الشِّمَالِ.

٢٠- ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾، أَيْ: مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ، فَلَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿مُّؤۡصَدَةُۢ﴾، أَيْ: مُطْبَقَةٌ،

---

(١) البخاري، برقم ٣٨٥٤، ومسلم، برقم ١٧٩٤.

(٢) سنن الترمذي، برقم ١٩٢٤، ومصنف ابن أبي شيبة، ٥/ ٢١٤، برقم ٢٥٣٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٦٦١، برقم ٣٥٢٢.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢١- ٢٢٢.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُغْلَقَةُ الْأَبْوَابِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَصَدَ الْبَابَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ: أَيْ أَغْلَقَهُ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾، حَيْطٌ لَا بَابَ لَهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾: مُطْبَقَةٌ، فَلَا ضَوْءَ فِيهَا، وَلَا فُرَجَ، وَلَا خُرُوجَ مِنْهَا آخِرَ الْأَبَدِ[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ بأن نبذوا هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، ولا آمنوا به، ولا عملوا صالحًا، ولا رحموا عباد الله، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾، أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة»[٢].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: جحدوا بها ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ «هم»: الضمير هنا جاء للتوكيد، ولو قيل في غير القرآن: والذين كفروا بآياتنا أصحاب المشأمة، لصح؛ لكن هذا من باب التوكيد، «المشأمة» يعني: الشمال أو الشؤم، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾ أي: عليهم نار مغلقة، لا يخرجون منها، ولا يستطيعون إلى ذلك سبيلاً، نسأل الله أن يجعلنا من الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالصبر، وتواصوا بالمرحمة إنه سميع مجيب»[٣].



---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٣٥، وصفة النار لابن أبي الدنيا، برقم ٦٧، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ٢/ ٣١٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٢.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٣.

٩١- تَفْسِيرُ سُورَةِ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا

عن جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِمُعَاذٍ: «هَلَّا صَلَّيْتَ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟»[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾.

١- قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، أَيْ: وَضَوْئِهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَضُحَاهَا﴾: النَّهَارُ كُلُّهُ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِالشَّمْسِ وَنَهَارِهَا؛ لِأَنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ الظَّاهِرَ هُوَ النَّهَارُ[(٢)].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالشَّمْسِ وَضُحاهَا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ وَالْكَلْبِيُّ: ضوءها، الضحى: حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ، فَيَصْفُو ضَوْؤُهَا»[(٣)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، أقسم الله تعالى بالشمس وضحاها، وهو ضوؤها؛ لما في ذلك من الآيات العظيمة الدالة على كمال قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكمال علمه، ورحمته، فإن في هذه الشمس من الآيات ما لا يدركه بعض الناس، فإذا طلعت الشمس، فكم توفر على العالم من طاقة كهربائية؟ توفر آلاف الملايين؛ لأنهم يستغنون بها عن هذه الطاقة، وكم يحصل للأرض من حرارتها، من نضج الثمار، وطيب الأشجار، ما لا يعلمه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، ويحصل فيها فوائد كثيرة، لا أستطيع أن أعدها؛ لأن غالبها يتعلق في علم الفلك، وعلم الأرض، والجيولوجيا؛ لكنها من آيات الله العظيمة»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦١٠٦، صحيح مسلم، ٤٦٥.
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٦٤.
(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩١.
(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٤.

٢- ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: تَبِعَهَا، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾، قَالَ: يَتْلُو النَّهَارَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿إِذَا تَلاهَا﴾ لَيْلَةَ الْهِلَالِ، إِذَا سَقَطَتِ الشَّمْسُ رُؤِيَ الْهِلَالُ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: هُوَ يَتْلُوهَا فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، ثُمَّ هِيَ تَتْلُوهُ، وَهُوَ يَتَقَدَّمُهَا فِي النِّصْفِ الْأَخِيرِ مِنَ الشَّهْرِ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: إِذَا تَلَاهَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ قيل: إذا تلاها في السير، وقيل: إذا تلاها في الإضاءة، وما دامت الآية تحتمل هذا وهذا؛ فإن القاعدة في علم التفسير أن الآية إذا احتملت معنيين لا تعارض بينهما، وجب الأخذ بهما جميعاً، لأن الأخذ بالمعنيين جميعاً أوسع للمعنى، فنقول: إذا تلاها في السير؛ لأن القمر يتأخر كل يوم عن الشمس، فبينما تجده في أول الشهر قريباً منها في المغرب، إذا هو في نصف الشهر، أبعد ما يكون عنها في المشرق؛ لأنه يتأخر كل يوم، أو إذا تلاها في الإضاءة؛ لأنها إذا غابت بدأ ضوء القمر، لاسيما في الربع الثاني إلى نهاية الربع الثالث، فإن ضوء القمر يكون بيناً واضحاً، يعني: إذا مضى سبعة أيام، إلى أن يبقى سبعة أيام يكون الضوء قويًّا، وأما في السبعة الأولى والأخيرة، فهو ضعيف، وعلى كل حال، فإن إضاءة القمر، لا تكون إلا بعد ذهاب ضوء الشمس، كما هو ظاهر، فأقسم الله تعالى بالشمس؛ لأنها آية النهار، وبالقمر؛ لأنه آية الليل»[٢].

٣- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَضَاءَ، وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾: إِذَا غَشِيَهَا النَّهَارُ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ يَتَأَوَّلُ ذَلِكَ بِمَعْنَى: وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّا الظُّلْمَةِ، لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُلْتُ: وَلَوْ أَنَّ هَذَا الْقَائِلَ تَأَوَّلَ بِمَعْنَى ﴿وَالنَّهَارِ

---

(١) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٦٥.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٥.

﴿إِذَا جَلاهَا﴾، أَي: الْبَسِيطَةُ، لَكَانَ أَوْلَى»، وَيصحّ تَأْوِيلُهُ فِي قَوْلِهِ:

٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، فَكَانَ أَجْوَدْ وَأَقْوَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾، إِنَّهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ [الليل: ٢].

وَأَمَّا ابْنُ جَرِيرٍ فَاخْتَارَ عَوْدَ الضَّمِيرِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى الشَّمْسِ؛ لِجَرَيَانِ ذِكْرِهَا، وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، يَعْنِي: إِذَا يَغْشَى الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ، فَتُظْلِمُ الْآفَاقُ»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا﴾ إذا جلى الأرض، وبينها ووضحها؛ لأنه نهار تتبين به الأشياء، وتتضح ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ إذ يغطي الأرض حتى يكون كالعباءة المفروشة على شيء من الأشياء، وهذا يتضح جلياً فيما إذا غابت الشمس، وأنت في الطائرة تجد أن الأرض سوداء تحتك، لأنك أنت الآن تشاهد الشمس لارتفاعك، لكن الأرض التي تحتك حيث غربت عليها الشمس تجدها سوداء، كأنها مغطاة بعباءة سوداء»[2].

٥- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾: يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ «مَا» هَاهُنَا مَصْدَرِيَّةٌ، بِمَعْنَى: وَالسَّمَاءِ وَبِنَائِهَا، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى «مَن» يَعْنِي: وَالسَّمَاءِ وَبَانِيهَا، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ، وَالْبِنَاءُ هُوَ الرَّفْعُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ أَيْ: بِقُوَّةٍ ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧- ٤٨].

٦- ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿طَحَاهَا﴾ دَحَاهَا، وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾، أَيْ: خَلَقَ فِيهَا.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿طَحَاهَا﴾ قَسَمَهَا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ، والسُّدِّي، وَالثَّوْرِيُّ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَابْنُ زَيْدٍ: ﴿طَحَاهَا﴾: بَسَطَهَا.

وَهَذَا أَشْهَرُ الْأَقْوَالِ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٥.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٥.

اللُّغَةِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: طَحَوْتُهُ مِثْلُ دَحَوْتُهُ، أَيْ: بَسَطْتُهُ[١].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا**﴾ السماء والأرض متقابلات، ﴿**وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا**﴾ قال المفسرون: إن «ما» هنا مصدرية، أي: والسماء وبنائها؛ لأن السماء عظيمة بارتفاعها، وسعتها، وقوتها، وغير ذلك مما هو من آيات الله فيها، وكذلك بناؤها بناء محكم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ [الملك: ٣- ٤]، ﴿**وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا**﴾ يعني: الأرض وما سواها حتى كانت مستوية، وحتى كانت ليست لينة جداً، وليست قوية صلبة جداً، بل هي مناسبة للخلق على حسب ما تقوم به حوائجهم، وهذا من نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على عباده أن سوى لهم الأرض، وجعلها بين اللين والخشونة إلا في مواضع، لكن هذا القليل، لا يحكم به على الكثير»[٢].

٧- ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا**﴾، أَيْ: خَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾ [الرُّوم: ٣٠]، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدانه أَوْ يُنَصِّرانه أَوْ يُمَجِّسانه، كَمَا تُولَدُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاء هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟**»[٣].

وَعن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفاء فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**»[٤].

٨- ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾، أَيْ: فَأَرْشَدَهَا إِلَى فُجُورِهَا وَتَقْوَاهَا، أَيْ: بَيَّنَ لَهَا ذَلِكَ، وَهَدَاهَا إِلَى مَا قُدِّرَ لَهَا.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٥.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٥- ٢٢٦.

(٣) صحيح البخاري، برقم ١٣٨٥، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٥٨.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٨٦٥.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: بَيَّنَ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرّ، وَكَذَا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والثوري.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَلْهَمَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: جَعَلَ فِيهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا.

عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ: أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ، قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللَّهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «**لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ** ﷻ: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾»[1].

٩- ١٠- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى نَفْسَهُ، أَيْ: بِطَاعَةِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وَطَهَّرَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ وَالرَّذَائِلِ، ويُروى نَحْوُهُ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**﴾ [الأعلى: ١٤- ١٥].

١٠- ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، أَيْ: دَسَّسَهَا، أَيْ: أَخْمَلَهَا، وَوَضَعَ مِنْهَا بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهَا عَنِ الهُدَى، حَتَّى رَكِبَ الْمَعَاصِيَ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ ﷻ.

وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّى اللَّهُ نَفْسَهُ، كَمَا قَالَ الْعَوْفِيُّ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عباس[2].

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٢٦٥٠ .

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٧.

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي: أخفى نفسه الكريمة، التي ليست حقيقة بقمعها، وإخفائها، بالتدنس بالرذائل، والدنو من العيوب، والاقتراف للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها، ويدسيها»[(١)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ نفس هنا، وإن كانت واحدة، لكن المراد العموم، يعني كل نفس ﴿وما سواها﴾ يعني: سواها خِلقة، وسواها فطرة، سواها خلقة، حيث خلق كل شيء على الوجه الذي يناسبه، ويناسب حاله، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي: خلقه المناسب له ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، أي: هداه لمصالحه، وكذلك سواه فطرة، ولا سيما البشر؛ فإن الله جعل فطرتهم هي الإخلاص والتوحيد، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿فألهمها﴾ أي: الله ﷻ ألهم هذه النفوس ﴿فجورها وتقواها﴾ بدأ بالفجور قبل التقوى، مع أن التقوى لا شك أفضل، قالوا: مراعاة لفواصل الآيات ﴿فجورها وتقواها﴾ الفجور: هو ما يقابل التقوى، والتقوى: طاعة الله، فالفجور معصية الله، فكل عاصٍ فهو فاجر، وإن كان الفاجر خصَّ عرفاً بأنه من ليس بعفيف، لكن هو شرعاً يعم كل من خرج عن طاعة الله كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]، والمراد الكفار، وإلهامها تقواها هو الموافق للفطرة؛ لأن الفجور خارج عن الفطرة، لكن قد يلهمه الله بعض النفوس لانحرافها؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، والله تعالى لا يظلم أحدًا، لكن من علم منه أنه لا يريد الحق أزاغ الله قلبه، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ﴿قد أفلح﴾ أي: فاز بالمطلوب ونجا من المرهوب، ﴿من زكاها﴾ أي: من زكى نفسه، وليس المراد بالتزكية هنا التزكية المنهي عنها في قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، المراد بالتزكية هنا: أن يزكي نفسه بإخلاصها من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٢.

الشرك، وشوائب المعاصي، حتى تبقى زكية طاهرة نقية، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي: من أرداها في المهالك، والمعاصي، وهذا يحتاج إلى دعاء الله ﷻ أن يثبت الإنسان على طاعته، وعلى القول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، فعليك دائماً أن تسأل الله الثبات والعلم النافع، والعمل الصالح، فإن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]»[(١)].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وَقَفَ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، وَخَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا»[(٢)].

وَعَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهَا فَقَدت النَّبِيَّ ﷺ مِنْ مَضْجَعِهِ، فَلَمَسَتْهُ بِيَدِهَا، فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «رَبِّ، أَعْطِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا»[(٣)].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: «لا أقول لكُمْ إلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ والكَسَل، والجُبن وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْم لَا يَنْفَعُ، ومن قَلْب لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْس لَا تَشْبَعُ، ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»[(٤)].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)﴾.

١١- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ثَمُودَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٢٦- ٢٢٧.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ١١/ ١٠٦، برقم ١١١٩١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٧/١٣٨: «وإسناده حسن».

(٣) مسند أحمد، ٤٢/ ٤٩١، برقم ٢٥٧٥٥، ووثّق إسناده محققو المسند، وقال في مجمع الزوائد، ٢/ ١٢٨: «رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ».

(٤) صحيح مسلم برقم، ٢٧٢٢.

رَسُولَهُمْ، بِسَبَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْبَغْيِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: ﴿بِطَغْوَاهَا﴾، أَيْ: بِأَجْمَعِهَا، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا، فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ تَكْذِيبًا فِي قُلُوبِهِمْ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ رَسُولُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْيَقِينِ[١].

١٢- ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾، أَيْ: أَشْقَى الْقَبِيلَةِ، هُوَ قُدَار بْنُ سَالِفٍ عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَهُوَ أُحَيْمِرُ ثَمُودَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القَمَر: ٢٩]، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ عَزِيزًا فِيهِمْ، شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ، نَسِيبًا رَئِيسًا مُطَاعًا، كَمَا فِي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ قَالَ: «خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ النَّاقَةَ، وَذَكَرَ الَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ: «﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾: انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَارِمٌ عَزِيزٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ»»[٢].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ، وَمُسْلِمٌ فِي صِفَةِ النَّارِ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنِهِمَا[٣].

عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ: «أَلَا أُحَدِّثُكَ بِأَشْقَى النَّاسِ؟»، قَالَ: بَلَى، قَالَ: «رَجُلَانِ: أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذَا - يَعْنِي قَرنه- حَتَّى تَبْتَلَّ مِنْهُ هَذِهِ، يَعْنِي: لِحْيَتَهُ»[٤].

١٣- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، يَعْنِي: صَالِحًا عليه السلام: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾، أَيِ: احْذَرُوا نَاقَةَ اللَّهِ أَنْ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ، ﴿وَسُقْيَاهَا﴾، أَيْ: لَا تَعْتَدُوا عَلَيْهَا فِي سُقْيَاهَا، فَإِنَّ لَهَا شِرْبُ يَوْمٍ، وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، قَالَ اللَّهُ:

١٤- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾، أَيْ: كَذَّبُوهُ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ أَنْ عَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي أَخْرَجَهَا اللَّهُ مِنَ الصَّخْرَةِ آيَةً لَهُمْ، وَحُجَّةً عَلَيْهِمْ، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ﴾، أَيْ: غَضِبَ عَلَيْهِمْ، فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ، ﴿فَسَوَّاهَا﴾، أَيْ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٦٩.

(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ١٦٠، برقم ١٦٢٢٢، وصحح إسناده محققو المسند.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٢، وصحيح مسلم، برقم ٢٨٥٥، وسنن الترمذي، برقم ٣٣٤٣، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٧٥.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٣٨، ومسند أحمد، ٣٠/ ٢٥٦، برقم ١٨٣٢١، وحسنه لغيره محققو المسند، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٣/ ١٥١، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٢٥٨٩.

فَجَعَلَ الْعُقُوبَةَ نَازِلَةً عَلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ.

قَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنَا أَنَّ أُحَيْمِرَ ثَمُودَ لَمْ يَعْقِرِ النَّاقَةَ حَتَّى تَابَعَهُ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، وَذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ، فَلَمَّا اشْتَرَكَ الْقَوْمُ فِي عَقْرِهَا، دَمْدَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِذَنبِهِمْ، فَسَوَّاهَا.

١٥- ﴿وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، وقرئ: «فلا يخاف عقباها».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تبِعَةً، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ، وَغَيْرُهُمْ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَالسُّدِّيُّ: **﴿وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾**، أَيْ: لَمْ يَخَفِ الَّذِي عَقَرَهَا عَاقِبَةَ مَا صَنَعَ، وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى؛ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[1].



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٠.

٩٢- تَفْسِيرُ سُورَةِ اللَّيْلِ

تَقَدَّمَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمُعَاذٍ: «فَهَلَّا صَلَّيْتَ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟»[(١)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢)﴾.

عَنْ عَلْقَمَةَ: أَنَّهُ قَدِمَ الشَّامَ، فَدَخَلَ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي جَلِيسًا صَالِحًا، قَالَ: فَجَلَسَ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ يَقْرَأُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾؟ قَالَ عَلْقَمَةُ: «وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى»، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لَقَدْ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا زَالَ هَؤُلَاءِ حَتَّى شَكَّكُونِي، ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ أَلَمْ يَكُنْ فِيكُمْ صَاحِبُ الْوِسَادِ، وَصَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ غَيْرُهُ، وَالَّذِي أُجِيرَ مِنَ الشَّيْطَانِ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ ﷺ»[(٢)].

وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[(٣)] هَاهُنَا وَمُسْلِمٌ[(٤)]، مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: «قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَيَّ قِرَاءَةَ عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالُوا: كُلُّنَا، قَالَ: أَيُّكُمْ أَحْفَظُ؟ فَأَشَارُوا إِلَى عَلْقَمَةَ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾؟ قَالَ: «وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى»، قَالَ: أَشْهَدُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ هَكَذَا، وَهَؤُلَاءِ يُرِيدُونِي أَنْ أَقْرَأَ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾، وَاللَّهِ لَا أُتَابِعُهُمْ».

---

(١) البخاري، برقم ٧٠٥، ومسلم، برقم ٤٦٥.
(٢) مسند أحمد، ٤٥/ ٥٢٥، برقم ٢٧٥٣٨، وصححه محققو المسند.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٤.
(٤) صحيح مسلم، برقم ٨٢٤.

هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيّ: «هَكَذَا قَرَأَ ذَلِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ، وَرَفَعَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَأَمَّا الْجُمْهُورُ، فَقَرَؤُوا ذَلِكَ كَمَا هُوَ مُثبَت فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامُ الْعُثْمَانِيُّ فِي سائر الآفاق: ﴿وَمَا خلَقَ الذَّكَرَ وَالأنْثَى﴾، فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِـ

١- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾، أَيْ: إِذَا غَشيَ الخليقةَ بِظَلَامِهِ.

٢- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾، أَيْ: بِضِيَائِهِ، وَإِشْرَاقِهِ.

٣- ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النَّبأ: ٨]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذَّاريَات: ٤٩]»[١].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثى﴾، يَعْنِي: ومن خلق، وقيل: هِيَ «مَا» الْمَصْدَرِيَّةُ، أَيْ: وَخَلْقِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى»[٢].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنْثَى﴾: إن كانت «ما» موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة، الموصوفة بأنه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية، كان قسمًا بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك، أن خلق من كل صنفٍ من الحيوانات، التي يريد بقاءها ذكرًا وأنثى، ليبقى النوع ولا يضمحل، وقاد كلاً منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلاً منهما مناسبًا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين»[٣].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ يعني: وخَلْق الذكر والأنثى على أحد التفسيرين، الذي جعل «ما» هنا مصدرية، والذي خَلَق الذكر والأنثى، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ على التفسير الآخر، فعلى المعنى الأول: يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقسم بخلق الذكر والأنثى، وعلى الثاني: يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أقسم بنفسه؛ لأنه هو الذي خلق الذكر والأنثى»[٤].

وَلَمَّا كَانَ الْقَسَمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَضَادَّةِ، كَانَ الْقَسَمُ عَلَيْهِ أَيْضًا مُتَضَادًّا؛ وَلِهَذَا قَالَ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٣.

(٤) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لمحمد بن عثيمين، ص ٤٣٠.

٤- ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، أَيْ: أَعْمَالُ الْعِبَادِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مُتَضَادَّةٌ أَيْضًا وَمُتَخَالِفَةٌ، فَمِنْ فَاعِلٍ خَيْرًا، وَمِنْ فَاعِلٍ شَرًّا[1].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾: إِنْ أَعْمَالَكُمْ لِمُخْتَلِفَةٌ، فَسَاعٍ فِي فِكَاكِ نَفْسِهِ، وَسَاعٍ فِي عَطَبِهَا»[2].

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إن سعيكم لشتى﴾ يعني: إن عملكم ﴿لشتى﴾ أي: لمتفرق تفرقاً عظيماً، فالله عَزَّ وَجَلَّ أقسم بأشياء متضادة على أشياء متضادة: الليل ضد النهار، الذكر ضد الأنثى، السعي متضاد: صالح وسيئ، فتناسب المقسم به، والمقسم عليه، وهذا من بلاغة القرآن، فالمعنى أن اختلاف الليل والنهار، والذكر والأنثى أمر ظاهر لا يخفى، فكذلك أعمال العباد متباينة متفاوتة، منها الصالح، ومنها الفاسد، ومنها ما يخلط صالحاً وفاسداً، كل ذلك بتقدير الله عَزَّ وَجَلَّ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[3].

٥- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾، أَيْ: أَعْطَى مَا أُمِرَ بِإِخْرَاجِهِ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِي أُمُورِهِ.

٦- ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِالْمُجَازَاةِ عَلَى ذَلِكَ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَقَالَ خَصِيفٌ: بِالثَّوَابِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِالْخَلَفِ، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَالضَّحَّاكُ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عِكْرِمَةَ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾، قَالَ: الصَّلَاةُ، وَالزَّكَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَقَالَ مَرَّةً: وَصَدَقَةُ الْفِطْرِ.

وفي رواية عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ مرفوعة: «**الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ**»[4].

٧- ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي لِلْخَيْرِ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٤.

(٣) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لابن عثيمين، ص ٣٣٠.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ٦/ ١٩٤٤، وصفة الجنة لابن أبي الدنيا، ص ٩٧، وبرقم ٩١، والبعث والنشور للبيهقي، ص ٢٤٩، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء، ٥/ ٢٠٤، وأشار إليه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، ٢/ ١٢٥، وعدد طرقه وشواهده، وبنحوه أخرجه مسلم، برقم ١٨١.

أَسْلَمَ: يَعْنِي لِلْجَنَّةِ.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مِنْ ثَوَابِ الحسنةُ الْحَسَنَةَ بَعْدَهَا، وَمِنْ جَزَاءِ السَّيِّئَةِ السيئةُ بَعْدَهَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:

٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾، أَيْ: بِمَا عِنْدَهُ، ﴿وَاسْتَغْنَى﴾، قَالَ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ: بَخِلَ بِمَالِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ ﷻ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

٩- ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾، أَيْ: بِالْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

١٠- ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، أَيْ: لِطَرِيقِ الشَّرِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١]، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ يُجازي مَنْ قَصَدَ الْخَيْرَ بِالتَّوْفِيقِ لَهُ، وَمَنْ قَصَدَ الشَّرَّ بِالْخِذْلَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ مُقدّر، وَالْأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ[1].

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُ أَنَّ أَبَاهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ يَقُولُ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَعْمَلُ عَلَى مَا فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى أَمْرٍ مُؤْتَنِفٍ؟ قَالَ: «**بَلْ عَلَى أمر قد فُرِغ منه**»، قَالَ: فَفِيمَ العملُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[2].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ فِي جِنَازَةٍ، فَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِلْعُسْرَى﴾[3].

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؓ: كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَسَ فَجَعَلَ يَنكُت بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٢.
(٢) مسند أحمد، ١/ ١٩٩، برقم ١٩، وحسنه لغيره محققو المسند.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٥، ورقم ٤٩٤٧، ورقم ٤٩٤٨، ورقم ٤٩٤٩.

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، أَوْ: مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مَنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مَنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى أَهْلِ الشَّقَاءِ؟ فَقَالَ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ، فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُونَ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ الْآيَةَ[(١)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ: قَالَ: قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَا نَعْمَلُ فِيهِ؟ أَفِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ أَوْ مُبْتَدَأٍ أَوْ مُبْتَدَعٍ؟ قَالَ: «فِيمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَاعْمَلْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنَّ كُلا مُيَسَّر، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلسَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ لِلشَّقَاءِ»[(٢)].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ غَرَبَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إِلَّا وبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ خَلْقُ اللهِ كُلُّهُمْ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[(٣)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[(٤)].

١١- ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ إِذَا مَاتَ، وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ، وَمَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: إِذَا تَرَدَّى فِي النَّارِ[(٥)].

قال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾، هذا هو المقسم عليه، أي: إن

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٤٨، وصحيح مسلم، برقم ٢٦٤٧، ٢٦٤٨.
(٢) مسند أحمد، ٩/ ١٣٩، برقم ٥١٤٠، وحسنه لغيره محققو المسند.
(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٤٨٢، وصححه، ووافقه الذهبي، صحيح ابن حبان، ٢/ ٤٦٢، برقم ٦٨٦، وصححه محققه الأرناؤوط، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥٤٦، برقم ٩١٧.
(٤) صحيح البخاري، برقم ١٤٤٢، وصحيح مسلم، برقم ١٠١٠.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٣..

سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوتاً كثيرًا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال، ومقدارها، والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟ فيبقى السعي له ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطلانها، ويضمحل باضمحلالها، وهذا كل عمل يقصد به غير وجه الله تعالى، بهذا الوصف، ولهذا فصل الله تعالى العاملين، ووصف أعمالهم، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى﴾ أي: ما أمر به من العبادات المالية، كالزكوات، والكفارات، والنفقات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية: كالصلاة، والصوم ونحوهما، والمركبة منهما، كالحج والعمرة، ونحوهما، ﴿وَاتَّقَى﴾ ما نهي عنه، من المحرمات، والمعاصي، على اختلاف أجناسها، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: صدق بـ«لا إله إلا الله»، وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ أي: نسهل عليه أمره، ونجعله ميسرًا له كل خير، ميسرًا له ترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب، والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ عن الله، فترك عبوديته جانبًا، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجاة لها، ولا فوز، ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها، ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسرًا للشر أينما كان، ومقيضًا له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية، ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذي أطغاه، واستغنى به، وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحبه إلا عمله الصالح، وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب، فإنه يكون وبالاً عليه، إذ لم يقدم منه لآخرته شيئًا»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: ﴿فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى﴾، ﴿فأما من أعطى﴾ أي: أعطى ما أمر بإعطائه من مالٍ، أو جاهٍ، أو علمٍ، ﴿واتقى﴾ اتقى ما أمر باتقائه من المحرمات، ﴿وصدق بالحسنى﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ص١٠٩٤.

أي: صدق بالقولة الحسنى، وهي قول الله ﷻ، وقول رسوله ﷺ، لأن أصدق الكلام، وأحسن الكلام كلام الله ﷻ، ﴿فسنيسره لليسرى﴾ السين: هنا للتحقيق، أي: أن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسييسره الله ﷻ لليسرى في أموره كلها: في أمور دينه ودنياه؛ ولهذا تجد أيسر الناس عملاً هو من اتقى الله ﷻ، من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، وكلما كان الإنسان أتقى لله كانت أموره أيسر له، قال تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ [الطلاق: ٤]، وكلما كان الإنسان أبعد عن الله كان أشد عسراً في أموره؛ ولهذا قال: ﴿وأما من بخل﴾ فلم يعط ما أمر بإعطائه ﴿واستغنى﴾ استغنى عن الله ﷻ، ولم يتق ربه، بل رأى أنه في غنى عن رحمة الله، ﴿وكذب بالحسنى﴾ أي: بالقولة الحسنى، وهي قول الله تعالى، وقول رسوله ﷺ، ﴿فسنيسره للعسرى﴾ ييسر للعسرى في أموره كلها...﴿وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾ يعني أي شيء يغني عنه ماله إذا بخل به، و﴿تردى﴾ أي: هلك أي شيء يغني المال؟ لا يغني شيئاً»[(١)].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)﴾

١٢- قَالَ قَتَادَةُ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، أَيْ: نُبَيِّنُ الحلالَ والحرامَ.. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَنْ سَلك طَرِيقَ الْهُدَى وَصَل إِلَى اللهِ، وَجَعَلَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النَّحل: ٩]، حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

١٣- ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأولَى﴾، أَيِ: الْجَمِيعُ مِلْكُنَا، وَأَنَا الْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا.

١٤- ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: أَيْ تَوَهَّجُ.

عن سِماك بْنِ حَرْبٍ، سمعتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: «أَنْذِرُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ،

---
(١) تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢٣١- ٢٣٣.

حَتَّى لَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِالسُّوقِ لَسَمِعَهُ مِنْ مَقَامِي هَذَا»، قَالَ: حَتَّى وَقَعَتْ خَميصة كَانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ»[١].

وَعن أَبِي إِسْحَاقَ: سَمِعْتُ النعمان بن بَشِيرٍ يَخْطُبُ وَيَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رجلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ**»[٢].

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أيضاً، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ يَغلي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَل، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا**»[٣].

١٥- ﴿**لَا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى**﴾، أَيْ: لَا يَدْخُلُهَا دُخُولًا يُحِيطُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ إِلَّا الْأَشْقَى، ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ:

١٦- ﴿**الَّذِي كَذَّبَ**﴾، أَيْ: بِقَلْبِهِ، ﴿**وَتَوَلَّى**﴾، أَيْ: عَنِ الْعَمَلِ بِجَوَارِحِهِ وأركانه.

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي تَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[٤].

١٧- ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى**﴾، أَيْ: وسَيُزَحزح عَنِ النَّارِ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الْأَتْقَى، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ:

١٨- ﴿**الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى**﴾، أَيْ: يَصْرِفُ مَالَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ؛ لِيُزَكِّيَ نَفْسَهُ، وَمَالَهُ، وَمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَدُنْيَا.

١٩- ﴿**وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى**﴾، أَيْ: لَيْسَ بَذْله مَالَهُ فِي مُكَافَأَةِ مَنْ أَسْدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفًا، فَهُوَ يُعْطِي فِي مُقَابَلَةِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا دَفَعَهُ ذَلِكَ:

٢٠- ﴿**ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى**﴾، أَيْ: طَمَعًا فِي أَنْ يَحْصُلَ لَهُ رُؤْيَتُهُ فِي

---

(١) مسند أحمد، ٣٠/ ٣٤٨، برقم ١٨٣٩٨، وحسنه محققو المسند.
(٢) مسند أحمد، ٣٠/ ٣٦٢، برقم ١٨٤١٣، وصحح إسناده محققو المسند.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٦٥٦٢، وصحيح مسلم، برقم ٢١٣.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٧٢٨٠، ومسند أحمد، ١٤/ ٣٤٢، برقم ٨٧٢٨.

الدَّارِ الْآخِرَةِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

٢١- ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، أَيْ: وَلَسَوْفَ يَرْضَى مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوْلَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا، فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾**، وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا تَقِيًا كَرِيمًا جَوَادًا، بَذَّالًا لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَنُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ بَذَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكَافِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ، يَوْمَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدٌ لَكَ كَانَتْ عِنْدِي، لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، وَكَانَ الصِّدِّيقُ قَدْ أَغْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالَةِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ، وَرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ، فَكَيْفَ بِمَنْ عَدَاهُمْ؟ وَلِهَذَا قَالَ: **﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾**، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَته خَزَنَةُ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا خَيْرٌ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَى مَنْ يُدعى مِنْهَا ضَرُورَةٌ، فَهَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[(١)(٢)].

وذكر **الإمام البغوي** رحمه الله: «**﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾**: يَعْنِي: الْبَيَانَ، قَالَ الزَّجَّاجُ: عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، قَالَ: عَلَى اللَّهِ بَيَانُ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، قَالَ الْفَرَّاءُ: يَعْنِي مَنْ سَلَكَ الْهُدَى فَعَلَى اللَّهِ سَبِيلُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾** [النحل: ٩]، يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ اللَّهَ فَهُوَ عَلَى السَّبِيلِ الْقَاصِدِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى وَالْإِضْلَالَ، كَقَوْلِهِ: **﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾** [آل عمران: ٢٦]... **﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ**

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٢٨٤١، وصحيح مسلم، برقم ١٠٢٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٧٧.

﴿وَالْأُولَى﴾ فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِ مَالِكِهِمَا فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ»[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، أي: إن الهدى المستقيم طريقه، يوصل إلى الله، ويدني من رضاه، وأما الضلال، فطرق مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأولَى﴾ ملكًا وتصرفًا، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ أي: تستعر وتتوقّد، ﴿لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الأتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، ﴿لا يَصْلاهَا إِلا الأشْقَى الَّذِي كَذَّبَ﴾ بالخبر ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الأمر، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصدًا به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب، ﴿وَمَا لأحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا وقد كافأه بها، وربما بقي له الفضل والمنة على الناس، فتمحض عبدًا لله، لأنه رقيق إحسانه وحده، وأما من بقي عليه نعمة للناس لم يجزها، ويكافئها، فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص، إخلاصه، وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه رضي الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء، ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى؛ ولهذا قال: ﴿إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ هذا الأتقى

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٦.

بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات، والحمد لله رب العالمين»[1].

وذكر **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿**إن علينا للهدى**﴾ فيه التزام من الله ﷻ أن يبيّن للخلق ما يهتدون به إليه، والمراد بالهدى هنا: هدى البيان والإرشاد، فإن الله تعالى التزم على نفسه بيان ذلك، حتى لا يكون للناس على الله حجة... وليُعلم أن الهدى نوعان: هدى التوفيق، فهذا لا يقدر عليه إلا الله، وهدى إرشاد ودلالة، فهذا يكون من الله، ويكون من الخلق: من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن العلماء... ﴿**وإن لنا للآخرة والأولى**﴾ يعني: لنا الآخرة والأولى، الأولى متقدمة على الآخرة في الزمن، لكنه في هذه الآية أخرها لفائدتين: الفائدة الأولى: معنوية، والفائدة الثانية: لفظية، أما المعنوية؛ فلأن الآخرة أهم من الدنيا، ولأن الآخرة يظهر فيها ملك الله تعالى تماماً... أما الفائدة اللفظية: فهي مراعاة الفواصل، يعني: أواخر الآيات، كلها آخرها ألف... ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى**﴾ يعني أنه لا يعطي المال مكافأة على نعمة سابقة من شخص، فليس لأحد عليه فضل حتى يعطيه مكافأة، ولكنه يعطي ابتغاء وجه الله؛ ولهذا قال: ﴿**إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾، فهو لا ينفق إلا طلب وجه الله، أي: طلب الوصول إلى دار كرامته التي يكون بها رؤية الله ﷻ، ﴿**ولسوف يرضى**﴾ يعني: سوف يرضيه الله ﷻ بما يعطيه من الثواب الكثير...»[2].



---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢٦)

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم، جزء عم، لمحمد بن عثيمين، ص ٢٣٥- ١٢٣٧.

٩٣- تَفْسِيرُ سُورَةِ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾.

عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدُبا يَقُولُ: اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ، فَأَتَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، مَا أَرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[١].

وَفِي رِوَايَةِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ: سَمِعَ جُنْدُبًا قَالَ: أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَلَى رسول اللَّه ﷺ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وُدِّعَ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٢].

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ السَّلَفِ -مِنْهُمُ ابْنُ إِسْحَاقَ- أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ هِيَ الَّتِي أَوْحَاهَا جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ تَبَدَّى لَهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، وَدَنَا إِلَيْهِ، وَتَدَلَّى مُنْهَبِطًا عَلَيْهِ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النَّجْمِ: ١٠]، قَالَ: قَالَ لَهُ هَذِهِ السُّورَةَ: ﴿وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾.

قَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا نزل عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنُ، أَبْطَأَ عَنْهُ جِبْرِيلُ أَيَّامًا، فَتَغَيَّرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: وَدَّعَهُ رَبُّهُ وَقَلَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٣].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ: سَأَلَتِ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَعَنِ الرُّوحِ، فَقَالَ:«سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا»،

---

(١) مسند أحمد، ٣١/ ١٠٤، برقم ١٨٨٠٤، وصحح إسناده محققو المسند.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٨٣، وصحيح مسلم، برقم ١٧٩٧، والترمذي، برقم ٣٣٤٥، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٨١، وتفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٤٢، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٤٨٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨١.

وَلَمْ يَقِلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَاحْتَبَسَ عَنْهُ الْوَحْيُ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: كَانَ سَبَبُ احْتِبَاسِ جِبْرِيلَ عليه السلام عنه كان جرو في بيته، فلما نزل عَاتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِبْطَائِهِ، فَقَالَ: «**إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ**»[١].

وَهَذَا قَسَمٌ مِنْهُ تَعَالَى بِالضُّحَى، وَمَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الضِّيَاءِ، ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾، أَيْ: سَكَنَ فَأَظْلَمَ وادلهم، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِ هَذَا وَهَذَا، كَمَا قَالَ: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**﴾ [اللَّيل: ١-٢]، وَقَالَ: ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾ [الأَنعَام: ٩٦][٢].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿**وَالضُّحَى**﴾، أَقْسَمَ بِالضُّحَى، وَأَرَادَ بِهِ النَّهَارَ كُلَّهُ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَابَلَهُ بالليل إذا سجى، نظيره قوله: ﴿**أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى**﴾ [الأَعرَاف: ٩٨]، أَيْ نَهَارًا، وَقَالَ قَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي وَقْتَ الضُّحَى، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا ارْتِفَاعُ الشَّمْسِ، وَاعْتِدَالُ النَّهَارِ فِي الْحَرِّ، وَالْبَرْدِ، وَالصَّيْفِ، وَالشِّتَاءِ، ﴿**وَاللَّيْلِ إذا سجى**﴾، قَالَ الْحَسَنُ: أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ، وَهِيَ رِوَايَةُ الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ الْوَالِبِيُّ عَنْهُ: إِذَا ذَهَبَ، قَالَ عَطَاءٌ، وَالضَّحَّاكُ: غَطَّى كُلَّ شَيْءٍ بِالظُّلْمَةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَوَى، وَقَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ: سَكَنَ، وَاسْتَقَرَّ ظَلَامُهُ، فَلَا يَزْدَادُ بَعْدَ ذَلِكَ، يُقَالُ: لَيْلٌ سَاجٍ، وَبَحْرٌ سَاجٍ، إِذَا كَانَ سَاكِنًا»[٣].

وقال في أضواء البيان للشنقيطي: «﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى**﴾ ... سَكَنَ، ... وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ سَكَنَ بِأَهْلِهِ، وَثَبَتَ بِظَلَامِهِ»[٤].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٨، وحديث زيد بن أسلم في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٨/ ١٨٣، برقم ٣٤٨٧، ولفظه: عن ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: أَخْبَرَتْنِي مَيْمُونَةُ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: «إن رسول اللَّهَ ﷺ أَصْبَحَ يَوْمًا وَاجِمًا، قَالَتْ مَيْمُونَةُ: يَا رَسُولَ اللهَّ! استنكرتُ هَيْئَتَكَ مُنْذُ الْيَوْمِ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ** عليه السلام **قَدْ وَعَدَنِي أَنْ يَلْقَانِيَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَلْقَنِي، أَمَا وَاللهَّ مَا أخلفَني!**»، قَالَتْ: فظَلَّ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يومَهُ ذَلِكَ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ جِرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ بساط لَنَا، فَأَمَرَ بِهِ، فأُخرج، ثُمَّ أَخذَ بِيَدِهِ مَاءً، فَنَضَحَ بِهِ مَكَانَهُ، فَلَمّا أَمْسَى؛ لَقِيَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «**قَدْ كُنْتَ وَعَدْتَنِي أَنْ تَلْقَانِيَ اللَّيْلَةَ؟!**»، قَالَ: **أَجَلْ، وَلَكِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ يَوْمَئِذٍ يَأْمُرُ بِقَتْلِ الْكِلَابِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَأْمُرُ بِقَتْلِ كَلْبِ الْحَائِطِ الصَّغِيرِ، وَيَتْرُكُ كلب الحائط الكبير». وقال العلامة الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٨/ ١٨٣: «صحيح»، وفي مسند الإمام أحمد، ٣٦/ ١٠٧، برقم ٢١٧٧٢ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، ولفظه: قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَعَلَيْهِ الْكَآبَةُ، فَسَأَلْتُهُ مَا لَهُ؟ فَقَالَ: «**لَمْ يَأْتِنِي جِبْرِيلُ مُنْذُ ثَلَاثٍ**»، قَالَ: فَإِذَا جِرْوُ كَلْبٍ بَيْنَ بُيُوتِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، فَبَدَا لَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَبَهَشَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهَّ ﷺ حِينَ رَآهُ، فَقَالَ: «**لَمْ تَأْتِنِي**» فَقَالَ: **إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ، وَلَا تَصَاوِيرُ**»، وقوى إسناده محققو المسند.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨١.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٨.

(٤) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ٩/ ٢٧٣.

٣- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ أَيْ: مَا تَرَكَكَ، ﴿وَمَا قَلَى﴾، أَيْ: وَمَا أَبْغَضَكَ[١].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾، هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، أَيْ: مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اخْتَارَكَ، وَلَا أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ»[٢].

٤- ﴿وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾، أَيْ: وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ؛ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَأَعْظَمَهُمْ لَهَا إِطْرَاحًا، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ سِيرَتِهِ، وَلَمَّا خُيِّرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ عُمْرِهِ بَيْنَ الْخُلْدِ فِي الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الصَّيْرُورَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ عَلَى هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَأَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ جَعَلْتُ أَمْسَحُ جَنْبَهُ وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا آذَنْتَنَا حَتَّى نَبْسُطَ لَكَ عَلَى الْحَصِيرِ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**ما لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا وَالدُّنْيَا؟! إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ ظَلّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ راح وتركتها**»، ولفظ الترمذي: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: «نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»[٣].

٥- ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يُعْطِيهِ حَتَّى يُرْضِيَهُ فِي أُمَّتِهِ، وَفِيمَا أعدَّه لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ نَهْرُ الْكَوْثَرِ الَّذِي حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، وَطِينُهُ مِسْك أَذْفَر.

٦- ثُمَّ قَالَ تعالى يعدد نعمه عل عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ تُوفِّي وَهُوَ حَملٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَقِيلَ: بَعْدَ أَنْ وُلِدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّ سِنِينَ، ثُمَّ كَانَ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانِ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ، ويرفع مِنْ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٣.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٨.

(٣) مسند أحمد، ٦/ ٢٤١، برقم ٣٧٠٩، وصححه محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٢٣٧٧، وَقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وسنن ابن ماجه، برقم ٤١٠٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٦٦٨.

قَدره وَيُوقِّره، وَيَكُفُّ عَنْهُ أَذَى قَوْمِهِ بَعْدَ أَنِ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ، هَذَا وَأَبُو طَالِبٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ وحُسن تَدْبِيرِهِ، إِلَى أَنْ تُوفي أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِقَلِيلٍ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ سُفَهَاءُ قُرَيْشٍ وجُهالهم، فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ الْهِجْرَةَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِلَى بَلَدِ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، كَمَا أَجْرَى اللَّهُ سُنَّته عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَالْأَكْمَلِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ آوَوه ونَصَرُوه وَحَاطُوهُ، وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ حِفْظِ اللهِ لَهُ وَكِلَاءَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِهِ»[١].

٧- ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَى: ٥٢]، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْمُرَادُ بِهَذَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضَلَّ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ صَغِيرٌ، ثُمَّ رَجَعَ، وَقِيلَ: إِنَّهُ ضَلَّ، وَهُوَ مَعَ عَمِّهِ فِي طَرِيقِ الشَّامِ، وَكَانَ رَاكِبًا نَاقَةً فِي اللَّيْلِ، فَجَاءَ إِبْلِيسُ يَعْدِلُ بِهَا عَنِ الطَّرِيقِ، حكاهما البغوي[٢].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾، أي: وجدك لا تدري ما الكتاب، ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق»[٣].

٨- ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، أَيْ: كُنْتَ فَقِيرًا ذَا عِيَالٍ، فَأَغْنَاكَ اللَّهُ عَمَّنْ سِوَاهُ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ مَقَامَي، الْفَقِيرِ الصَّابِرِ وَالْغَنِيِّ الشَّاكِرِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾، قَالَ: كَانَتْ هَذِهِ مَنَازِلَ الرَّسُولِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ[٤].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ أَيْ: فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ بِمَالِ خَدِيجَةَ، ثُمَّ بِالْغَنَائِمِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: فَرَضَّاكَ بِمَا أَعْطَاكَ مِنَ الرِّزْقِ، وَاخْتَارَهُ الْفَرَّاءُ،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٤.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٤، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٩.
(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٥.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٨٨، وتفسير كثير، ١٤/ ٣٨٥.

وَقَالَ: لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَرْضَاهُ بِمَا آتَاهُ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْغِنَى»[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»[٢].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ**»[٣].

٩- ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾، أَيْ: كَمَا كُنْتَ يَتِيمًا فَآوَاكَ اللَّهُ، فَلَا تَقْهَرِ الْيَتِيمَ، أَيْ: لَا تُذِلَّهُ، وَتَنْهَرْهُ، وَتُهِنْهُ، وَلَكِنْ أَحسِنْ إِلَيْهِ، وَتَلَطَّفْ بِهِ.

قَالَ قَتَادَةُ: كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ.

١٠- ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾، أَيْ: كَمَا كُنْتَ ضَالًّا فَهَدَاكَ اللَّهُ، فَلَا تَنْهَرِ السَّائِلَ فِي الْعِلْمِ الْمُسْتَرْشِدَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾، أَيْ: فَلَا تَكُنْ جَبَّارًا، وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا فَحَّاشا، وَلَا فَظًّا عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي رَد الْمِسْكِينَ بِرَحْمَةٍ وَلِينٍ[٤].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾ أي: لا يصدر منك إلى السائل كلام يقتضي رده عن مطلوبه، بنهر وشراسة خلق، بل أعطه ما تيسر عندك، أو ردّه بمعروف وإحسان، وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم؛ ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام، والتحنن عليه؛ فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكرامًا لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد»[٥].

١١- ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾، أَيْ: وَكَمَا كُنْتَ عَائِلًا فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ اللَّهُ، فَحَدِّثْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ، كَمَا جَاءَ فِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ النَّبَوِيِّ: «**وَاجْعَلْنَا**

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤٩٩.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٦٤٤٦، وصحيح مسلم، برقم ١٠٥١.

(٣) صحيح مسلم، برقم ١٠٥٤.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٥.

شَاكِرِينَ لِنِعْمَتِكَ، مُثْنِينَ بِهَا، قَابِلِيهَا، وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا»[(١)].

وَعَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ أَنْ يُحَدَّثَ بِهَا[(٢)].

وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الْأَنْصَارُ بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. قَالَ: «**لَا مَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ، وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ**»[(٣)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**»[(٤)].

وَعَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ**»[(٥)].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَعطَى عَطاء فَوَجَد فَلْيَجزْ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ**»[(٦)].

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ**﴾، وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية ﴿**فَحَدِّثْ**﴾ أي: أثنِ على الله بها، وخصِّصْها بالذكر إن كان هناك مصلحة، وإلاّ فحدث بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله داعٍ لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن»[(٧)].



(١) الأدب المفرد، برقم ٦٣٠، وسنن أبي داود، برقم ٩٦٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٤٩١.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٨٩.
(٣) مسند أحمد، برقم ١٣٠٧٥، وسنن الترمذي، برقم ١٩٥٤، وصححه محققو المسند، وسنن أبي داود، برقم ٤٨١١.
(٤) سنن أبي داود، برقم ٤٨١١، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ١٦٠.
(٥) سنن أبي داود، برقم ٤٨١٤، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، تحت حديث رقم ٩٦٨.
(٦) سنن أبي داود، برقم ٤٨١٣، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٩٦٨.
(٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٦.

٩٤- تَفْسِيرُ سُورَةِ أَلَمْ نَشْرَحْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾.

١- ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، يَعْنِي: أَمَا شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، أَيْ: نَوَّرْنَاهُ، وَجَعَلْنَاهُ فَسِيحًا رَحِيبًا وَاسِعًا، كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وَكَمَا شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، كَذَلِكَ جَعَلَ شَرْعَه فَسِيحًا وَاسِعًا، سَمْحًا سَهْلًا، لَا حَرَجَ فِيهِ، وَلَا إِصْرَ وَلَا ضِيقَ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: شَرْحُ صَدْرِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ رِوَايَةِ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَقَدْ أَوْرَدَهُ التِّرْمِذِيُّ[1] هَاهُنَا، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ وَاقِعًا، وَلَكِنْ لَا مُنَافَاةَ، فَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ شَرْحِ صَدْرِهِ الَّذِي فُعِلَ بِصَدْرِهِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنَ الشَّرْحِ الْمَعْنَوِيِّ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[2].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، أَلَمْ نَفْتَحْ، وَنُوَسِّعْ، وَنُلَيِّنْ لَكَ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ، وَالنُّبُوَّةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْحِكْمَةِ؟»[3].

---

(١) سنن الترمذي، برقم ٣٣٤٦، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، وورد بنحوه في صحيح مسلم، برقم ١٦٤، ولفظه: عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ - رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ - قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ إِذْ سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ فَانْطُلِقَ بِي، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، فَشُرِحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا» قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلَّذِي مَعِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِهِ، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، يُقَالُ لَهُ: الْبُرَاقُ، فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ لَنَا، وَقَالَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ»، قَالَ: «فَأَتَيْنَا عَلَى آدَمَ ﷺ»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ «لَقِيَ فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ عِيسَى، وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَفِي الثَّالِثَةِ يُوسُفَ، وَفِي الرَّابِعَةِ إِدْرِيسَ، وَفِي الْخَامِسَةِ هَارُونَ ﷺ»، قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ، هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي»، قَالَ: «ثُمَّ انْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ: وَحَدَّثَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، «أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا نَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَانِ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ قَالَ: أَمَّا النَّهْرَانِ الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ أَحَدُهُمَا خَمْرٌ، وَالْآخَرُ لَبَنٌ، فَعُرِضَا عَلَيَّ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقِيلَ: أَصَبْتَ أَصَابَ اللهُ بِكَ أُمَّتُكَ عَلَى الْفِطْرَةِ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسُونَ صَلَاةً»، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّتَهَا إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٨٨.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠١.

قال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي: نوسعه لشرائع الدين، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات، فلم يكن ضيقًا حرجًا، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطًا»[١].

وقال في **أضواء البيان**: «وَاخْتُلِفَ فِي مَعْنَى شَرْحِ الصَّدْرِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا مُنَافَاةَ فِيمَا قَالُوا، وَكُلُّهَا يُكْمِلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَقِيلَ: هُوَ شَقُّ الصَّدْرِ: سَوَاءٌ كَانَ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ، وَغَسْلُهُ، وَمَلْؤُهُ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، ... وَقِيلَ: شَرْحُ الصَّدْرِ إِنَّمَا هُوَ تَوْسِعَتُهُ لِلْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ، وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَجَعْلُ قَلْبِهِ وِعَاءً لِلْحِكْمَةِ، وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «**شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**»، وَعِنْدَ أَبِي كَثِيرٍ: نَوَّرْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ فَسِيحًا رَحِيبًا وَاسِعًا، كَقَوْلِهِ: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**﴾ [الأنعام: ١٢٥]»[٢].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ هذا الاستفهام يقول العلماء إنه استفهام تقرير، واستفهام التقرير يرد في القرآن كثيراً، ويقدّر الفعل بفعل ماضٍ مقرون بقد، ففي قوله: ﴿ألم نشرح لك﴾ يقدّر بأن المعنى: قد شرحنا لك صدرك؛ لأن الله يقرر أنه شرح له صدره، وهكذا جميع ما يمر بك من استفهام التقرير؛ فإنه يقدر بفعل ماضٍ مقرون بقد... ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ أي: نوسّعه، وهذا الشرح شرح معنوي ليس شرحاً حسيًّا، وشرح الصدر أن يكون متسعاً لحكم الله عَزَّ وَجَلَّ بنوعيه: حكم الله الشرعي، وهو الدين، وحكم الله القدري، وهي المصائب التي تحدث على الإنسان، فشرح الصدر للحكم الشرعي معناه قبول الحكم الشرعي، والرضا به، وامتثاله ...، وأما انشراح الصدر للحكم القدري، فالإنسان الذي شرح الله صدره للحكم الكوني تجده راضياً بقضاء الله وقدره، مطمئناً إليه ...، وهو يتألم لكنه لا يصل إلى أن يحمل همًّا أو غمًّا... «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له**»، إذاً شرح الصدر يعني توسعته، وتهيئته لأحكام الله الشرعية والقدرية»[٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٦.

(٢) أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن، ٩/ / ٣٠٨.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢٤٥- ٢٤٧.

٢- ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾، بِمَعْنَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: ٢].

٣- ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، الْإِنْقَاضُ: الصَّوْتُ، وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾، أَيْ: أَثْقَلَكَ حَمْلُهُ[1].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ أي: ذنبك، ﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ أي: أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾، كما قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]»[2].

٤- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرتَ مَعِي: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ اللهُ ذكرَه فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ، وَلَا مُتشهد، وَلَا صاحبُ صَلَاةٍ إِلَّا يُنَادِي بِهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ، قُلْتُ: قَدْ كَانَتْ قَبْلِي أَنْبِيَاءُ، مِنْهُمْ مَنْ سُخِّرَتْ لَهُ الرِّيحُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ؟ أَلَمْ أَرْفَعْ لَكَ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَبِّ»[3].

وَحَكَى الْبَغَوِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ: الْأَذَانُ. يَعْنِي: ذِكْرَهُ فِيهِ، وَأَوْرَدَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:

أَغَرّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ ... مِنَ اللَّهِ مِنْ نُورٍ يَلُوحُ وَيشْهَد
وَضمَّ الإِلهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المؤذنُ: أشهدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو العَرْشِ محمودٌ وهَذا مُحَمَّدُ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٦.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٤٣، وأخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، ١٠/ ٢٨٧، برقم ٣٠٣، والمعجم الكبير للطبراني، برقم ١٢٢٨٩، والمعجم الأوسط له، برقم ٣٦٥١، والحاكم، ٢/ ٥٢٦، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة لابن حجر، ٧/ ١٨٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦/ ٨٦، برقم ٢٥٣٨.

وَقَالَ آخَرُونَ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، وَنَوَّهَ بِهِ، حِينَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَنْ يَأْمُرُوا أُمَمَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ، ثُمَّ شَهَرَ ذِكْرَهُ فِي أُمَّتِهِ فَلَا يُذكر اللَّهُ إِلَّا ذُكر مَعَهُ، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الصَّرْصَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَا يَصِحُّ الأذانُ فِي الفَرْضِ إلّا ... باسمِه العَذْب فِي الْفَمِ المرْضي

وَقَالَ أَيْضًا:

أَلَمْ تَرَ أَنَّا لَا يَصِحُّ أذانُنَا ... وَلا فَرْضُنا إنْ لَمْ نُكَرِّرْه فِيهِمَا[1]

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر معه رسوله ﷺ، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد ﷺ، وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال، والتعظيم ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيًا عن أمته»[2].

٥- ٦- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يوجَدُ الْيُسْرُ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا الْخَبَرَ.

وعن الحسن قال: «كانوا يقولون: لا يغلب عسرٌ واحدٌ يُسرين اثنين»[3].

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ الْعُسْرَ مُعَرَّفٌ فِي الْحَالَيْنِ، فَهُوَ مُفْرَدٌ، وَالْيُسْرُ مُنَكَّرٌ فَتَعَدَّدَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»، يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فَالْعُسْرُ الْأَوَّلُ عَيْنُ الثَّانِي، وَالْيُسْرُ تَعَدَّدَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَزَّلَ الْمَعُونَةَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى قَدْرِ الْمُؤُونَةِ، وَنَزَّلَ الصَّبْرَ عَلَى قَدْرِ الْمُصِيبَةِ»[4].

وَمِمَّا يُرْوَى عَنِ الشَّافِعِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ:

صَبراً جَميلاً مَا أقرَبَ الفَرجا ... مَن رَاقَبَ اللَّهَ فِي الْأُمُورِ نَجَا

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص ١٠٩٦.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٤٦، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٢.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٥/ ٤٠٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٣٠٠١.

مَـــن صَـــدَق اللهَ لَـــم يَنَلْـــه أذَى وَمَـــن رَجَـاه يَكُـــون حَيـــثُ رَجَـا

وَقَالَ ابْنُ دُرَيد: أَنْشَدَنِي أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ:

إِذَا اشْـتَمَلَتْ عَلَـى الْيَـأسِ القلـوبُ وَضَـاقَ لِمَـا بِـهِ الصَّـدْرُ الرحيـبُ

وَأوْطَـأتِ الْمَكَـارِهُ وَاطْمَأنَّـتْ وَأرْسَـتْ فِـي أمَاكِنِهَـا الخطـوبُ

وَلَـمْ تَـرَ لِانْكِشَـافِ الضُّـرِّ وَجْهًـا وَلَا أغْنَـى بحيلتـه الأريـبُ

أتَـاكَ عَلَـى قُنـوط مِنْـك غَـوثٌ يَمُـنُّ بِـهِ اللَّطِيـفُ المسـتجيبُ

وَكُـلُّ الْحَادِثَـاتِ إِذَا تَنَاهَـتْ فَمَوْصُـولٌ بِهَـا الْفَـرَجُ الْقَرِيـبُ

وَقَالَ آخَرُ:

وَلَـرُب نَازِلَـةٍ يَضِـيقُ بِهَـا الْفَتَـى ذَرْعًـا وَعِنْـدَ اللهِ مِنْهَـا الْمَخْـرَجُ

كَمُلَـتْ فَلَمَّـا اسْـتَحْكَمَتْ حَلْقَاتُهَـا فُرِجَـتْ وَكَـانَ يَظُنُّهَـا لَا تُفْـرَجُ[(١)]

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى قوله: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ» إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَرَّرَ الْعُسْرَ بِلَفْظِ الْمَعْرِفَةِ، وَالْيُسْرَ بِلَفْظِ النَّكِرَةِ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا ذَكَرَتِ اسْمًا مُعَرَّفًا، ثُمَّ أَعَادَتْهُ كَانَ الثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ، وَإِذَا ذَكَرَتْ نَكِرَةً، ثُمَّ أَعَادَتْهُ مِثْلَهُ صَارَ اثنين، وإذا عادته مَعْرِفًا، فَالثَّانِي هُوَ الْأَوَّلُ...»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسراً﴾ العسر الأول أعيد في الثانية بأل، فـ«أل» هنا للعهد الذكري، وأما يسر فإنه لم يأت معرفاً، بل جاء منكراً، والقاعدة: أنه إذا كرر الاسم مرتين بصيغة التعريف، فالثاني هو الأول إلا ما ندر، وإذا كرر الاسم مرتين بصيغة التنكير فالثاني غير الأول، لأن الثاني نكرة، فهو غير الأول، إذاً في الآيتين الكريمتين يسران، وفيهما عسر واحد»[(٣)].

٧- ٨- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾، أَيْ: إِذَا فرغت مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَشْغَالِهَا، وَقَطَعْتَ عَلَائِقَهَا، فَانْصَبْ فِي الْعِبَادَةِ، وَقُمْ إِلَيْهَا نَشِيطًا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٢.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٣.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢٥٣.

فَارِغَ الْبَالِ، وَأَخْلِص لِرَبِّكَ النِّيَّةَ وَالرَّغْبَةَ، وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ قَوْلِهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**»[1]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَحَضَرَ الْعَشَاءُ، فَابْدَءُوا بِالعَشَاءِ**»[2].

قَالَ مُجَاهِدٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَقُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَانْصَبْ لِرَبِّكَ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَانْصَبْ فِي حَاجَتِكَ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ فَانْصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، وَعَنِ ابْنِ عِيَاضٍ نَحْوُهُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: ﴿**فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾ بَعْدَ فَرَاغِكَ مِنَ الصَّلَاةِ وَأَنْتَ جَالِسٌ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ**﴾، يَعْنِي: فِي الدُّعَاءِ.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وَالضَّحَّاكُ: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ**﴾، أَيْ: مِنَ الْجِهَادِ، ﴿**فَانْصَبْ**﴾، أَيْ: فِي الْعِبَادَةِ، ﴿**وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾، قَالَ الثَّوْرِيُّ: اجْعَلْ نِيَّتَكَ وَرَغْبَتَكَ إِلَى اللَّهِ عَجَّلَ[3].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ**﴾، أَيْ: فَاتْعَبْ، وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ فَانْصَبْ إِلَى رَبِّكَ فِي الدُّعَاءِ، وَارْغَبْ إِلَيْهِ فِي الْمَسْأَلَةِ يُعْطِكَ، وَرَوَى عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِذَا صَلَّيْتَ فَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ، وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْفَرَائِضِ فَانْصَبْ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا فَرَغْتَ مِنَ التَّشَهُّدِ، فَادْعُ لِدُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَقَالَ الْحَسَنُ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكَ فَانْصَبْ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ، وَقَالَ مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَانْصَبْ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ وَصَلِّ، وَقَالَ حَيَّانُ عَنِ الْكَلْبِيِّ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَانْصَبْ، أَي:اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿**وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ**﴾، قَالَ عَطَاءٌ: تَضَرَّعْ إِلَيْهِ رَاهِبًا مِنَ النَّارِ رَاغِبًا فِي الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: فَارْغَبْ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ، قَالَ الزَّجَّاجُ: أَيِ اجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَى اللَّهِ وحده»[4].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٣، والحديث رواه مسلم في صحيحه، برقم ٥٦٠.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، برقم ٥٤٦٥، ومسلم، برقم ٥٥٨.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٣.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٣.

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ أي: إذا تفرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء، ﴿وَإِلَى رَبِّكَ﴾ وحده، ﴿فَارْغَبْ﴾ أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك، وقبول عباداتك، ولا تكن ممن إذا فرغوا، وتفرغوا، لعبوا، وأعرضوا عن ربهم، وعن ذكره، فتكون من الخاسرين، وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿فإذا فرغت﴾ من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى ربك فارغب في سؤال مطالبك، واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات، والله أعلم بذلك»[١].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب﴾ أي إذا فرغت من أعمالك فانصب لعمل آخر، يعني اتعب لعمل آخر، لا تجعل الدنيا تضيع عليك، ولهذا كانت حياة الإنسان العاقل حياة جد، كلما فرغ من عمل شرع في عمل آخر، وهكذا؛ لأن الزمن يفوت على الإنسان، في حال يقظته، ومنامه، وشغله، وفراغه... ﴿وإلى ربك فارغب﴾ يعني إذا عملت الأعمال التي فرغت منها، ونصبت في الأخرى، فارغب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ في حصول الثواب، وفي حصول الأجر، وفي الإعانة كن مع الله عَزَّ وَجَلَّ قبل العمل، وبعد العمل، قبل العمل كن مع الله تستعينه، وبعده ترجو منه الثواب، وفي قوله: ﴿إلى ربك فارغب﴾ فائدة بلاغية ﴿إلى ربك﴾ متعلقة من حيث الإعراب بـ«ارْغَبْ»، وهي مقدمة عليها، وتقديم المعمول يفيد الحصر، يعني إلى اللهِ لا إلى غيره، فارغب في جميع أمورك، وثق بأنك متى علقت رغبتك بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ فإنه سوف ييسر لك الأمور»[٢].

وقال في **أضواء البيان**: «﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ النَّصَبُ: التَّعَبُ بَعْدَ الِاجْتِهَادِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ [الغاشية: ٢-٣]، وَقَدْ يَكُونُ النَّصَبُ لِلدُّنْيَا أَوْ لِلْآخِرَةِ، وَلَمْ يُبَيِّنِ الْمُرَادَ بِالنَّصَبِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٦.

(٢) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين، جزء عم، ص ٢٥٥.

فِي أَيِّ شَيْءٍ، فَاخْتُلِفَ فِيهِ، وَلَكِنَّهَا أَقْوَالٌ مُتَقَارِبَةٌ، فَقِيلَ: فِي الدُّعَاءِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَقِيلَ: فِي النَّافِلَةِ [بعد الفراغ] مِنَ الْفَرِيضَةِ، وَالَّذِي يَشْهَدُ لَهُ الْقُرْآنُ، أَنَّهُ تَوْجِيهٌ عَامٌّ لِلْأَخْذِ بِحَظِّ الْآخِرَةِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْ عَمَلِ الدُّنْيَا... ﴿**وإلى ربك فارغب**﴾ التقديم هنا مشعر بالتخصيص وهو كقوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: لا نعبد غيرك، وهكذا هنا لا ترغب إلى غيره سبحانه، كأنه يقول: الذي أنعم عليك بكل ما تقدم، هو الذي ترغب فيما عنده لا سواه»[1].



---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٢١٩- ٢٢١.

٩٥- تَفْسِيرُ سُورَةِ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي سَفَرٍ فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ»[1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)﴾.

١- اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ هَاهُنَا عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ، فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالتِّينِ مَسْجِدُ دِمَشْقَ، وَقِيلَ: هِيَ نَفْسُهَا، وَقِيلَ: الْجَبَلُ الَّذِي عِنْدَهَا.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هُوَ مَسْجِدُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

وَرَوَى الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ مَسْجِدُ نُوحٍ الَّذِي عَلَى الْجُودِيِّ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ تِينُكُمْ هَذَا.

﴿وَالزَّيْتُونِ﴾، قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ: هُوَ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ: هُوَ هَذَا الزَّيْتُونُ الَّذِي تَعْصِرُونَ.

٢- ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى.

٣- ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، يَعْنِي: مَكَّةَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِي، وَابْنُ زَيْدٍ، وَكَعْبُ الْأَحْبَارِ، وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: هَذِهِ مَحَالُّ ثَلَاثَةٌ، بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ، فَالْأَوَّلُ: مَحَلَّةُ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، وَالثَّانِي:

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٥٢، وصحيح مسلم برقم ٤٦٤، وسنن أبي داود، برقم ١٢٢١، وسنن الترمذي، برقم ٣١٠، وسنن النسائي، برقم ١٠٠٠، وسنن ابن ماجه، برقم ٨٣٤، ٨٣٥ واللفظ له بعد الجمع بين روايتيه.

طُورُ سِينِينَ، وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، وَالثَّالِثُ: مَكَّةُ، وَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِيهِ مُحَمَّدًا ﷺ، قَالُوا: وَفِي آخِرِ التَّوْرَاةِ ذِكْرُ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ الثَّلَاثَةِ: جَاءَ اللَّهُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ، يَعْنِي الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى، وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ، يَعْنِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ مِنْهُ عِيسَى، وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ، يَعْنِي: جِبَالَ مَكَّةَ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ مِنْهَا مُحَمَّدًا ﷺ، فَذَكَرَهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ الْوُجُودِيِّ بِحَسَبِ تَرْتِيبِهِمْ فِي الزَّمَانِ، وَلِهَذَا أَقْسَمَ بِالْأَشْرَفِ، ثُمَّ الْأَشْرَفِ مِنْهُ، ثُمَّ بِالْأَشْرَفِ مِنْهُمَا[1].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ: هُوَ تِينُكُمْ هَذَا الَّذِي تَأْكُلُونَهُ، وَزَيْتُونُكُمْ هَذَا الَّذِي تَعْصِرُونَ مِنْهُ الزَّيْتَ... ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، يَعْنِي: الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ،... ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾، أَيِ: الْآمِنِ، يَعْنِي مَكَّةَ، يَأْمَنُ فِيهِ النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، هَذِهِ كُلُّهَا أَقْسَامٌ وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾»[2].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿التين﴾: هو التين المعروف، وكذلك ﴿الزَّيْتُونَ﴾ أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما؛ ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ أي: طور سيناء، محل نبوة موسى، ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾، وهي: مكة المكرمة، محل نبوة محمد ﷺ، فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها، وابتعث منها أفضل النبوات، وأشرفها»[3].

ورجح **في أضواء البيان** أن التين هو التين المأكول المعروف، والزيتون هو المعروف، ﴿وطور سينين﴾ هو جبل سينا الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[4]، ورجح ذلك **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ، وأشار إلى القول الآخر[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٥.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٦.

(٤) أضواء البيان، ٩/ ٣٢٥.

٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَشَكْلٍ مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ، سَوِيّ الْأَعْضَاءِ حَسَنَهَا(٢).

٥- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيْ: إِلَى النَّارِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا الْحُسْنِ وَالنَّضَارَةِ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ إِنْ لَمْ يُطِعِ اللَّهَ، وَيَتَّبِعِ الرُّسُلَ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٦- ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، أَيْ: إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، رُوِيَ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ، حَتَّى قَالَ عِكْرِمَةُ: مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَاخْتَارَ ذَلِكَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَلَوْ كَانَ هَذَا هُوَ الْمُرَادُ لَمَا حَسُنَ اسْتِثْنَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْهَرَمَ قَدْ يُصِيبُ بَعْضَهُمْ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مَا ذَكَرْنَاهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العَصْرِ: ١-٣].

٦- ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، أَيْ: غَيْرُ مَقْطُوعٍ.

٧- ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾، يَعْنِي: يَا ابْنَ آدَمَ ﴿بَعْدُ بِالدِّينِ﴾؟ أَيْ: بِالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، وَقَدْ عَلِمْتَ الْبَدْأَةَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدْأَةِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الرَّجْعَةِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، فَأَيُّ شَيْءٍ يَحْمِلُكَ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ، وَقَدْ عَرَفْتَ هَذَا؟»(٣).

وعَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ قَالَ: قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾، عَنَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! عَنَى بِهِ الْإِنْسَانَ، وَهَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ وَغَيْرُهُ(٤).

٨- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾، أَيْ: أَمَا هُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، الَّذِي لَا يَجُورُ، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا، وَمِنْ عَدْله أَنْ يُقِيمَ الْقِيَامَةَ، فَيُنْصِفَ الْمَظْلُومَ فِي الدُّنْيَا مِمَّنْ ظَلَمَهُ(٥).

=
(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم، لابن عثيمين، ص ٢٥٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٥.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٤٩، وهو في تفسير الطبري، ٢٤/ ٥١٤.
(٥) تفسير ابن كثير، ٤/ ٥٠٤.

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله : «﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ﴾، يُرِيدُ إِلَى الْهَرَمِ، وَأَرْذَلِ الْعُمُرِ، فَيَنْقُصُ عَقْلُهُ، وَيَضْعُفُ بَدَنُهُ، وَالسَّافِلُونَ هُمُ الضُّعَفَاءُ، وَالزَّمْنَى، وَالْأَطْفَالُ، فَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا، وَ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ نَكِرَةٌ تَعُمُّ الْجِنْسَ ... وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَمُجَاهِدٌ: يَعْنِي ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَى النَّارِ، يَعْنِي إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ؛ لِأَنَّ جَهَنَّمَ بَعْضُهَا أَسْفَلَ مِنْ بَعْضٍ»[١].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا، أو باطنًا شيئًا، ومع هذه النعم العظيمة، التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق، فردهم الله في أسفل سافلين، أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم، إلا مَنْ منَّ الله عليه بالإيمان، والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، ﴿فَلَهُمْ﴾ بذلك المنازل العالية، و﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، بل لذَّات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلَّها، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أي: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال، وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما به يحصل لك اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك أن لا تكفر بشيء مما أخبرك به، ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾، فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يُؤمرون ولا يُنهون، ولا يُثابون ولا يُعاقبون؟، أم الذي خلق الإنسان أطوارًا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم، والخير، والبر ما لا يحصونه، وربّاهم التربية الحسنة، لا بدّ أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم، وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمُّون»[٢].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿فَما يُكَذِّبُكَ﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ بَعْدُ، أَيْ: بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَّةِ، وَالْبُرْهَانِ، بِالدِّينِ، بِالْحِسَابِ، والجزاء»[٣].

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٧.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٥.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذا هو المقسم عليه، أقسم الله تعالى أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهذه الجملة التي فيها المقسم عليه مؤكدة بثلاثة مؤكدات: القسم، واللام، وقد، أقسم الله أنه خلق الإنسان ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أحسن هيئة، وخِلقة، و﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فطرة وقصداً؛ لأنه لا يوجد أحد من المخلوقات أحسن من بني آدم خلقة، فالمخلوقات الأرضية كلها دون بني آدم في الخلقة، لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾، هذه الردة التي ذكرها الله ﷻ تعني أن الله تعالى يرد الإنسان أسفل سافلين خِلقة كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]، فكلما ازدادت السن في الإنسان تغير إلى أردأ في القوة الجسدية، وفي الهيئة الجسدية، وفي نضارة الوجه، وغير ذلك يرد أسفل سافلين، وإذا قلنا إن أحسن تقويم تشمل حتى الفطرة التي جبل الله الخلق عليها، والعبادة التي تترتب، أو تنبني على هذه الفطرة، فإن هذا إشارة إلى أن من الناس من تعود به حاله، والعياذ بالله، إلى أن يكون أسفل سافلين بعد أن كان في الأعلى، والقمة من الإيمان والعلم، والآية تشمل المعنيين جميعاً ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ هذا استثناء من قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ يعني إلا المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ فإنهم لا يردون إلى أسفل السافلين؛ لأنهم متمسكون بإيمانهم، وأعمالهم، فيبقون عليها إلى أن يموتوا، وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي ثواب: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع، ولا ممنون به أيضاً، فكلمة «ممنون» صالحة لمعنى القطع، وصالحة لمعنى المنة، فهم لهم أجر لا ينقطع، ولا يمن عليهم به، يعني أنهم إذا استوفوا هذا الأجر، لا يمن عليهم فيقال: أعطيناكم، وفعلنا، وفعلنا، وإن كانت المنة لله ﷻ عليهم بالإيمان، والعمل الصالح، والثواب، كلها منّة من الله، لكن لا يمن عليهم به، أي: لا يؤذون بالمن كما يجري ذلك في أمور الدنيا، إذا أحسن إليك أحد من الناس فربما يؤذيك بمنه عليك، في كل مناسبة يقول: فعلت بك، أعطيتك

وما أشبه ذلك، ثم قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ انتقل الله تعالى من الكلام على وجه الغيبة إلى الكلام على وجه المقابلة والخطاب، قال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ أي: أي شيء يكذبك أيها الإنسان بعد هذا البيان «بالدين» أي: بما أمر الله به من الدين، ولهذا كلما نظر الإنسان إلى نفسه، وأصله، وخلقته، وأن الله اجتباه، وأحسن خلقته، وأحسن فطرته فإنه يزداد إيماناً بالله ﷻ، وتصديقاً بكتابه وبما أخبرت به رسله. ثم قال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾، وهذا الاستفهام للتقرير يقرر الله ﷻ أنه أحكم الحاكمين، وأحكم هنا اسم تفضيل، وهو مأخوذ من الحكمة، ومن الحكم، فالحكم الأكبر الأعظم الذي لا يعارضه شيء هو حكم الله ﷻ، والحكمة العليا البالغة هي حكمة الله ﷻ، فهو ﷻ أحكم الحاكمين قدراً وشرعاً، وله الحكم، وإليه يرجع الأمر كله، نسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم بكتابه، وسنة رسوله ﷺ، إنه على كل شيء قدير»[1].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٥٧- ٢٥٨.

٩٦- تَفْسِيرُ سُورَةِ اقْرَأْ

وَهِيَ أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾.

عن عَائِشَةَ قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبب إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ: التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِي ذوات الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّده لِمَثْلِهَا، حَتَّى فَجأه الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ فقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ**». قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فغطَّني حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فغطَّني الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرسَلني فقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾**» قَالَ: فَرَجَعَ بِهَا تَرجُف بَوادره حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**»، فزمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعِ، فَقَالَ: «**يَا خديجَةُ، مَا لِي؟**»، فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، وَقَالَ: «**قَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ**». فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا، أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتصدُق الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتُقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَة بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَد بْنِ عَبْدِ العُزى ابن قُصي، وهو ابن عم خديجة، أخي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، وَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُكْتَبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمٍّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابنَ أَخِي، مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذعا أكونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أومخرجيّ هُم؟**»، فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ

قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدركني يَوْمُكَ أنصُرْكَ نَصْرًا مُؤزرًا.

ثُمَّ لَمْ ينشَب وَرَقة أَنْ تُوُفِّي، وفتَر الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حزن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَردى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهق الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفى بِذُرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نفسه منه، تبدى له جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رسولُ اللَّهِ حَقًا، فَيَسْكُنُ بِذَلِكَ جَأْشُهُ، وتَقَرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذُرْوَةِ الْجَبَلِ[١] تَبدى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ[٢].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ الْمُبَارَكَاتُ، وهُنَّ أَوَّلُ رَحْمَةٍ رَحم اللَّهُ بِهَا الْعِبَادَ، وَأَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَفِيهَا التَّنْبِيهُ عَلَى ابْتِدَاءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ مِنْ عَلَقَةٍ، وَأَنَّ مِنْ كَرَمه تَعَالَى أَنْ عَلَّم الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، فَشَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ بِالْعِلْمِ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي امْتَازَ بِهِ أَبُو الْبَرِيَّةِ آدمُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَالْعِلْمُ تَارَةً يَكُونُ فِي الْأَذْهَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي اللِّسَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي الْكِتَابَةِ بِالْبَنَانِ، ذِهْنِيٌّ، وَلَفْظِيٌّ، وَرَسْمِيٌّ، وَالرَّسْمِيُّ يَسْتَلْزِمُهُمَا مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، فَلِهَذَا قَالَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، وَفِي الْأَثَرِ[٣]: قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ، وَفِيهِ أَيْضًا: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمْ»»[٤].

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى

---

(١) هذا الحديث يفهم منه أن النبي ﷺ فكر في الانتحار عندما تأخر عليه جبريل، وهذا فيه نظر، قال سماحة شيخنا الإمام ابن باز عند تعليقه على هذا الحديث أثناء شرحه لصحيح البخاري: «وهذا الذي قاله الزهري محل نظر، مرسل، مرسلات الزهري ضعيفة، فذهابه إلى رؤوس الجبال ليتردّى منها مرسل، والمقصود أنه فتر الوحي حتى اغتمَّ النبي لهذا ﷺ، ثم تتابع الوحي عليه بعد ذلك، ونزول آية المدثر التي كان بها رسولاً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» الفوائد المجنية، ٢/ ١٦٦٨.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٣٣٩٢، ٤٩٥٣، ٤٩٥٦، ٤٩٥٧، ٦٩٨٢، ومسلم، برقم ١٦٠. مسند أحمد، ٤٣/ ١١٢، برقم ٢٥٩٥٩، وهو في صحيح البخاري، برقم ٤٩٥٣، وصحيح مسلم، برقم ١٦٠، ومسند أحمد، برقم ٢٥٩٥٩.

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ـ للحكيم الترمذي مرفوعاً ١/ ٦٢، وجامع بيان العلم وفضله، ١/ ٣٠٦، وفي الفردوس بمأثور الخطاب، ٣/ ٢٠٤، موقوفاً على أنس، وفي سنن الدارمي، ١/ ٤٣٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ١/ ١٨٧ موقوفاً على عمر، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وموقوفًا على أنس في المعجم الكبير للطبراني، ١/ ٢٤٦، برقم ٧٠٠، وصححه الألباني موقوفاً على أنس في صحيح الجامع الصغير، برقم ٤٤٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٨.

(١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)﴾

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ ذُو فَرَحٍ وَأَشَرٍ وَبَطَرٍ وَطُغْيَانٍ، إِذَا رَأَى نَفْسَهُ قَدِ اسْتَغْنَى، وَكَثُرَ مَالُهُ، ثُمَّ تهدده وَتَوَعَّدَهُ وَوَعَظَهُ، فَقَالَ:

٧- ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ أَيْ: إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَالْمَرْجِعُ، وَسَيُحَاسِبُكَ عَلَى مَالِكَ: مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهُ؟ وَفِيمَ صَرَفْتَهُ؟

... قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَنهومان لَا يَشْبَعَانِ، صَاحِبُ العلم وصاحب الدنيا، ولا يستويان، فَأَمَّا صَاحِبُ الْعِلْمِ فَيَزْدَادُ رِضَا الرَّحْمَنِ، وَأَمَّا صَاحِبُ الدُّنْيَا فَيَتَمَادَى فِي الطُّغْيَانِ، قَالَ ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ[١]: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾، وَقَالَ لِلْآخَرِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]»[٢].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾ الإنسان هنا ليس شخصاً معيناً، بل المراد الجنس، كل إنسان من بني آدم إذا رأى نفسه استغنى؛ فإنه يطغى، من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، إذا رأى أنه استغنى عن رحمة اللَّه طغى، ولم يبالِ، إذا رأى أنه استغنى عن اللَّه عز وجل في كشف الكربات، وحصول المطلوبات صار لا يلتفت إلى اللَّه، ولا يبالي، إذا رأى أنه استغنى بالصحة نسي المرض، وإذا رأى أنه استغنى بالشبع نسي الجوع، إذا رأى أنه استغنى بالكسوة نسي العري، وهكذا فالإنسان من طبيعته الطغيان، والتمرد متى رأى نفسه في غنى، ولكن هذا يخرج منه المؤمن؛ لأن المؤمن لا يرى أنه استغنى عن اللَّه طرفة عين...»[٣].

٩- ١٠- ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٩، والأثر أخرجه في المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، ص ٣٠٠، من كلام ابن مسعود، وفي سنن الدارمي، ١/ ١٠٨، برقم ٣٣٢، وضعفه محقق الدارمي، ومعجم ابن الأعرابي، برقم ١٠٠٩، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ١٣٥، ولكن معناه صحيح، ويقويه ما بعده، واللَّه تعالى أعلم.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٠، والمدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، ص: ٣٠٠ ، والمعجم الكبير للطبراني، ١٠/ ١٨٠، برقم ١٠٣٨٨، ومسند البزار، ١١/ ١٤٨، برقم ٤٨٨٠، ومسند الشهاب للقضاعي، ١/ ٢١٢، برقم ٣٢٢، ومصنف ابن أبي شيبة، برقم ٢٦١١٨، وصححه الألباني موقوفاً في صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٦٢٤، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٤/ ٣٩٩.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٦٤.

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، تَوَعَّدَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ، فَوَعَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَوَّلًا فَقَالَ:

١١- ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾، أَيْ: فَمَا ظَنُّكَ إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فِعْلِهِ، أَوْ

١٢- ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾ بِقَوْلِهِ، وَأَنْتَ تَزْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى صِلَاتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

١٤- ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾، أَيْ: أَمَا عَلِمَ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمُهْتَدِي أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ، وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ.

١٥- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا وَمُتَهَدِّدًا: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ﴾، أَيْ: لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الشِّقَاقِ وَالْعِنَادِ ﴿لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ﴾، أَيْ: لَنسمَنَّها سَوَادًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾، لنأخذن بناصيته...، كَمَا قَالَ ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، يقال: سعفت بِالشَّيْءِ إِذَا أَخَذْتُهُ، وَجَذَبْتُهُ جَذْبًا شديدًا، والناصية: شَعْرُ مُقَدَّمِ الرَّأْسِ»[٢].

١٦- ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾، يَعْنِي: نَاصِيَةَ أَبِي جَهْلٍ كَاذِبَةً فِي مَقَالِهَا خَاطِئَةً فِي فعَالها.

١٧- ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾، أَيْ: قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ، أَيْ: لِيَدْعُهُمْ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ.

١٨- ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، وَهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ يغلبُ: أحزبُنا أَوْ حِزْبُهُ[٣].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقه. فَبلغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**لَئِنْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[٤].

وَفي لفظ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْمَقَامِ فَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ وَتوعَّده، فَأَغْلَظَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وانتهره، فقال: يا محمد، بِأَيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَكْثَرُ

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٠٠.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٨.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٠٠.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٤٩٥٨.

هَذَا الْوَادِي نَادِيًا! فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ مِنْ سَاعَتِهِ»[١].

وَفِي لفظ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَآتِيَنَّهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ. قَالَ: فَقَالَ: «**لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عِيَانًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا**»[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يعفِّر مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يُصَلِّي كَذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، ولأعفِّرن وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فجأهم مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكِصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدقا مِنْ نَارٍ وهَولاً وَأَجْنِحَةً، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**». قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ، لَا أَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَمْ لَا: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[٣].

١٩- ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾، يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ، لَا تُطِعْهُ فِيمَا يَنْهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكَثْرَتِهَا، وصلِّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُبَالِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ، وَهُوَ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عِنْدَ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[٤].

وكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْجُدُ فِي: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾، وَ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٥].



(١) سنن الترمذي، برقم ٣٣٤٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٤٧٠، برقم ٢٧٥.
(٢) مسند أحمد، ٤/ ٩٨، برقم ٢٢٢٥، وصححه محققو المسند.
(٣) مسند أحمد، ١٤/ ٤٢٥، برقم ٨٨٣١، وصحيح مسلم، برقم ٢٧٩٧، والسنن الكبرى للنسائي، برقم ١١٦١٩، تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٠ .
(٤) صحيح مسلم، برقم ٤٨٢ .
(٥) صحيح مسلم، برقم ٥٧٨.

٩٧- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)﴾.

١- يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدُّخَان: ٣]، وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ العِزَّة مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً على رسول اللَّه ﷺ[(١)].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «وسُمِّيَتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ لِأَنَّهَا لَيْلَةُ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ، يُقَدِّرُ اللَّهُ فِيهَا ما يكون فِي السَّنَةِ مِنَ الْآجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، والإحياء، والإماتة، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣]، أَيْ في ليلةِ القدْرِ يُفْصلُ مِنَ اللَّوحِ المحْفوظِ إلى الكَتَبةِ أمْرَ السنَّةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الآجالِ والأرزاقِ إِلَى آخِرِهَا، وَهَذَا مروِيٌّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُجَاهِدٍ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ»[(٢)].

وقيل سميت ليلة القدر؛ لعظم قدرها، وشرفها، ورفعتها، قال الإمام البغوي رحمه الله: «... قال الأزهري: وليلة الْعَظَمَةِ وَالشَّرَفِ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ: لِفُلَانٍ عِنْدَ الْأَمِيرِ قَدْرٌ، أَيْ: جاهٍ ومنزلة، يقال: قَدَرْتُ فُلَانًا، أَيْ: عَظَّمْتُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، أَيْ: مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وقيل: لأن العمل الصالح فيها يكون ذَا قَدْرٍ عِنْدَ اللَّهِ؛ لِكَوْنِهِ مَقْبُولًا»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٢، وفي الأسماء والصفات للبيهقي، ١/ ٥٧٢ بلفظ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ب قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ نُزِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةٍ»، ومثله الإيمان لابن منده، ٢/ ٧٠٤، برقم ٧٠٣، و المستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٢٤٢، برقم ٢٨٧٩، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير ابن كثير، عند قوله: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ من سورة الدخان، الآية ٤، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٩.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٥٠٩.

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصحيح أنه شامل للمعنيين: فليلة القدر لا شك أنها ذات قدر عظيم، وشرف كبير، وأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من الإحياء، والإماتة، والأرزاق، وغير ذلك»[١].

٢-٣- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُعَظِّمًا لِشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِيهَا، فَقَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۞ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

قال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ هذه الجملة بهذه الصيغة يستفاد منها التعظيم، والتفخيم، وهي مطردة في القرآن الكريم، قال اللَّه تعالى: ﴿وما أدراك ما يوم الدين ۞ ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ [الانفطار: ١٧-١٨]، وقال تعالى: ﴿الحاقة ۞ ما الحاقة ۞ وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ١-٣]، ﴿القارعة ۞ ما القارعة ۞ وما أدراك ما القارعة﴾ [القارعة: ١-٣].

فهذه الصيغة تعني التفخيم، والتعظيم، فهنا قال: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ أي: ما أعلمك ليلة القدر، وشأنها، وشرفها، وعظمها، ثم بين هذا بقوله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾، وهذه الجملة كالجواب للاستفهام الذي سبقها، وهو قوله: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ الجواب: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي: من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، والمراد بالخيرية هنا ثواب العمل فيها، وما ينزل اللَّه تعالى فيها من الخير والبركة على هذه الأمة، ولذلك كان من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

وروى ابن أبي حاتم عَنْ مُجَاهِدٍ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، لَيْسَ فِي تِلْكَ الشُّهُورِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَهَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ، وَالشَّافِعِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ[٣].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَهَذَا الْقَوْلُ بِأَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ، وَلَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، هُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ، وَهُوَ الصَّوَابُ، لَا مَا عَدَاهُ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ ﷺ: «**رِباطُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ**»، رَوَاهُ أَحْمَدُ[٤].

---

(١) تفسير القرآن الكريم، جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٧١.

(٢) تفسير القرآن الكريم، جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٧٤.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٢.

(٤) مسند أحمد، ١/ ٥٦١، برقم ٥٥٨، ولفظه: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ»، وحسن إسناده محققو المسند.

وَكَمَا جَاءَ فِي قَاصِدِ الْجُمُعَةِ بِهَيْئَةٍ حَسَنَةٍ، وَنِيَّةٍ صَالِحَةٍ: «**أَنَّهُ يُكْتَبُ لَهُ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**»[١]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْمُشَابِهَةِ لِذَلِكَ»[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِم خَيرَها فَقَدْ حُرِم**»[٣].

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَعْدِلُ عِبَادَتُهَا عِبَادَةَ أَلْفِ شَهْرٍ، ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٤].

٤- ﴿تنزلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، أَيْ: يَكْثُرُ تنزلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؛ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَيُحِيطُونَ بِحِلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقٍ تَعْظِيمًا لَهُ.

وَأَمَّا الرُّوحُ، فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا جِبْرِيلُ عليه السلام، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، وَقِيلَ: هُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ النَّبَأِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٥].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ**﴾، يَعْنِي جِبْرِيلَ عليه السلام مَعَهُمْ، ﴿**فِيهَا**﴾ أَيْ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ﴿**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾، أَيْ: بِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْخَيْرِ، وَالْبَرَكَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الرعد: ١١]، أَيْ: بِأَمْرِ اللَّهِ ﴿**سَلَامٌ**﴾، قَالَ عَطَاءٌ: يُرِيدُ سَلَامٌ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَأَهْلِ طاعته... وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**﴾ ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿**سَلَامٌ هِيَ**﴾ أَيْ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ وَخَيْرٌ

---

(١) مسند أحمد، ٢٦/ ٩٣، برقم ١٦١٧٣، وصحح إسناده محققو المسند، سنن أبي داود، برقم ٣٤٥، سنن ابن ماجه، برقم ١٠٨٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/ ١٧٦، برقم ٣٧٣.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٠٦.

(٣) مسند أحمد، ١٢/ ٥٩، برقم ٧١٤٨، وصحح إسناده محققو المسند، وسنن النسائي، برقم ٢١٠٦، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢٤١، برقم ٩٩٩.

(٤) صحيح البخاري، برقم ١٩٠١، وصحيح مسلم، برقم ٧٦٠ .

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٠٧.

كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ... حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، أَيْ: إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ»[١].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿بإذن ربهم﴾ أي: بأمره، والمراد به الإذن الكوني؛ لأن إذن الله – أي أمره – ينقسم إلى قسمين: إذن كوني، وإذن شرعي، فقوله تعالى: ﴿شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ [الشورى: ٢١] أي: ما لم يأذن به شرعاً؛ لأنه قد أذن به قدراً... ،إذاً هذه الآية ﴿بإذن ربهم﴾ أي: بأمره القدري وقوله: ﴿من كل أمر﴾، قيل: إن ﴿من﴾ بمعنى الباء، أي: بكل أمر مما يأمرهم الله به، وهو مبهم، لا نعلم ما هو، لكننا نقول إن تنزل الملائكة في الأرض عنوان على الخير، والرحمة، والبركة. ﴿سلام هي﴾ الجملة هنا مكونة من مبتدأ وخبر، والخبر فيها مقدم، والتقدير: «هي سلام» أي: هذه الليلة سلام، ووصفها الله تعالى بالسلام؛ لكثرة من يسلم فيها من الآثام وعقوباتها... »[٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: سَلَامٌ هِيَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾، قَالَ: هِيَ سَالِمَةٌ، لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا، أَوْ يَعْمَلَ فِيهَا أَذًى.

وَقَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: تُقْضَى فِيهَا الْأُمُورُ، وَتُقَدَّرُ الْآجَالُ وَالْأَرْزَاقُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

٥- ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: حَدَّثَنَا هُشَيْم، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، قَالَ: تُسلمُ الْمَلَائِكَةُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: «مِنْ كُلِّ امْرِئٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ »[٣].

وقال في أضواء البيان: «﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ قيل: سَلَامٌ هِيَ: أَيْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تُسَلِّمُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ لَقِيَتْهُ، وَقِيلَ: سَلَامٌ هِيَ: أَيْ: كُلُّ أَمْرٍ

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤١٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم، جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٧٥.

(٣) تفسير ابن كثير، ١/ ٤٠٧.

فِيهَا فَهُوَ سَلَامٌ، وَلَا يُصَابُ أَحَدٌ فِيهَا بِسُوءٍ، وَعَلَى كُلٍّ فَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ، فَالْأَوَّلُ جُزْءٌ مِنَ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الثَّانِيَ يَجْعَلُهَا ظَرْفًا لِكُلِّ خَيْرٍ، وَيَنْفِي عَنْهَا كُلَّ شَرٍّ، وَمِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ، سَلَامُ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»[1].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «**إنها ليلة سابعة، أو: تاسعة، وعشرين، وإن الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عدد الحصا**»[2].

وَقَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾، يَعْنِي: هِيَ خَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «**لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، وَتُصْبِحُ شَمْسُ صَبِيحَتِهَا ضَعِيفَةً حَمْرَاءَ**»[3].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَأُنْسِيتُهَا، وَهِيَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، مِنْ لَيَالِيهَا، وهي لَيْلَةٌ طَلْقَةٌ بِلُجَةٌ، لَا حَارَةَ وَلَا بَارِدَةٌ، كَأَنَّ فِيهَا قَمَرًا، لَا يَخْرُجُ شَيْطَانُهَا حَتَّى يُضِيءَ فَجْرُهَا**»[4].

ولَيْلَةُ الْقَدْرِ يَخْتَصُّ وُقُوعُهَا بِشَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الشُّهُورِ.

قِيلَ: ليلة القدر: لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ؛ لِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: اعْتَكَفَ رسولُ اللَّهِ ﷺ الْعَشْرِ الأَوَل مِنْ رَمَضَانَ، وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، فَاعْتَكَفَ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، وَاعْتَكَفْنَا مَعَهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ، ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ ﷺ خَطِيبًا صَبِيحَةَ عِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَرْجِعْ، فَإِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَإِنِّي أُنْسِيتُهَا، وَإِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ وَفِي وِتْرٍ، وَإِنِّي رَأَيْتُ كَأَنِّي أَسْجُدُ فِي طِينٍ وَمَاءٍ**»، وَكَانَ سَقْفُ الْمَسْجِدِ جَرِيدًا مِنَ النَّخْلِ، وَمَا نَرى فِي السَّمَاءِ شَيْئًا، فَجَاءَتْ قَزَعَة فَمُطرنا، فَصَلَّى بِنَا النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ وَالْمَاءِ عَلَى جَبْهَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ، وَفِي لَفْظٍ: «**فِي صُبْحِ إِحْدَى**

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٣٩٢.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي، ٤/ ٢٧٧، برقم ٢٦٦٨، وحسّن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٢٢٠.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي، ٤/ ٤٠١، برقم ٢٨٠٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: ٥٤٧٥.

(٤) صحيح ابن خزيمة، ٣/ ٣٣٠، برقم ٢١٩٠، وضعفه الأعظمي، واستدرك عليه الألباني فقال: «وهو حديث صحيح لشواهده التالية: ٢١٩٢، و٢١٩٣، وغيرهما مما خرجته في الضعيفة، ٤٤٠٤».

وَعِشْرِينَ»، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ[١].

وَقِيلَ: لَيْلَةُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ؛ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[٢]،

وَقِيلَ: لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ.

وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابِحِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِلَالٌ: مؤذنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «**أَنَّهَا أَوَّلُ السَّبْعِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ**»[٣]، وهو مَوْقُوفٌ صَحِيحٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٍ، وَالْحسنِ، وَقَتَادَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ: «**أَنَّهَا لَيْلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ**».

وَقِيلَ: تَكُونُ لَيْلَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ؛ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى**»[٤]، فَسَّره كَثِيرُونَ بِلَيَالِي الْأَوْتَارِ، وَهُوَ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ، وَحَمَلَهُ آخَرُونَ عَلَى الْأَشْفَاعِ، كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٥] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ؛ لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٦] فِي صَحِيحِهِ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «**أَنَّهَا لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ**».

وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَشُعْبَةَ، وَالْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ عَبْدَةَ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ أُبَيٍّ...، فَذَكَرَهُ، وَفِيهِ: فَقَالَ: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّهَا لَفِي رَمَضَانَ، يَحْلِفُ مَا يَسْتَثْنِي، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ لَيْلَةٍ الْقَدْرِ هِيَ الَّتِي أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِيَامِهَا، هِيَ لَيْلَةُ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، وَأَمَارَتُهَا أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ فِي صَبِيحَةِ يَوْمِهَا بَيْضَاءَ لَا شُعَاعَ لَهَا»[٧].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢٧، ومسلم، برقم ١١٦٧.
(٢) صحيح مسلم، برقم ١١٦٨.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٤٧٠.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢١.
(٥) صحيح مسلم، برقم ٢١٧- (١١٦٧).
(٦) صحيح مسلم، برقم ٢٢٠- (٢٦٧).
(٧) صحيح مسلم، برقم ٧٦٢.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فِي رَمَضَانَ، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَإِنَّهَا فِي وِتْرِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، أَوْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ، أَوْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ**»[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي لَيلة القدر: «**إنها ليلة سابعة أو تاسعة وَعِشْرِينَ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى**»[٢].

وَقِيلَ: إِنَّهَا تَكُونُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ؛ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ آنِفًا، وَلِمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ[٣]، مِنْ حَدِيثِ عُيينة بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**فِي تِسْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ خَمْسٍ يَبْقَيْنَ، أَوْ ثَلَاثٍ، أَوْ آخِرِ لَيْلَةٍ**»، يَعْنِي: الْتَمِسُوا لَيْلَةَ القدر،

وَفِي الْمُسْنَدِ[٤] مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: «**إِنَّهَا آخِرُ لَيْلَةٍ**».

وَرُوِيَ عَنْ أَبِي قِلابَة أَنَّهُ قَالَ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ تَنْتَقِلُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَهَذَا الَّذِي حَكَاهُ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ نَصَّ عَلَيْهِ مَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَأَبُو ثَوْرٍ، وَالْمُزَنِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيمة، وَغَيْرُهُمْ، وَهُوَ مَحْكِيٌّ عَنِ الشَّافِعِيِّ؛ نَقَلَهُ الْقَاضِي عَنْهُ، وَهُوَ الْأَشْبَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ يُسْتَأْنَسُ لِهَذَا الْقَوْلِ بِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ[٥]، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمر: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْمَنَامِ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتحريها فَلْيَتَحرها فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ**»، وَفِيهِمَا[٦] أَيْضًا عَنْ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»، وَلَفْظُهُ لِلْبُخَارِيِّ.

---

(١) مسند أحمد، ٣٧/ ٣٨٦، برقم ٢٢٧١٣، وحسنه محققو المسند دون جملة: «أو في آخر ليلة».

(٢) مسند أحمد، ١٦/ ٤٢٧، برقم ١٠٧٣٤، وذكر محققو المسند أن إسناده محتمل للتحسين، وهو في مسند أبي داود الطيالسي، ٤/ ٢٧٧، برقم ٢٦٦٨، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٤٧٣.

(٣) سنن الترمذي، برقم ٧٩٤، وسنن النسائي الكبرى برقم ٣٤٠٤، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٤) مسند أحمد، ٣٤/ ٤٤، برقم ٢٠٤٠٤، وصححه محققو المسند.

(٥) صحيح البخاري، برقم ٢٠١٥، وصحيح مسلم، برقم ١١٦٥.

(٦) صحيح البخاري، برقم ٢٠١٧، وصحيح مسلم، برقم ١١٦٩.

وَقَوْلُهُ: «فَرُفِعَتْ»، أَيْ: رُفِعَ عِلْمُ تَعينها لَكُمْ، لَا أَنَّهَا رُفِعَتْ بِالْكُلِّيَّةِ مِنَ الْوُجُودِ، كَمَا يقوله جَهَلَةُ الشِّيعَةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ بَعْدَ هَذَا: «**فَالْتَمِسُوهَا فِي: التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ**».

وَقَوْلُهُ: «**وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ**»، يَعْنِي: عَدَمُ تَعْيِينِهَا لَكُمْ، فَإِنَّهَا إِذَا كَانَتْ مُبْهَمَةً اجْتَهَدَ طُلابها فِي ابْتِغَائِهَا فِي جَمِيعِ مَحَالِّ رَجَائِهَا، فَكَانَ أَكْثَرَ لِلْعِبَادَةِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا عَلِمُوا عَيْنَهَا، فَإِنَّهَا كَانَتِ الْهِمَمُ تَتَقَاصَرُ عَلَى قِيَامِهَا فَقَطْ، وَإِنَّمَا اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ إِبْهَامَهَا لِتَعُمَّ الْعِبَادَةُ جَمِيعَ الشَّهْرِ فِي ابْتِغَائِهَا، وَيَكُونُ الِاجْتِهَادُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ أَكْثَرَ؛ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ ﷻ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أزواجهُ مِنْ بَعْدِهِ، أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ[١].

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ[٢]: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ**»، وَقَالَتْ عَائِشَةُ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**»، أَخْرَجَاهُ[٣].

وَلِمُسْلِمٍ عَنْهَا[٤] «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ**».

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهَا: «**وَشَدَّ الْمِئْزَرَ**»، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ: اعْتِزَالُ النِّسَاءِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كِنَايَةً عَنِ الْأَمْرَيْنِ، لِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَقِيَ عَشْرٌ مِنْ رَمَضَانَ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَاعْتَزَلَ نِسَاءَهُ**»[٥].

وَالْمُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنَ الدُّعَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ أَكْثَرُ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَخِيرِ مِنْهُ، ثُمَّ فِي أَوْتَارِهِ أَكْثَرُ.

وَالْمُسْتَحَبُّ أَنَّ يُكْثِرَ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ، إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي**»؛ فعن عَائِشَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ وَافَقْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ فَمَا أَدْعُو؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تحب العفو، فاعف عني**»[٦].



(١) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢٦، وصحيح مسلم، برقم ١١٧٢.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢٥، وصحيح مسلم، برقم ١١٧١.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٢٠٢٤، وصحيح مسلم، برقم ١١٧٤.
(٤) صحيح مسلم، برقم ١١٧٥.
(٥) مسند أحمد، ٤٠/ ٤٣٨، برقم ٢٤٣٧٧، وصححه محققو المسند.
(٦) مسند أحمد، ٤٢/ ٣١٥، برقم ٢٥٤٩٥، وصححه محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٣٥١٣، والسنن الكبرى للنسائي، برقم ٧٦٦٥، وسنن ابن ماجه، برقم ٣٨٥٠، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٣٢٥، برقم ٣٣٩١.

٩٨- تَفْسِيرُ سُورَةِ لَمْ يَكُنْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عن مَالِكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ -قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، قَالَ جِبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَهَا أُبَيًا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيٍّ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَمَرَنِي أَنْ أُقْرِئَكَ هَذِهِ السُّورَةَ»، قَالَ أُبَيٌّ: وَقَدْ ذُكِرْتُ ثَمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَبَكَى أُبَيٌّ»[(١)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَبَكَى»[(٢)].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، بِهِ[(٣)].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ»، قَالَ: فَقَرَأَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، قَالَ: فَقَرَأَ فِيهَا: «وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ سَأَلَ وَادِيًا مِنْ مَالٍ، فَأُعْطِيَهُ، لَسَأَلَ ثَانِيًا، وَلَوْ سَأَلَ ثَانِيًا فَأُعْطِيَهُ، لَسَأَلَ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ، وَإِنَّ ذَلِكَ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ، غَيْرُ الْمُشْرِكَةِ، وَلَا الْيَهُودِيَّةِ، وَلَا النَّصْرَانِيَّةِ، وَمَنْ يَفْعَلْ خَيْرًا فَلَنْ يكفره»[(٤)].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره[(٥)]: «وَإِنَّمَا قَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ هَذِهِ السُّورَةَ تَثْبِيتًا لَهُ، وَزِيَادَةً لِإِيمَانِهِ، فَإِنَّهُ -كَمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ[(٦)]، مِنْ طَرِيقِ أَنَسٍ عَنْهُ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ عَنْهُ[(٧)]، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ عَنْ

---

(١) مسند أحمد، ٢٥/ ٣٨٢، برقم ١٦٠٠١، وصححه لغيره محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ١٩/ ٣٢٨، برقم ١٢٣٢٠، وصحح إسناده محققو المسند.

(٣) صحيح البخاري، ٣٨٠٩، ٤٩٥٩، وصحيح مسلم، برقم ٧٩٩، وسنن الترمذي، برقم ٣٧٩٢، وسنن النسائي الكبرى، برقم ١١٨٠٣.

(٤) مسند أحمد، ٣٥/ ١٢٩، برقم ٢١٢٠٢، وحسّن إسناده محققو المسند، ورواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي، وقال حسن صحيح، وسنن الترمذي، برقم ٣٧٩٣، وهو في مسند أبي داود الطيالسي، ١/ ٤٣٥، برقم ٥٤١، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٣٥٥، برقم ٢٩٠٨.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢١.

(٦) مسند أحمد، ١٩/ ٣٩٥، برقم ١٢٤٠٣، وصحح إسناده محققو المسند، وسنن النسائي الكبرى، برقم ٧٩٩٩.

(٧) مسند أحمد، (١٢٤/٥) وسنن أبي داود برقم، ١٤٧٧.

عفَّانَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْهُ[1]، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْهُ[2]، كَانَ قَدْ أَنْكَرَ عَلَى إِنْسَانٍ، وَهُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قِرَاءَةَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى خِلَافِ مَا أَقْرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَقْرَأَهُمَا، وَقَالَ، لِكُلٍّ مِنْهُمَا: «**أَصَبْتَ**»، قَالَ أُبَيٌّ: فَأَخَذَنِي مِنَ الشَّكِّ، وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِهِ، قَالَ أُبَيٌّ: فَفِضْتُ عَرَقًا، وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ فَرَقًا، وَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَاهُ فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، فَقَالَ: عَلَى حَرْفَيْنِ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**»، كَمَا قَدَّمْنَا ذِكْرَ هَذَا الْحَدِيثِ بِطُرُقِهِ وَأَلْفَاظِهِ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ وَفِيهَا: ﴿**رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ**﴾ قَرَأَهَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِرَاءَةَ إِبْلَاغٍ، وَتَثْبِيتٍ، وَإِنْذَارٍ، لَا قِرَاءَةَ تَعَلُّمٍ وَاسْتِذْكَارٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَهَذَا كَمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لَمَّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَنْ تِلْكَ الْأَسْئِلَةِ، وَكَانَ فِيمَا قَالَ: أَوَلَمْ تَكُنْ تُخْبِرُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «**بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ عَامَكَ هَذَا؟**»، قَالَ: لَا قَالَ: «**فَإِنَّكَ آتِيهِ، وَمُطَوِّفٌ بِهِ**»، فَلَمَّا رَجَعُوا مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سُورَةَ الْفَتْحِ، دَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ، وَفِيهَا قَوْلُهُ: ﴿**لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ الْآيَةَ [الفتح: ٢٧]، كَمَا تَقَدَّمَ»[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ**

---

(١) مسند أحمد، ٣٥/ ٨٥، برقم ٢١١٥٠، وصحح إسناده محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ١٠٢، ٢١١٧١، ومسلم، برقم ٨٢٠، وسنن أبي داود، برقم ١٤٧٨، وسنن النسائي، برقم ٩٣٦.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٢، وانظر: صحيح البخاري، برقم ٢٧٣١.

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾.

١- أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَهُمْ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَالْمُشْرِكُونَ: عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ، مِنَ الْعَرَبِ وَمِنَ الْعَجَمِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَمْ يَكُونُوا ﴿مُنْفَكِّينَ﴾، يَعْنِي: مُنْتَهِينَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ[1].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، وهم اليهود، والنصارى، وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ، ﴿مُنْفَكِّينَ﴾ ... زَائِلِينَ مُنْفَصِلِينَ، يُقَالُ: فَكَكْتُ الشَّيْءَ فَانْفَكَّ، أَيِ: انْفَصَلَ، ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، لَفْظُهُ مُسْتَقْبَلٌ، وَمَعْنَاهُ الْمَاضِي، أَيْ: حَتَّى أَتَتْهُمُ الحجة الواضحة، يعني: مُحَمَّداً ﷺ أتاهم بالقرآن، فبيّن لهم ضلالاتهم، وجهالتهم، ودعاهم إلى الإسلام، والإيمان، فَهَذِهِ الْآيَةُ فِيمَنْ آمَنَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، أَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْتَهُوا عَنِ الْكُفْرِ حَتَّى أَتَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، فَآمَنُوا فَأَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ، ثُمَّ فَسَّرَ الْبَيِّنَةَ فَقَالَ: رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو»[2].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿مُنْفَكِّينَ﴾ عن كفرهم، وضلالهم الذي هم عليه، أي: لا يزالون في غيهم، وضلالهم، لا يزيدهم مرور السنين إلا كفرًا»[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ يعني: ما كان الكفار من ﴿أهل الكتاب﴾، وهم اليهود والنصارى، سموا بذلك؛ لأن صحفهم بقيت إلى أن بعث النبي ﷺ مع ما فيها من التحريف والتبديل، والتغيير، ولكن هم أهل الكتاب، فاليهود لهم التوراة، والنصارى لهم الإنجيل، ﴿والمشركين﴾ المشركون هم عبدة الأوثان من كل جنس من بني إسرائيل، ومن غيرهم، لم يكن هؤلاء ﴿منفكين﴾ أي: تاركين لما

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٣.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٠٩٩.

هم عليه من الشرك، والكفر، ومنفكين عنه ﴿حتى تأتيهم البينة﴾»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَفِي مَعْنَى قَوْله تعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مُنْفَكِّين ثَلاثَةُ أَقْوَالٍ، ذَكَرَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ:

هَلْ الْمُرَادُ: لَمْ يَكُونُوا مُنْفَكِّينَ عَنْ الْكُفْرِ؟

أَوْ هَلْ: لَمْ يَكُونُوا مُكَذِّبِينَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى بُعِثَ، فَلَمْ يَكُونُوا مُنْفَكِّينَ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَالتَّصْدِيقِ بِنُبُوَّتِهِ حَتَّى بُعِثَ.

أَوْ الْمُرَادُ: أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَتْرُوكِينَ حَتَّى يُرْسَلَ إلَيْهِمْ رَسُولٌ؟»

ثم ناقش تلك الأقوال، وردّها كلها، ثم قال:

«فقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾ أَيْ: لَمْ يَكُونُوا مَتْرُوكِينَ بِاخْتِيَارِ أَنْفُسِهِمْ يَفْعَلُونَ مَا يَهْوَوْنَهُ، لَا حَجْرَ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَنَّ الْمُنْفَكَّ لَا حَجْرَ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَمْ يَقُلْ: «مَفْكُوكِينَ» بَلْ قَالَ: مُنْفَكِّينَ، وَهَذَا أَحْسَنُ»، إلى أن قال: «وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَتْرُوكِينَ، لَا يُؤْمَرُونَ، وَلَا يُنْهَوْنَ، وَلَا تُرْسَلُ إلَيْهِمْ رُسُلٌ، بَلْ يَفْعَلُونَ مَا شَاؤُوا مِمَّا تَهْوَاهُ الْأَنْفُسُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ مَا يُخَلِّيهِمْ وَلَا يَتْرُكُهُمْ، فَهُوَ لَا يُفُكُّهُمْ حَتَّى يَبْعَثَ إلَيْهِمْ رَسُولًا، وَهَذَا كَقَوْلِهِ ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] لَا يُؤْمَرُ وَلَا يُنْهَى، أَيْ: أَيَظُنُّ أَنَّ هَذَا يَكُونُ؟ هَذَا مَا لَا يَكُونُ الْبَتَّةَ؛ بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يُؤْمَرَ وَيُنْهَى...»[٢].

قال في أضواء البيان: «تبيّن من ذلك أن الأصح في ﴿منفكين﴾ معنى متروكين...» [٣].

﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، أَيْ: هَذَا الْقُرْآنُ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، ثُمَّ فَسَّرَ الْبَيِّنَةَ بِقَوْلِهِ:

٢- ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾، يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ، وَمَا يَتْلُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُوَ مُكْتَتَبٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى، فِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦].

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص٢٨٠.
(٢) مجموع الفتاوى، ١٦/ ٤٩٥.
(٣) أضواء البيان، ٤/ ٤٠٤.

٣- ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَيْ فِي الصُّحُفِ الْمُطَهَّرَةِ كُتُبٌ مِنَ اللَّهِ قَيِّمَةٌ: عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ، لَيْسَ فِيهَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ.

قَالَ قَتَادَةُ: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾، يَذْكُرُ الْقُرْآنَ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الثَّنَاءِ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مُسْتَقِيمَةٌ مُعْتَدِلَةٌ(١).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾... ثُمَّ فَسَّرَ الْبَيِّنَةَ فَقَالَ: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو﴾، يَقْرَأُ ﴿صُحُفًا﴾ كُتُبًا، يُرِيدُ مَا يَتَضَمَّنُهُ الصُّحُفُ مِنَ الْمَكْتُوبِ فِيهَا، وَهُوَ الْقُرْآنُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَتْلُو عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، لَا عَنِ كتاب، قَوْلُهُ: ﴿مُطَهَّرَةً﴾، مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْكَذِبِ، وَالزُّورِ ﴿فِيهَا﴾ أَيْ: فِي الصُّحُفِ ﴿كُتُبٌ﴾ يَعْنِي الْآيَاتِ، وَالْأَحْكَامِ الْمَكْتُوبَةِ فِيهَا ﴿قَيِّمَةٌ﴾ عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ غَيْرُ ذات عوج»(٢).

٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾، كقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، يَعْنِي بِذَلِكَ: أَهْلَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَنَا، بَعْدَ مَا أَقَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْحُجَجَ وَالْبَيِّنَاتِ، تَفَرَّقُوا، وَاخْتَلَفُوا فِي الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَاخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا كَثِيرًا، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ: «**إِنَّ الْيَهُودَ اخْتَلَفُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَأَنَّ النَّصَارَى اخْتَلَفُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»(٣)(٤).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أَيِ: الْبَيَانُ فِي كُتُبِهِمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: لَمْ يَزَلْ أَهْلُ الْكِتَابِ

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٤.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٤١٣.

(٣) مسند أحمد، ١٩/ ٢٤١، برقم ١٢٢٠٨، و٢٨/ ١٣٤، ورقم ١٦٩٣٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ١/ ٢١٨، وسنن أبي داود، برقم ٤٥٩٦، وسنن ابن ماجه، برقم ٣٩٩٣، والضياء المقدسي وصححه في الأحاديث المختارة، ٧/ ٨٩، والمعجم الأوسط، ٨/ ٢٢، برقم ٧٨٤٠، والمعجم الكبير للطبراني، ١٧/ ١٣، برقم ٣، وحلية الأولياء لأبي نعيم، ٣/ ٥٣، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٠٤، وتصحيح الألباني للروايات.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٤.

مُجْتَمِعِينَ فِي تَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ، فَلَمَّا بُعِثَ تَفَرَّقُوا فِي أَمْرِهِ، وَاخْتَلَفُوا، فَآمَنَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَكَفَرَ آخَرُونَ»[1].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ يعني: لما جاءتهم البينة اختلفوا: منهم من آمن، ومنهم من كفر، فمن النصارى من آمن، مثل: النجاشي ملك الحبشة، ومن اليهود من آمن أيضاً مثل: عبد الله بن سلام، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، فمن علم الله منه أنه يريد الخير، ويريد الدين لله آمن، ووفق للإيمان، ومن لم يكن كذلك وفق للكفر، كذلك أيضاً من المشركين من آمن، وما أكثر المشركين من قريش الذين آمنوا، فصار الناس قبل بعثة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم يزالوا على ما هم عليه من الكفر حتى جاءتهم البينة، ثم لما جاءتهم البينة تفرقوا، واختلفوا كما قال تعالى: **﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾** [آل عمران: ١٠٥]»[2].

٥- **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾**، كَقَوْلِهِ: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾** [الأنبياء: ٢٥]؛ وَلِهَذَا قَالَ: **﴿حُنَفَاءُ﴾**، أَيْ: مُتَحنفين عَنِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ، كَقَوْلِهِ: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾** [النحل: ٣٦].

﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾، وَهِيَ أَشْرَفُ عِبَادَاتِ الْبَدَنِ، **﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾** وَهِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْفُقَرَاءِ، وَالْمَحَاوِيجِ، **﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**، أَيْ: الْمِلَّةُ الْقَائِمَةُ الْعَادِلَةُ، أَوِ: الْأُمَّةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الْمُعْتَدِلَةُ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ، كَالزُّهْرِيِّ، وَالشَّافِعِيِّ، بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ دَاخِلَةٌ فِي الْإِيمَانِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾**.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٤١٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٨٢.

الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾.

٦- يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ مَآلِ الْفُجَّارِ، مِنْ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمُشْرِكِينَ الْمُخَالِفِينَ لِكُتُبِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ وَأَنْبِيَاءِ اللهِ الْمُرْسَلَةِ: أَنَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، أَيْ: مَاكِثِينَ، لَا يُحَوَّلُونَ عَنْهَا وَلَا يَزُولُونَ ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾، أَيْ: شَرُّ الْخَلِيقَةِ الَّتِي بَرَأَهَا اللهُ وَذَرَأَهَا.

٧- ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْأَبْرَارِ -الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِأَبْدَانِهِمْ- بِأَنَّهُمْ خير الْبَرِيَّةِ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، عَلَى تَفْضِيلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَرِيَّةِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

٨- ثُمَّ قَالَ: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، أَيْ: بِلَا انْفِصَالٍ وَلَا انْقِضَاءٍ وَلَا فَرَاغٍ.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، وَمَقَامُ رِضَاهُ عَنْهُمْ أَعْلَى مِمَّا أُوتُوهُ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أَيْ: هَذَا الْجَزَاءُ حَاصِلٌ لِمَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَعَبَدَهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «رَجُلٌ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كُلَّمَا كَانَتْ هَيْعَةٌ اسْتَوَى عَلَيْهِ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ؟»" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «رَجُلٌ فِي ثُلَّةٍ مِنْ غَنَمِهِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ الْبَرِيَّةِ؟». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «الَّذِي يَسأل بِاللَّهِ، وَلَا يُعطي بِهِ»[(٢)].



---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٥.

(٢) مسند أحمد، ١٥/ ٧٢، برقم ٩١٤٢ ، وصححه لغيره محققو المسند.

٩٩- تفسير سورة إذا زلزلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾

١- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، أَيْ: تَحَرَّكَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا[(١)].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾، حُرِّكَتِ الْأَرْضُ حَرَكَةً شَدِيدَةً لِقِيَامِ السَّاعَةِ، ﴿زِلْزَالَهَا﴾، تَحْرِيكَهَا»[(٢)].

٢- ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، يَعْنِي: أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى، قَالَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، وَكَقَوْلِهِ ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣-٤]، وَعَنْ أَبِي هُرَيرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعت يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونه فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»[(٣)].

وقال **الإمام البغوي** رحمه الله: «﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: مَوْتَاهَا، وَكُنُوزَهَا، فَتُلْقِيهَا عَلَى ظَهْرِهَا...»[(٤)].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ المراد بهم: أصحاب القبور؛ فإنه إذا نفخ ﴿فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٦.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٥.

(٣) صحيح مسلم، برقم ١٠١٣.

(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٥.

يخرجون من قبورهم لرب العالمين ﷿...»[١].

٣- ﴿وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾، أَيْ: اسْتَنْكَرَ أَمْرَهَا بَعْدَ مَا كَانَتْ قَارَّةً سَاكِنَةً ثَابِتَةً، وَهُوَ مُسْتَقِرٌّ عَلَى ظَهْرِهَا، أَيْ: تَقَلَّبَتِ الْحَالُ، فَصَارَتْ مُتَحَرِّكَةً مُضْطَرِبَةً، قَدْ جَاءَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا قَدْ أُعِدَّ لَهَا مِنَ الزِّلْزَالِ الَّذِي لَا مَحِيدَ لَهَا عَنْهُ، ثُمَّ أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَحِينَئِذٍ اسْتَنْكَرَ النَّاسُ أَمْرَهَا، وَتَبَدَّلَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ، وَبَرَزُوا لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ[٢].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَقَالَ الإِنْسَانُ﴾ إذا رأى ما عراها من الأمر العظيم مستعظمًا لذلك: ﴿مَا لَهَا﴾؟ أي: أي شيء عرض لها؟»[٣].

٤- ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أَيْ: تُحَدِّثُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ عَلَى ظَهْرِهَا[٤].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرض ﴿أَخْبَارَهَا﴾ أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم، ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾»[٥].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «﴿يومئذ﴾ أي: في ذلك اليوم إذا زلزلت ﴿تحدث أخبارها﴾ أي: تخبر عما فعل الناس عليها من خير أو شر»[٦].

وقد ثبت عن النبي ﷺ **«أن المؤذن إذا أذن؛ فإنه لا يسمع صوته شجر، ولا مدر، ولا حجر، ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»**[٧].

٥- وَقَوْلُهُ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ قَالَ الْبُخَارِيُّ[٨]: أَوْحَى لَهَا، وَأَوْحَى إِلَيْهَا، وَوَحَى لَهَا، وَوَحَى إِلَيْهَا: وَاحِدٌ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٨٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٠.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٨.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٠.
(٦) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٨٩.
(٧) صحيح البخاري، برقم ٦٠٩.
(٨) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٩٦٢.

أَيْ: أَوْحَى إِلَيْهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا مُضَمَّن أَذِنَ لَهَا.

وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قَالَ: قَالَ لَهَا رَبُّهَا: قُولِي، فَقَالَتْ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿أَوْحَى لَهَا﴾ أَيْ: أَمَرَهَا، وَقَالَ القُرَظِي: أَمَرَهَا أَنْ تَنْشَقَّ عَنْهُمْ[١].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أي: وأمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصي لأمره»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: « ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أي: بسبب أن الله أوحى لها، يعني: أذن لها في أن تحدث أخبارها، وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير إذا أمر شيئاً بأمر؛ فإنه لابد أن يقع، يخاطب الله الجماد، فيتكلم الجماد...»[٣].

٦- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، أَيْ: يَرْجِعُونَ عَنْ مَوقِفِ الْحِسَابِ، ﴿أَشْتَاتًا﴾، أَيْ: أَنْوَاعًا وَأَصْنَافًا، مَا بَيْنَ شَقِيّ وَسَعِيدٍ، مَأْمُورٍ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَأْمُورٍ بِهِ إِلَى النَّارِ.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يَتَصَدَّعُونَ أَشْتَاتًا، فَلَا يَجْتَمِعُونَ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ السُّدِّي: ﴿أَشْتَاتًا﴾ فِرَقًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ أَيْ: لِيَعْمَلُوا وَيُجَازُوا بِمَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. وَلِهَذَا قَالَ:

٧-٨- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

وعَنْ أَبِي هُرَيرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ؛ فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ طِيلها فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ فِي الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ، كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا، فاستنَّت شَرَفا أو شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا، وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِي بِهِ، كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٢٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٠.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٨٩.

تَغنيا وَتعفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا، وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا، وَرِئَاءً، وَنِوَاءً، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ»[١].

فسُئِل رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الحُمُر، فَقَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾»[٢].

وَعَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ -عَمِّ الْفَرَزْدَقِ-: أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قَالَ: حَسْبِي! لَا أُبَالِي أَلَّا أَسْمَعَ غَيْرَهَا»[٣].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[٤]، عَنْ عَدي مَرْفُوعًا: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»، وَفِي الصَّحِيحِ[٥]: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ»، وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا[٦]: «يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسَنَ شَاةٍ»، يَعْنِي: ظِلْفَهَا، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «رُدُّوا السَّائِلَ وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحرق»[٧].

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ»[٨].

ورُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا تَصَدَّقَتْ بِعِنَبَةٍ، وَقَالَتْ: كَمْ فِيهَا مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ[٩].

وَعن عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الطُّفَيْلِ: أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقِّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِبًا»[١٠].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٢.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٢، ومسلم، برقم ٩٨٧.
(٣) مسند أحمد، ٣٤/ ٢٠٠، برقم ٢٠٥٩٣، وصحح إسناده محققو المسند.
(٤) صحيح البخاري، برقم ٦٥٤٠.
(٥) مسند أحمد، ٣٤/ ٢٣٦، برقم ٢٠٦٣٣، وصححه محققو المسند، بنحوه في مسلم، برقم ٢٦٢٦، ولفظه: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ».
(٦) صحيح البخاري، برقم ٢٥٦٦، ومسلم، برقم ١٠٣٠.
(٧) مسند أحمد، ٤٥/ ٤٤١، برقم ٢٧٤٥١، وحسن إسناده محققو المسند، وسنن البيهقي الكبرى، ٤/ ١٧٧، والمعجم الأوسط للطبراني، ١/ ٢١٩، برقم ٧١٦، والمعجم الكبير، ٢٤/ ٢١٩، برقم ٥٥٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، برقم ٣٥٠٢.
(٨) مسند أحمد، ٤١/ ٤٩، برقم ٢٤٥٠١، وضعفه محققو المسند، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٥١٩، برقم ٨٦٥.
(٩) موطأ مالك رواه بلاغاً، ٢/ ٩٩٧، برقم ٦.
(١٠) مسند أحمد، ٤٠/ ٤٧٧، برقم ٢٤٤١٥، وقوّى إسناده محققو المسند.

وَرَوَاهُ النَّسَائِيّ وَابْنَ مَاجَهْ، مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ بَانَك بِهِ[١].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ**»، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيع الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، وأَجَّجوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا[٢].

وهذه الآثار والأحاديث السابقة ذكرها الإمام ابن كثير في تفسيره أيضاً[٣].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾، وَزْنَ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ أَصْغَرَ مَا يَكُونُ مِنَ النَّمْلِ»[٤].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾، وهذا شامل عام للخير والشر كله؛ لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي أحقر الأشياء، وجوزي عليها، فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**﴾ [الكهف: ٤٩]، وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير، ولو قليلاً والترهيب من فعل الشر، ولو حقيرًا»[٥].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**مثقال ذرة**﴾ يعني: وزن ذرة، والمراد بالذرة: صغار النمل، كما هو معروف، وليس المراد بالذرة: الذرة المتعارف عليها اليوم، كما ادعاه بعضهم، لأن هذه الذرة المتعارف عليها اليوم ليست معروفة في ذلك الوقت، والله عَزَّ وَجَلَّ لا يخاطب الناس إلا بما يفهمون...»[٦].



---

(١) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١١٨١١، وسنن ابن ماجه، برقم ٤٢٤٣، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٦٤٤، برقم ٢٤٧٢.
(٢) مسند أحمد، ٦/ ٣٦٧، برقم ٣٨١٨، وحسنه لغيره محققو المسند.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٣.
(٤) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٦.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٠.
(٦) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩١.

١٠٠- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)﴾

١- يُقْسِمُ تَعَالَى بِالْخَيْلِ إِذَا أُجْرِيَتْ فِي سَبِيلِهِ، فَعَدت وضَبَحت، وَهُوَ: الصَّوْتُ الَّذِي يُسْمَعُ مِنَ الْفَرَسِ حِينَ تَعْدُو[١].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالْكَلْبِيُّ، وقتادة، ومقاتل، وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَغَيْرُهُمْ: هِيَ الْخَيْلُ العادية في سبيل اللَّه تَضْبَحُ، وَالضَّبْحُ صَوْتُ أَجْوَافِهَا إِذَا عَدَتْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَيْسَ شيء من الحيوانات يضبح غَيْرُ الْفَرَسِ، وَالْكَلْبِ، وَالثَّعْلَبِ، وَإِنَّمَا تَضْبَحُ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ إِذَا تَغَيَّرَ حَالُهَا مِنْ تَعَبٍ، أَوْ فَزَعٍ، وهو من قول العرب: ضَبَحَتْهُ النَّارُ إِذَا غَيَّرَتْ لَوْنَهُ...»[٢].

وقال علي، وعبد اللَّه بن مسعود، ومحمد بن كعب، والسدي: هي الإبل في الحج تعدو من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى[٣].

وقال في أضواء البيان: «الْعَادِيَاتُ: جَمْعُ عَادِيَةٍ، وَالْعَادِيَاتُ: الْمُسْرِعَاتُ فِي مَسِيرِهَا، فَمَعْنَى الْعَادِيَاتِ: أَقْسَمَ بِالْمُسْرِعَاتِ فِي سَيْرِهَا، ثُمَّ قَالَ: وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْخَيْلُ، تَعْدُو فِي الْغَزْوِ، وَالْقَصْدُ تَعْظِيمُ شَأْنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْمُرَادُ بِالْعَادِيَاتِ: الْإِبِلُ، تَعْدُو بِالْحَجِيجِ مِنْ عَرَفَاتٍ إِلَى مُزْدَلِفَةَ وَمِنًى...»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٤.

(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٧.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٧، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٤.

(٤) أضواء البيان، ٩/ ٤٣٩.

ولم يذكر **العلامة السعدي** إلا القول الأول، وهو أن العاديات هي الخيل[١]، والقول بأن العاديات هي الخيل قول العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ وبين بأنه قول جمهور المفسرين، وقال: «وهو الصحيح»[٢].

وقال **الإمام ابن جرير**: «والصواب الأول: أنها الخيل حين تقدح بحوافرها»[٣].

٢- ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾، يَعْنِي: اصْطِكَاكَ نِعَالِهَا لِلصَّخْرِ فَتَقْدَحُ مِنْهُ النَّارَ[٤].

قال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾**، قَالَ عِكْرِمَةُ، وَعَطَاءٌ، وَالضَّحَّاكُ، ومقاتل، والكلبي: هي الخيل تواري النَّارَ بِحَوَافِرِهَا، إِذَا سَارَتْ فِي الْحِجَارَةِ، يَعْنِي: وَالْقَادِحَاتِ قَدْحًا؛ يَقْدَحْنَ بِحَوَافِرِهِنَّ»[٥].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾**، ويعني بذلك: قدح النار حينما يضرب الأحجار بعضها بعضاً، كما هو مشهور عندنا في حجر المرو، فإنك إذا ضربت بعضه ببعض انقدح، هذه الخيل لقوة سعيها، وشدته، وضربها الأرض، إذا ضربت الحجر ضرب الحجر الحجر الثاني، ثم يقدح ناراً، وذلك لقوتها، وقوة سعيها، وضربها الأرض»[٦].

٣- **﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾**، يَعْنِي: الْإِغَارَةَ وَقْتَ الصَّبَاحِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغِيرُ صَبَاحًا، وَيَتَسَمَّعُ أَذَانًا، فَإِنْ سَمِعَ وَإِلَّا أَغَارَ.

٤- ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾، يَعْنِي: غُبَارًا فِي مُعْتَرَكِ الْخُيُولِ[٧].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿فأثرن به﴾** أي: أثرن بهذا العدو، وهذه الإغارة **﴿نقعاً﴾** وهو الغبار الذي يثور من شدة السعي، فإن الخيل إذا سعت واشتد عدوها في الأرض، صار لها غبار من الكر والفر» [٨].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٥.
(٣) تفسير ابن جرير، ٢٤/ ٥٦٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٤.
(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٧.
(٦) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٦.
(٧) تفسير ابن كثير، ١١/ ٤٣٤.
(٨) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٦.

٥- ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾، أَيْ: تَوَسَّطْنَ ذَلِكَ الْمَكَانَ كُلُّهن جُمَعَ.

وَقَالَ العَوفي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكَ: يَعْنِي جَمْع الْكُفَّارِ مِنَ الْعَدُوّ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ: ﴿فَوَسَطْنَ﴾ بِذَلِكَ الْمَكَانِ جَميعُهُن، وَيَكُونُ ﴿جَمْعًا﴾ مَنْصُوبًا عَلَى الْحَالِ الْمُؤَكَّدَةِ[(١)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ أي: براكبهن ﴿جَمْعًا﴾ أي: توسطن به جموع الأعداء، الذين أغار عليهم»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فوسطن به﴾ أي: توسطن بهذا الغبار ﴿جمعاً﴾ أي: جموعاً من الأعداء، أي: أنها ليس لها غاية، ولا تنتهي غايتها إلا وسط الأعداء، وهذه غاية ما يكون من منافع الخيل، مع أن الخيل كلها خير، كما قال النبي ﷺ: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»»[(٣)].

٦- ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ لِنِعَمِ رَبِّهِ لَجَحُودٌ كَفُورٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخعِي، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَبُو الضُّحَى، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ قَيْسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحسنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ: الْكَنُودُ: الْكَفُورُ.

قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الَّذِي يَعُدُّ الْمَصَائِبَ، وَيَنْسَى نِعَمَ رَبِّهِ[(٤)].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: لَكَنُودٌ: لِكَفُورٌ جَحُودٌ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ الْكَلْبِيُّ: هُوَ بِلِسَانِ مُضَرَ، وَرَبِيعَةَ: الْكَفُورُ، وَبِلِسَانِ كِنْدَةَ، وَحَضْرَمَوْتَ: الْعَاصِي»[(٥)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه، فطبيعة الإنسان، وجبلَّته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٦، والحديث أخرجه مسلم، برقم ٢٨٥٠، ومسلم، برقم ١٨٧٣.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٦.

(٥) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٨.

الحقوق، فتؤديها كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل، والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية، إلا من هداه الله، وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق»[١].

وذكر في أضواء البيان: أن الْكَنُودُ: الْكَفُورُ الْجُحُودُ لِنِعَمِ اللَّهِ، نقله القرطبي عن ابْنُ عَبَّاسٍ، وقيل: الْكَنُودُ بِلِسَانِ كِنْدَةَ: الْعَاصِي، وَبِلِسَانِ رَبِيعَةَ، وَمُضَرَ: الْكَفُورُ، وَبِلِسَانِ كِنَانَةَ: الْبَخِيلُ السَّيِّئُ الْمَلَكَةِ، روى عن ابن عباس هذه المعاني، وقِيلَ: هُوَ الَّذِي يَكْفُرُ الْيَسِيرَ، وَلَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ، وَقِيلَ: الْجَاحِدُ لِلْحَقِّ، وَقِيلَ: هو الَّذِي يُنْفِقُ نِعَمَ اللَّهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وقيل: الْهَلُوعُ وَالْكَنُودُ: هُوَ الَّذِي إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، وَقِيلَ: الْحَسُودُ الْحَقُودُ، ثُمَّ قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ هذه الأقوال: هَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا تَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الْكُفْرَانِ وَالْجُحُودِ»[٢].

وذكر العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ معنى قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ أن المراد بالإنسان هنا الجنس، أي: أن جنس الإنسان، إذا لم يوفق للهداية فإنه لكفور، أي كفور لنعمة الله عَزَّ وَجَلَّ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقيل: المراد بالإنسان هو الكافر، فعلى هذا يكون عامًّا أريد به الخاص، والأظهر أن المراد به العموم، وأن جنس الإنسان لولا هداية الله لكان كنوداً لربه عَزَّ وَجَلَّ، والكنود هو الكفر، أي: كافر لنعمة الله عَزَّ وَجَلَّ، يرزقه الله عَزَّ وَجَلَّ فيزداد بهذا الرزق عتواً ونفوراً، فإن من الناس من يطغى إذا رآه قد استغنى عن الله، وما أكثر ما أفسد الغنى من بني آدم فهو كفور بنعمة الله عَزَّ وَجَلَّ، يجحد نعمة الله، ولا يقوم بشكرها، ولا يقوم بطاعة الله؛ لأنه كنود لنعمة الله[٣].

ورجح في أضواء البيان أن الضمير يعود للإنسان[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر القولين: «والصواب أن الآية شاملة لهذا وهذا، فالله شهيد على ما في قلب ابن آدم، وشهيد على عمله،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي، ٩/ ٤٤٥.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٧.

(٤) أضواء البيان، ٩/ ٤٤٧.

والإنسان أيضاً شهيد على نفسه، لكن قد يقر بهذه الشهادة في الدنيا، وقد لا يقر بها، فيشهد على نفسه يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]»[١].

٧- ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، قَالَ قَتَادَةُ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ لِشَهِيدٌ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ الضَّمِيرُ عَلَى الْإِنْسَانِ، قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى كَوْنِهِ كَنُودًا لَشَهِيدٌ، أَيْ: بِلِسَانِ حَالِهِ، أَيْ: ظَاهِرٌ ذَلِكَ عَلَيْهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [التَّوْبَة: ١٧][٢].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى كَوْنِهِ كَنُودًا لَشَاهِدٌ، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: الْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْإِنْسَانِ، أَيْ: إِنَّهُ شَاهِدٌ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا يَصْنَعُ»[٣].

٨- ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أَيْ: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ، وَهُوَ: الْمَالُ، لَشَدِيدٌ، وَفِيهِ مَذْهَبَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الْمَحَبَّةِ لِلْمَالِ.

وَالثَّانِي: وَإِنَّهُ لَحَرِيصٌ بَخِيلٌ؛ مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ[٤].

وقال في أضواء البيان: «﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الْخَيْرُ عَامٌّ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وَلَكِنَّهُ هُنَا خَاصٌّ بِالْمَالِ، فَهُوَ مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخَاصُّ، مِنْ قَصْرِ الْعَامِّ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهِ؛ لِأَنَّ الْمَالَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ الْخَيْرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة:١٨٠]، أَيْ: مَالًا؛ لِأَنَّ عَمَلَ الْخَيْرِ يَصْحَبُهُ مَعَهُ، وَلَا يَتْرُكُهُ»[٥].

٩- ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُزَهِّدا فِي الدُّنْيَا، ومُرَغِّبًا فِي الْآخِرَةِ، وَمُنَبِّهًا عَلَى مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَ هَذِهِ الْحَالِ، وَمَا يَسْتَقْبِلُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْأَهْوَالِ: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٦.
(٣) تفسير البغوي، ١٤/ ٤٣٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٧، وانظر: تفسير البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ، ٤/ ٤١٨.
(٥) أضواء البيان، ٩/ ٤٤٩.

﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾، أَيْ: أُخْرِجَ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ[1].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: هلاّ يعلم هذا المغترّ ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أي: أخرج اللَّه الأموات من قبورهم، لحشرهم ونشورهم»[2].

وقال في أضواء البيان: «الْبَعْثَرَةُ: الِانْتِشَارُ... هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَأْخُوذَةٌ مِنْ أَصْلَيْنِ: الْبَعْثُ، وَالنَّثْرُ، فَالْبَعْثُ: خُرُوجُهُمْ أَحْيَاءً، وَالنَّثْرُ: الِانْتِشَارُ كَنَثْرِ الْحَبِّ، فَهِيَ تَدُلُّ عَلَى بَعْثِهِمْ مُنْتَشِرِينَ، وَقَدْ نَصَّ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، أَيْ: بُعْثِرَ مِنْ فِيهَا، وَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: ٤٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]»[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أفلا يعلم﴾ أي يتيقن. ﴿إذا بعثر ما في القبور﴾ أي: نشر، وأظهر؛ فإن الناس يخرجون من قبورهم لرب العالمين، كأنهم جراد منتشر، يخرجون جميعاً بصيحة واحدة ﴿إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣]»[4].

١٠- ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: يَعْنِي أَبْرَزَ، وَأَظْهَرَ مَا كَانُوا يُسِرُّونَ فِي نُفُوسِهِمْ[5].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: ظهر، وبان ما فيها، وما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهرًا، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم»[6].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أي: ما في القلوب من النيات، وأعمال القلب كالتوكل، والرغبة، والرهبة، والخوف،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص، ١١٠١.

(٣) أضواء البيان، ٩/ ٤٥٠.

(٤) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٨.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٧.

(٦) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.

والرجاء، وما أشبه ذلك، ... ومناسبة الآيتين بعضهما لبعض أن بعثرة ما في القبور إخراج للأجساد من بواطن الأرض، وتحصيل ما في الصدور: إخراج لما في الصدور، مما تكنه الصدور، فالبعثرة بعثرة ما في القبور عما تكنه الأرض، وهنا عما يكنه الصدر، والتناسب بينهما ظاهر»[1].

١١- ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾، أَيْ: لَعَالِمٌ بِجَمِيعِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَيَعْمَلُونَ، مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ، وَلَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[2].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ أي: مطلع على أعمالهم الظاهرة، والباطنة، الخفية، والجلية، ومجازيهم عليها، وخصَّ خُبْرَه بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت؛ لأن المراد بذلك: الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه»[3].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٢٩٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٧.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠١.

١٠١- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)﴾

١- ﴿الْقَارِعَةُ﴾: مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَالْحَاقَّةِ، وَالطَّامَّةِ، وَالصَّاخَّةِ، وَالْغَاشِيَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ[١].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الْقَارِعَةُ﴾، اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ»[٢].

٣- ثُمَّ قَالَ مُعَظِّمًا أَمْرَهَا، وَمُهَوِّلًا لِشَأْنِهَا: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[٣].

٤- ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، أَيْ: فِي انْتِشَارِهِمْ، وَتَفَرُّقِهِمْ، وَذَهَابِهِمْ، وَمَجِيئِهِمْ، مِنْ حَيْرَتِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، كَأَنَّهُمْ فَرَاشٌ مَبْثُوثٌ، كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧][٤].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾، أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها؛ لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول، وأما الجبال الصم الصلاب، فتكون ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ أي: كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفًا جدًا، تطير به أدنى ريح، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، ثم بعد ذلك، تكون هباء منثورًا، فتضمحلّ ولا يبقى منها شيء يشاهد، فحينئذ تنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء»[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٨.
(٢) تفسير البغوي، ٤/ ٥١٩.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٨.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٨.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٢.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾ أي: أنها تكون في ذلك الوقت، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث حين يخرجون من قبورهم. قال العلماء: يكونون كالفراش المبثوث، والفراش هو هذه الطيور الصغيرة التي تتزاحم عند وجود النار في الليل، وهي ضعيفة، وتكاد تمشي بدون هدى، وتتراكم، وربما لطيشها تقع في النار، وهي لا تدري، فهم يشبهون الفراش في ضعفه، وحيرته، وتراكمه، وسيره إلى غير هدى، و«المبثوث» يعني: المنتشر، فهو كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرُ﴾ [القمر: ٧]، لو تصورت هذا المشهد يخرج الناس من قبورهم على هذا الوجه، لتصورت أمراً عظيماً لا نظير له، هؤلاء العالم من آدم إلى أن تقوم الساعة، كلهم يخرجون خروج رجل واحد في آن واحد من هذه القبور المبعثرة في مشارق الأرض ومغاربها، ومن غير القبور كالذي ألقي في لجة البحر، وأكلته الحيتان، أو في فلوات الأرض، وأكلته السباع، أو ما أشبه ذلك، كلهم سيخرجون مرة واحدة، يصولون ويجولون في هذه الأرض»[(١)].

٥- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾، يَعْنِي: قَدْ صَارَتْ كَأَنَّهَا الصُّوفُ الْمَنْفُوشُ، الَّذِي قَدْ شَرَعَ فِي الذَّهَابِ وَالتَّمَزُّقِ.

قَالَ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَعَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿الْعِهْنِ﴾: الصُّوفُ.

٦- ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا يَؤُولُ إِلَيْهِ عَمَلُ الْعَامِلِينَ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْكَرَامَةِ أَوِ الْإِهَانَةِ، بِحَسْبِ أَعْمَالِهِمْ، فَقَالَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَيْ: رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ.

٧- ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ.

٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أَيْ: رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ.

٩- ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾، قِيلَ: مَعْنَاهُ: فَهُوَ سَاقِطٌ هَاوٍ بِأُمِّ رَأْسِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وعَبَّر عَنْهُ بِأُمِّهِ-يَعْنِي دِمَاغَهُ-رُوِيَ نَحْوُ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَأَبِي

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص: ٣٠٠- ٣٠١.

صَالِحٍ، وَقَتَادَةَ، قَالَ قَتَادَةُ: يَهْوِي فِي النَّارِ عَلَى رَأْسِهِ، وَكَذَا قَالَ أَبُو صَالِحٍ: يَهْوُونَ فِي النَّارِ عَلَى رُءُوسِهِمْ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: ﴿فَأُمُّهُ﴾ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا، وَيَصِيرُ فِي الْمَعَادِ إِلَيْهَا ﴿هَاوِيَةٌ﴾، وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ[1]: وَإِنَّمَا قِيلَ: لِلْهَاوِيَةِ أُمُّهُ؛ لأنه لا مأوى له غيرها.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْهَاوِيَةُ: النَّارُ، هِيَ أُمَّهُ وَمَأْوَاهُ الَّتِي يَرْجِعُ إِلَيْهَا وَيَأْوِي إِلَيْهَا، وَقَرَأَ: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [آل عِمْرَان: ١٥١].

١٠-١١- قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: هِيَ النَّارُ، وَهِيَ مَأْوَاهُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُفَسِّرًا لِلْهَاوِيَةِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ بسنده عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْمَى قَالَ: إِذَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ ذُهِبَ بِرُوحِهِ إِلَى أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَقُولُونَ: رَوِّحُوا أَخَاكُمْ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، قَالَ: وَيَسْأَلُونَهُ: وَمَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُ: مَاتَ، أو ما جَاءَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ[2].

وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَرْفُوعًا، بِأَبْسَطِ مِنْ هَذَا. وَقَدْ أَوْرَدْنَاهُ فِي كِتَابِ صِفَةِ النَّارِ، أَجَارَنَا اللَّهُ مِنْهَا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ[3].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ قسم اللَّه تعالى الناس إلى قسمين:

القسم الأول: من ثقلت موازينه، وهو الذي رجحت حسناته على سيئاته.

والثاني: من خفت موازينه، وهو الذي رجحت سيئاته على حسناته، أو الذي ليس له حسنة أصلاً كالكافر، يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ العيشة مأخوذة من العيش، وهو الحياة، يقال: عاش

---

(١) انظر: تفسير الطبري، ٢٤/ ٥٧٦.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٥٧٥.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٣٩.

الرجل زمناً طويلاً، أي: بقي وحيي زمناً طويلاً، والعيشة هنا على وزن فعلة، فهي هيئة، وليست مصدراً، المصدر الدال على الوحدة أن تقول عيشة، وأما إذا قلت عِيْشَة، فهي فعلة تدل على الهيئة، كما قال ابن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفعلـــــة لمـــــرة كجَلســـــةٍ وفعلـــــة لهيئـــــة كجِلســـــةً

المعنى: أنه في حياة طيبة راضية. ﴿راضية﴾ قيل: إنها اسم فاعل بمعنى اسم المفعول، أي: مرضية. وقيل: إنها اسم فاعل من باب النسبة، أي: ذات رضى، وكلا المعنيين واحد، والمعنى: أنها عيشة طيبة ليس فيها نكد، وليس فيها صخب، وليس فيها نصب، كاملة من كل وجه، وهذا يعني العيش في الجنة جعلنا الله منهم، هذا العيش لا يمسهم فيها نصب، وما هم منها بمخرجين، لا يحزنون، ولا يخافون، في أنعم عيش، وأطيب بال، وأسر حال فهي عيشة راضية، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ إما أنه الكافر الذي ليس له أي حسنة، لأن حسنات الكافر يجازى بها في الدنيا، ولا تنفعه في الآخرة، أو أنه مسلم، ولكنه مسرف على نفسه، وسيئاته أكثر، ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ «أم» هنا بمعنى مقصوده، أي: الذي يقصده الهاوية، والهاوية من أسماء النار، يعني أنه مآله إلى نار جهنم، والعياذ بالله.

وقيل: إن المراد بالأم هنا: أم الدماغ، والمعنى: أنه يلقى في النار على أم رأسه، نسأل الله السلامة، وإذا كانت الآية تحتمل معنيين، لا يترجح أحدهما على الآخر، ولا يتنافيان؛ فإنه يؤخذ بالمعنيين جميعاً، فيقال: يرمى في النار على أم رأسه، وأيضاً ليس له مأوى، ولا مقصد إلا النار.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ هذا من باب التفخيم، والتعظيم لهذه الهاوية، يسأل ما هي؟ أتدري ما هي؟ إنها لشيء عظيم، إنها نار حامية في غاية ما يكون من الحمو، وقد قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً**»[1]، إذا تأمّلت نار الدنيا كلّها، سواء نار الحطب، أو الورق، أو الموقد، أو أشدّ من ذلك؛ فإن نار جهنم مفضلة عليها بتسعة وستين جزءاً، نسأل الله العافية، وفي هذه الآية التخويف والتحذير من هذا اليوم، وأن

(١) انظر صحيح البخاري، برقم ٣٢٥٦، ومسلم، برقم ٢٨٤٣.

الناس لا يخرجون عن حالين: إما رجل رجحت حسناته، أو رجل رجحت سيئاته، وفيها أيضاً دليل على أن يوم القيامة فيه موازين، وقد جاء في بعض النصوص أنه ميزان فهل هو واحد أو متعدد؟

قال بعض أهل العلم: إنه واحد، وإنما جمع باعتبار الموزون؛ لأنه يوزن فيه الحسنات والسيئات، وتوزن فيه حسنات فلان وفلان، وتوزن فيه حسنات هذه الأمة والأمة الأخرى، فهو مجموع باعتبار الموزون، لا باعتبار الميزان، وإلا فالميزان واحد، **وقال بعض أهل العلم**: إنها موازين متعددة، لكل أمة ميزان، ولكل عمل ميزان؛ فلهذا جمعت، والأظهر، والله أعلم، أنه ميزان واحد، لكنه جمع باعتبار الموزون على حسب الأعمال، أو على حسب الأمم، أو على حسب الأفراد، وفي هذه الآية دليل على أن الإنسان إذا تساوت حسناته وسيئاته، فإنه قد سكت عنه في هذه الآية، ولكن بين الله تعالى في سورة الأعراف أنهم لا يدخلون النار، وإنما يحبسون في مكان يقال له الأعراف، وذكر الله تعالى في سورة الأعراف ما يجري بينهم وبين المؤمنين، وأنهم إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا: ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا ممن رجحت حسناته على سيئاته، وأن يغفر لنا، ويعاملنا بعفوه، إنه على كل شيء قدير»[1].

﴿**نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ أَيْ: حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، قَوِيَّةُ اللَّهِيبِ وَالسَّعِيرِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «**نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقدون جزء من سبعين جزء مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. فَقَالَ: «**إِنَّهَا فُضِّلَت عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزءًا**»[2].

وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ: «**أَنَّهَا فُضلت عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا**».

وَقَالَ أَبو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ يَقُولُ: «**نَارُ بَنِي آدَمَ الَّتِي تُوقِدُونَ، جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**». فَقَالَ رَجُلٌ: إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. فَقَالَ:

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٠١- ٣٠٤.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٣٢٦٥، وصحيح مسلم، برقم ٢٨٤٣، وموطأ مالك، ٢/ ٩٩٤، برقم (١).

«لَقَدْ فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا حَرًّا فَحَرًّا»[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَمْرٍو، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدة: «إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْفَعَةً لِأَحَدٍ»[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»[٣].

وَثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسين: نَفَسٌ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٌ فِي الصَّيْفِ، فَأَشُدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الشِّتَاءِ مِنْ بَرْدِهَا، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الصَّيْفِ مِنْ حَرِّهَا»[٤].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيح جَهَنم»[٥].



---

(١) مسند أحمد، ١٦/ ٧٧، برقم ١٠٠٣٢، وصحح إسناده محققو المسند، وقال الإمام ابن كثير: «وهو على شرط مسلم»، ١٤/ ٤٤٠.

(٢) مسند أحمد، ١٢/ ٢٨٠، برقم ٧٣٢٧، وصححه محققو المسند، وقال الإمام ابن كثير في تفسيره، ١٤/ ٤٤٠: «وَهَذَا عَلَى شَرْطِ الصِّحَّةِ، وَلَمْ يُخَرِّجُوهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ طَرِيقِ [...ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ]، برقم ٢٨٤٣،

(٣) مسند أحمد، ٤/ ٣٨٧، برقم ٢٦٣٦، وصحح إسناده محققو المسند.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٣٢٦٠، وصحيح مسلم، برقم ٦١٧.

(٥)صحيح البخاري، برقم ٥٣٣، وصحيح مسلم برقم ٦١٥.

١٠٢- تَفْسِيرُ سُورَةِ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)﴾.

١- ٢- يَقُولُ تَعَالَى: شَغَلَكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا وَزَهْرَتُهَا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَابْتِغَائِهَا، وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ حَتَّى جَاءَكُمُ الْمَوْتُ، وَزُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا؟!

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾[1] يَعْنِي: كَانُوا يَرَوْن قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[2]، من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

وَعَنْ مُطَرِّف -يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الله بن الشخير- عن أبيه قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟»[3].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ الْعَبْدُ: مَا لِي مَا لِي؟ وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ تَصَدَّقَ فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»[4].

وَعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثلاثةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ»[5].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٤٤٠.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٦٤٣٩، ومسلم، برقم ١٠٤٨.

(٣) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٣٣، برقم ١٦٣٠٦، وصححه محققو المسند، وصحيح مسلم، برقم ٢٩٥٨، والترمذي، برقم ٣٣٥٤، وسنن النسائي، برقم ٣٦١٣.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٩٥٩.

(٥) صحيح البخاري، برقم ٦٥١٤. وصحيح مسلم، برقم ٢٩٦٠، وسنن الترمذي، برقم ٢٣٧٩، وسنن النسائي، برقم ١٩٣٧.

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ وَالْأَمَلُ**»(١).

وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ، فِي تَرْجَمَةِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، وَاسْمُهُ الضَّحَّاكُ، أَنَّهُ رَأَى فِي يَدِ رَجُلٍ دِرْهَمًا فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا الدِّرْهَمُ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: لِي، فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ لَكَ إِذَا أَنْفَقْتَهُ فِي أَجْرٍ، أَوِ ابْتِغَاءِ شُكْرٍ، ثُمَّ أَنْشَدَ الْأَحْنَفُ مُتَمَثِّلًا قَوْلَ الشَّاعِرِ:

أنـــتَ لِلْمَـــالِ إِذَا أمســـكتَه ... فـــإِذَا أنفقتَـــه فالمـــالُ لَـــكْ(٢)

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ أَكْثَرُ مَنْ بَنِي فُلَانٍ، وَنَحْنُ أَعَدُّ مَنْ بَنِي فُلَانٍ، وَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ يَتَسَاقَطُونَ إِلَى آخِرِهِمْ، وَاللَّهِ مَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ كُلُّهُمْ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، أَيْ: صِرْتُمْ إِلَيْهَا، وَدُفِنْتُمْ فِيهَا، كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَعُودُهُ، فَقَالَ: «**لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**». فَقَالَ: قُلْتَ: طَهُورٌ؟! بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ الْقُبُورَا! قَالَ: «**فَنَعَمْ إِذًا**»(٣).

وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: مَا زِلْنَا نَشُكُّ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

وَعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَقَرَأَ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ فَلَبِثَ هُنَيْهَةً، فَقَالَ: يَا مَيْمُونُ، مَا أَرَى الْمَقَابِرَ إِلَّا زِيَارَةً، وَمَا لِلزَّائِرِ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: يَعْنِي أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ: إِلَى جَنَّةٍ، أَوْ نَارٍ، وَهَكَذَا ذُكر أَنَّ بعضَ الْأَعْرَابِ سَمِعَ رَجُلًا يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، فَقَالَ: بُعِثَ الْيَوْمَ وربِ الْكَعْبَةِ، أَيْ: إِنَّ الزَّائِرَ سَيَرْحَلُ مِنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ(٤).

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، شَغَلَتْكُمُ الْمُبَاهَاةُ، وَالْمُفَاخَرَةُ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، وَالْعَدَدِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَمَا يُنْجِيكُمْ مِنْ سُخْطِهِ،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٤٢١، وصحيح مسلم، برقم ١٠٤٧، واللفظ له .
(٢) تاريخ دمشق، ٢٤/ ٣٤٢.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٣٦١٦، ٥٦٥٦، ٥٦٦٢،٧٤٧٠.
(٤) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٥٩، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٤.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، حَتَّى مُتُّمْ، وَدُفِنْتُمْ فِي الْمَقَابِرِ»[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى موبخًا عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته على كل شيء: ﴿أَلْهَاكُمُ﴾ عن ذلك المذكور ﴿التَّكَاثُرُ﴾، ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى، فاستمرت غفلتكم، ولهوتكم، وتشاغلكم ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، فانكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن بعد ما تعذر عليكم استئنافه، ودل قوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية، أن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين، فدل ذلك على البعث والجزاء بالأعمال في دار باقية غير فانية»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ هذه الجملة جملة خبرية، يخبر الله عَزَّ وَجَلَّ بها العباد مخاطباً لهم يقول: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، ومعنى ﴿ألهاكم﴾ أي: شغلكم حتى لهوتم عن ما هو أهم من ذكر الله تعالى، والقيام بطاعته، والخطاب هنا لجميع الأمة، إلا أنه يخصص بمن شغلتهم أمور الآخرة عن أمور الدنيا، وهم قليل، وإنما نقول هم قليل؛ لأنه ثبت في الصحيحين أن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»[٣]، واحد في الجنة، والباقي في النار، وهذا عدد هائل! إذا لم يكن من بني آدم إلا واحداً من الألف من أهل الجنة، والباقون من أهل النار، إذاً فالخطاب بالعموم في مثل هذه الآية جار على أصله؛ لأن الواحد من الألف ليس بشيء بالنسبة إليه، وأما

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٢.

(٣) البخاري، رقم ٦٥٣٠، ومسلم، برقم ٢٢٢.

قوله: ﴿التكاثر﴾، فهو يشمل التكاثر بالمال، والتكاثر بالقبيلة، والتكاثر بالجاه، والتكاثر بالعلم، وبكلٍ ما يمكن أن يقع فيه التفاخر، ويدل لذلك قول صاحب الجنة لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ [الكهف: ٣٤]، فالإنسان قد يتكاثر بماله، فيطلب أن يكون أكثر من الآخر مالاً، وأوسع تجارة، وقد يتكاثر الإنسان بقبيلته، يقول نحن أكثر منهم عدداً، كما قال الشاعر:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

أكثر منهم حصى؛ لأنهم كانوا فيما سبق يعدون الأشياء بالحصى، فمثلاً: إذا كان هؤلاء حصاهم عشرة آلاف، والآخرون حصاهم ثمانية آلاف، صار الأول أكثر وأعز، فيقول الشاعر:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

كذلك يتكاثر الإنسان بالعلم، فتجده يكاثر على غيره بالعلم، لكن إن كان بالعلم الشرعي، فهو خير، وإن كان بالعلم غير الشرعي، فهو إما مباح، وإما محرم، وهذا هو الغالب على بني آدم التكاثر، فيتكاثرون في هذه الأمور عما خلقوا له من عبادة الله ﷻ، وقوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾ يعني: إلى أن زرتم المقابر، يعني: إلى أن مُتم، فالإنسان مجبول على التكاثر إلى أن يموت، بل كلما ازداد به الكِبر ازداد به الأمل، فهو يشيب في السن، ويشبّ في الأمل، حتى إن الرجل له تسعون سنة مثلاً، تجد عنده من الآمال، وطول الأمل ما ليس عند الشاب الذي له خمس عشرة سنة، هذا هو معنى الآية الكريمة، أي: أنكم تلهوتم بالتكاثر عن الآخرة إلى أن متم، وقيل: إن معنى ﴿حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾ حتى أصبحتم تتكاثرون بالأموات، كما تتكاثرون بالأحياء، فيأتي الإنسان فيقول: أنا قبيلتي أكثر من قبيلتك، وإذا شئت فاذهب إلى القبور عد القبور منا، وعد القبور منكم، فأينا أكثر؟ لكن هذا قول ضعيف بعيد من سياق الآية، والمعنى الأول هو الصحيح أنكم تتكاثرون إلى أن تموتوا، وقوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾ استدل به عمر بن عبد العزيز رحمه الله على أن الزائر لابد أن يرجع إلى وطنه، وأن القبور ليست بدار إقامة، وكذلك يذكر عن بعض الأعراب أنه سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾، فقال: «والله ما الزائر بمقيم، والله لنبعثن»؛ لأن الزائر كما هو

معروف يزور ويرجع، فقال: والله لنبعثن، وهذا هو الحق، وبهذا نعرف أن ما يذكره بعض الناس الآن في الجرائد وغيرها، يقول عن الرجل إذا مات: «**إنه انتقل إلى مثواه الأخير**»، إن هذا كلام باطل وكذب؛ لأن القبور ليس هي المثوى الأخير، بل لو أن الإنسان اعتقد مدلول هذا اللفظ لصار كافراً بالبعث، والكفر بالبعث ردة عن الإسلام، لكن كثيرًا من الناس يأخذون الكلمات، ولا يدرون ما معناها، ولعل هذه موروثة عن الملحدين الذين لا يقرون بالبعث بعد الموت؛ لهذا يجب تجنب هذه العبارة، فلا يقال عن القبر إنه المثوى الأخير؛ لأن المثوى الأخير إما الجنة، وإما النار في يوم القيامة»[1].

٣-٤- ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هَذَا وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، يَعْنِي: الْكُفَّارَ، ﴿ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ.

٤- ﴿كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، أَيْ: لَوْ عَلِمْتُمْ حَقَّ الْعِلْمِ، لَمَا أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ عَنْ طَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ.

٥-٦- ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾، هَذَا تَفْسِيرُ الْوَعِيدِ الْمُتَقَدِّمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، تَوَعَّدَهم بِهَذَا الْحَالِ، وَهِيَ رُؤْيَةُ النَّارِ الَّتِي إِذَا زَفَرَتْ زَفْرَةً خَرَّ كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، وَنَبِيٍّ مُرْسَلٍ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، مِنَ الْمَهَابَةِ، وَالْعَظَمَةِ، وَمُعَايَنَةِ الْأَهْوَالِ، عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْأَثَرُ الْمَرْوِيُّ فِي ذَلِكَ[2].

وقال **العلامة السعدي** رحمه الله: «﴿كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ أي: لو تعلمون ما أمامكم علمًا يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي، صيركم إلى ما ترون»[3].

---
(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٠٥- ٣٠٧.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٤٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٢.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: سوف تعلمون عاقبة أمركم بالتكاثر الذي ألهاكم عن الآخرة ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وهذه الجملة تأكيد للردع مرة ثانية، ثم قال: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، يعني: حقًّا لو تعلمون علم اليقين؛ لعرفتم أنكم في ضلال، ولكنكم لا تعلمون علم اليقين؛ لأنكم غافلون لاهون في هذه الدنيا، ولو علمتم علم اليقين لعرفتم أنكم في ضلال وفي خطأ عظيم»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾، «لترون» هذه الجملة مستقلة ليست جواب «لو»؛ ولهذا يجب على القارئ أن يقف عند قوله: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾، ونحن نسمع كثيراً من الأئمة يصلون فيقولون ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، وهذا الوصل إما غفلة منهم، ونسيان، وإما أنهم لم يتأملوا الآية حق التأمل، وإلا لو تأملوها حق التأمل لوجدوا أن الوصل يفسد المعنى؛ لأنه إذا قال «كلا لو تعلمون علم * اليقين لترون الجحيم» صار رؤية الجحيم مشروطة بعلمهم، وهذا ليس بصحيح، لذلك يجب التنبه، والتنبيه لهذا من سمع أحداً يقرأ «كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم» يُنبَّه ويقول له: يا أخي هذا الوصل يوهم فساد المعنى، فلا تصل وقف، أولاً: لأنها رأس آية، والمشروع أن يقف الإنسان عند رأس كل آية، وثانياً: أن الوصل تأكيد لرؤيتها، ومتى ترى؟ تُرى يوم القيامة، يؤتى بها تُجر بسبعين ألف زمام، كل زمام يجره سبعون ألف ملك، فما ظنك بهذه النار، والعياذ بالله، إنها نار كبيرة عظيمة؛ لأن فيها سبعين ألف زمام، كل زمام يجره سبعون ألف ملك، والملائكة عظام شداد فهي نار عظيمة ـ أعاذنا الله منها»[2].

٧- ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾، أَيْ: ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، مِنَ الصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَا إِذَا قَابَلْتُمْ بِهِ نِعَمَهُ مِنْ شُكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ.

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم العثيمين، ص ٣٠٧- ٣٠٨.
(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم العثيمين، ص ٣٠٧- ٣٠٨.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمْرُ جَالِسَانِ، إِذْ جَاءَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمَا هَاهُنَا؟**»، قَالَا: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنَا مِنْ بُيُوتِنَا إِلَّا الْجُوعُ، قَالَ: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ**»، فَانْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا بَيْتَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُمُ الْمَرْأَةُ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**»، فَقَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مَاءً، فَجَاءَ صَاحِبُهُمْ يَحْمِلُ قِرْبَتَهُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا، مَا زَارَ الْعِبَادَ شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنْ شَيْءٍ زَارَنِي الْيَوْمَ، فَعَلَّقَ قِرْبَتَهُ بِكَرَبِ نَخْلَةٍ، وَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَا كُنْتَ اجْتَنَيْتَ**»؟ فَقَالَ: أَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونُوا الَّذِينَ تَخْتَارُونَ عَلَى أَعْيُنِكُمْ، ثُمَّ أَخَذَ الشَّفْرَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ؟**»، فَذَبَحَ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ، فَأَكَلُوا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، فَلَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَبْتُمْ هَذَا، فَهَذَا مِنَ النَّعِيمِ**»[1]، وهذا لفظ الطبري، وَلَفظُ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا**»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ، وَتَمْرٌ، وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا، وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**»[2].

وَعَنْ أَبِي عسيب مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلًا فَمَرَّ بِي، فَدَعَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّ بِعُمَرَ فَدَعَاهُ

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٥٨٣.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٢٠٣٨ .

فَخَرَجَ إِلَيْهِ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى حَائِطًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْحَائِطِ: «**أَطْعِمْنَا**»، فَجَاءَ بِعِذْقٍ فَوَضَعَهُ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ بَارِدٍ فَشَرِبَ، وَقَالَ: «**لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، قَالَ: فَأَخَذَ عُمَرُ العِذْقَ فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، حَتَّى تَنَاثَرَ البُسْرُ قِبَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَمَسْؤُولُونَ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: خِرْقَةٌ لَفَّ بِهَا الرَّجُلُ عَوْرَتَهُ، أَوْ كِسْرَةٌ سَدَّ بِهَا جَوْعَتَهُ، أَوْ جُحْرٌ تَدخَّل فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ**»[(١)].

وَعن جَابِرَ بْن عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمْرُ رُطَبًا، وَشَرِبُوا مَاءً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ**»[(٢)].

وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿**لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَنْ أَيِّ نَعِيمٍ نُسأل؟ وَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ الْمَاءُ وَالتَّمْرُ، وَسُيُوفُنَا عَلَى رِقَابِنَا، وَالْعَدُوُّ حَاضِرٌ، فَعَنْ أَيِّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ؟ قَالَ: «**أَمَا إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ**»[(٣)].

وَعن معاذِ بنِ عبدِ اللَّه بنِ خُبَيب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: كُنَّا فِي مَجْلِسٍ فَطَلَعَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَرَاكَ طَيِّبَ النَّفْسِ، قَالَ: «**أَجَلْ**»، قَالَ: ثُمَّ خَاضَ النَّاسُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ، وَالصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى اللَّهَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ**»[(٤)].

وَعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ -يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ- الْعَبْدُ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحّ لك جسمك، ونُرْوِكَ من الماء البارد؟**»[(٥)].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَ الزُّبَيْرُ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِأَيِّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا هُمَا الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ،

---

(١) مسند أحمد، ٣٤/ ٣٦٧، برقم ٢٠٧٦٨، وقواه محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ٢٣/ ٩٨، برقم ١٤٧٨٦، وصحح إسناده محققو المسند، وسنن النسائي، ٦/ ٢٤٦، برقم ٣٦٣٩، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، برقم ٣٦٣٩.

(٣) مسند أحمد، ٣٩/ ٤٧، برقم ٢٣٦٤٠، وحسنه محققو المسند.

(٤) مسند أحمد، ٣٨/ ٢٢٨، برقم ٢٣١٥٨، وحسن إسناده محققو المسند، سنن ابن ماجه، برقم ٢١٤١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٧١٨٢.

(٥) سنن الترمذي، برقم ٣٣٥٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٥٣٩، وصحيح ابن حبان، ١٦/ ٣٦٤، برقم ٧٣٦٤، وصححه محقق ابن حبان.

وَالْمَاءُ؟ قَالَ: «إِنَّ ذلِكَ سَيَكُونُ»[١].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[٢].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ، عَجَلَكَ، قَالَ عَفَّانُ: يوم القيامة،: يا بن آدَمَ، حَمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ، وَزَوَّجْتُكَ النِّسَاءَ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبَع وَتَرْأَس، فَأَيْنَ شُكْرُ ذلِكَ؟»[٣].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق اللَّه فيه، ولم تستعينوا به، على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل، أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي اللَّه، فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٠]»[٤].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ يعني: ثم في ذلك الوقت في ذلك الموقف العظيم تسألن عن النعيم، واختلف العلماء رحمهم اللَّه في قوله: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هل المراد الكافر، أو المراد المؤمن والكافر؟

والصواب: أن المراد المؤمن، والكافر، كل يسأل عن النعيم، لكن الكافر يسأل سؤال توبيخ وتقريع، والمؤمن يسأل سؤال تذكير، والدليل على أنه عام ما جرى في قصة النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر»[٥].



(١) تفسير ابن أبي حاتم بإسناده، ١٠/ ٣٤٦١. ورواه الترمذي، برقم ٣٣٥٦، وابن ماجه، برقم ٤١٥٨، ومسند أحمد، ٣/ ٢٤، برقم ١٤٠٥، وحسن إسناده محققو المسند، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ٦٦٥، تحت الحديث رقم ٣٤٠.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٦٤١٢، وسنن الترمذي، برقم ٢٣٠٤، وسنن ابن ماجه، برقم ٤١٧٠.

(٣) مسند أحمد، ١٦/ ٢٤٤، برقم ١٠٣٧٨، وصحح إسناده محققو المسند.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٣.

(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٠٩، وقصة أبي بكر وعمر مع النبي ﷺ تقدم تخريجها.

١٠٣- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْعَصْرِ

عَنْ عبيدِ اللَّهِ بْنِ حَصْنٍ، قَالَ: «كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا الْتَقَيَا، لَمْ يَتَفَرَّقَا إِلَّا عَلَى أَنْ يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ سُورَةَ الْعَصْرِ إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ يُسَلِّمُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ»[١].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ، لَوَسِعَتْهُمْ[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾

١-٢- **الْعَصْرُ**: الزَّمَانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ الْعَشِيُّ، وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ.

فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، أَيْ: فِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكٍ.

٣- ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فَاسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ الْإِنْسَانِ عَنِ الْخُسْرَانِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، وَهُوَ أَدَاءُ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عَلَى الْمَصَائِبِ، وَالْأَقْدَارِ، وَأَذَى مَنْ يُؤْذِي مِمَّنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ[٣].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْعَصْرِ﴾: قَالَ ابن عباس: والدهر، وقيل: أَقْسَمَ بِهِ لِأَنَّ فِيهِ عِبْرَةً لِلنَّاظِرِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ وَرَبِّ الْعَصْرِ، وَكَذَلِكَ فِي أَمْثَالِهِ، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: أَرَادَ بِالْعَصْرِ: اللَّيْلَ، وَالنَّهَارَ، يُقَالُ لَهُمَا: الْعَصْرَانِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: مِنْ بَعْدِ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَقْسَمَ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ، وَهِيَ الصَّلَاةُ الْوُسْطَى، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، أَيْ: خُسْرَانٍ وَنُقْصَانٍ، قِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْكَافِرَ بِدَلِيلِ أَنَّهُ اسْتَثْنَى

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني، ٥/ ٢١٥، برقم ٥١٢٤، والبيهقي في شعب الإيمان، ١١/ ٣٤٩، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٢٣٣: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ».

(٢) ذكرها الإمام النووي نحوها في المجموع شرح المهذب، ١/ ١٢، ولفظها: «النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عن هذه السورة ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر﴾».

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥١.

المـؤمنين، والخسـران ذَهَـابُ رَأْسِ مَـالِ الْإِنْسَـانِ فِـي هَـلَاكِ نَفْسِـهِ وَعُمُـرِهِ بِالْمَعَاصِي، وَهُمَا أَكْبَرُ رَأْسِ مَالِهِ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا في خسران، ﴿وَتَوَاصَوْا﴾، أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ﴿بِالصَّبْرِ﴾، بِالْقُرْآنِ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ، وَإِقَامَةِ أَمْرِ اللَّهِ، وَرَوَى ابْنُ عَوْنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَرَادَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عُمِّرَ فِي الدُّنْيَا، وَهَرِمَ، لَفِي نَقْصٍ، وَتَرَاجُعٍ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّهُمْ يُكْتَبُ لَهُمْ أُجُورُهُمْ، وَمَحَاسِنُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي شَبَابِهِمْ، وَصِحَّتِهِمْ، وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [التين: ٤ -٦]»[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَالْعَصْرِ﴾: أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد، وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح، والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به، والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله، وحق عباده، الواجبة والمستحبة، والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه، والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة، فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم»[٢].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

---

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٢٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٣.

أقسم الله تعالى بالعصر، والعصر قيل: إن المراد به آخر النهار، لأن آخر النهار أفضله، وصلاة العصر تسمى الصلاة الوسطى، أي: الفضلى كما سماها النبي ﷺ بذلك، وقيل: إن العصر هو الزمان، وهذا هو الأصح، أقسم الله به لما يقع فيه من اختلاف الأحوال، وتقلبات الأمور، ومداولة الأيام بين الناس، وغير ذلك مما هو مشاهد في الحاضر، ومتحدث عنه في الغائب، فالعصر هو الزمان الذي يعيشه الخلق، وتختلف أوقاته شدة ورخاء، وحرباً وسلماً، وصحة ومرضاً، وعملاً صالحاً، وعملاً سيئاً، إلى غير ذلك مما هو معلوم للجميع، أقسم الله به على قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، والإنسان هنا عام، لأن المراد به الجنس، وعلامة الإنسان الذي يراد به العموم أن يحل محل «ال» كلمة «كل»، فهنا لو قيل: كل إنسان في خسر؛ لكان هذا هو المعنى، ومعنى الآية الكريمة أن الله أقسم قسماً على حال الإنسان أنه في خسر، أي: في خسران، ونقصان في كل أحواله، في الدنيا، وفي الآخرة إلا من استثنى الله ﷻ، وهذه الجملة مؤكدة بثلاث مؤكدات، الأول: القسم، والثاني: «إنّ»، والثالث: «اللام»، وأتى بقوله: ﴿لفي خسر﴾ ليكون أبلغ من قوله: (لخاسر)، وذلك أن «في» للظرفية، فكأن الإنسان منغمس في الخسر، والخسران محيط به من كل جانب، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، استثنى الله ﷻ هؤلاء المتصفين بهذه الصفات الأربع:

الصفة الأولى: الإيمان الذي لا يخالجه شك، ولا تردد بما بينه الرسول ﷺ حين سأله جبريل عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[1]، وشرح هذا الحديث يطول، وتكلمنا عليه في مواطن كثيرة، فالذين آمنوا بهذه الأصول الستة هم المؤمنون، ولكن يجب أن يكون إيماناً لا شك معه، ولا تردد، بمعنى: أنك تؤمن بهذه الأشياء وكأنك تراها رأي العين، والناس في هذا المقام ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مؤمن خالص الإيمان؛ إيماناً لا شك فيه ولا تردد.

والقسم الثاني: كافر جاحد منكر.

---

(١) البخاري، برقم ٥٠، ومسلم، برقم ٨.

والقسم الثالث: متردد، والناجي من هؤلاء القسم الأول الذي يؤمن إيماناً لا تردد فيه، يؤمن بوجود الله، وربوبيته، وألوهيته، وبأسمائه وصفاته ﷻ، ويؤمن بالملائكة، وهم عالم غيبي، خلقهم الله تعالى من نور، وكلفهم بأعمال، منها ما هو معلوم، ومنها ما ليس بمعلوم، فجبريل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مكلف بالوحي، ينزل به من عند الله إلى الأنبياء والرسل، وميكائيل مكلف بالقطر والنبات، يعني: وكله الله على المطر، وكل ما يتعلق بالمطر، وعلى النبات، وإسرافيل: موكل بالنفخ بالصور، ومالك: موكل بالنار، ورضوان موكل بالجنة، ومن الملائكة من لا نعلم أسماءهم، ولا نعلم أعمالهم أيضاً، لكن جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه ما من موضع أربع أصابع في السماء، إلا وفيه ملك قائم لله، أو راكع، أو ساجد، كذلك نؤمن بالكتب التي أنزلها الله على الرسل عليهم الصلاة والسلام، ونؤمن بالرسل الذين قصهم الله علينا، نؤمن بهم بأعيانهم، والذين لم يقصهم علينا نؤمن بهم إجمالاً؛ لأن الله لم يقص علينا جميع أنباء الرسل، قال الله تعالى: ﴿**مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾ [غافر: ٧٨]، واليوم الآخر هو يوم البعث يوم يخرج الناس من قبورهم للجزاء حفاة، عراة، غرلاً، بهماً، فالحفاة يعني الذين ليس عليهم نعال، ولا خفاف، أي: أقدامهم عارية، والعراة: الذين ليس عليهم ثياب، والغرل: الذين لم يُختنوا، والبهم: الذين ليس معهم مال يحشرون كذلك، ولما حدث النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأنهم عراة قالت عائشة: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «**الأمر أعظم من ذلك**»[1]، أي من أن ينظر بعضهم إلى بعض، لأن الناس كل مشغول بنفسه، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيجب أن تؤمن بفتنة القبر، أي: بالاختبار الذي يكون للميت إذا دفن، وتولى عنه أصحابه، فإنه يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه، وتؤمن كذلك بأن القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار، أي: أن فيه العذاب أو الثواب، وتؤمن كذلك بالجنة والنار، وكل ما يتعلق باليوم الآخر؛ فإنه داخل في

(١) البخاري، برقم ٦٥٢٧، ومسلم، برقم ٢٨٥٩.

قولنا «**أن تؤمن بالله واليوم الآخر**»، والقدر: تقدير الله ﷻ يعني: يجب أن تؤمن بأن الله تعالى قدر كل شيء، وذلك أن الله خلق القلم، فقال له: «**اكتب، قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**»، إذاً فالإيمان في قوله: «**إلا الذين آمنوا**» يشمل الإيمان بالأصول الستة التي بينها الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الصفة الثانية: قوله تعالى: ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ فمعناه: أنهم قاموا بالأعمال الصالحة: من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وبر للوالدين، وصلة الأرحام وغير ذلك فلم يقتصروا على مجرد ما في القلب، بل عملوا وأنتجوا و«الصالحات» هي التي اشتملت على شيئين:

الأول: الإخلاص لله ﷻ.

والثاني: المتابعة للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وذلك أن العمل إذا لم يكن خالصاً لله فهو مردود، قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي الذي يرويه النبي ﷺ [أن الله قال]: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[1]، فلو قمت تصلي مراءاة للناس، أو تصدقت مراءاة للناس، أو طلبت العلم مراءاة للناس، أو وصلت الرحم مراءاة للناس، أو غير ذلك، فالعمل مردود حتى وإن كان صالحاً في ظاهره، كذلك الاتباع لو أنك عملت عملاً لم يعمله الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وتقربت به إلى الله مع الإخلاص لله؛ فإنه لا يقبل منك لأن النبي ﷺ قال: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2]، إذاً العمل الصالح ما جمع وصفين: الأول: الإخلاص لله ﷻ، والثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

الصفة الثالثة: ﴿**وتواصوا بالحق**﴾ أي: صار بعضهم يوصي بعضاً بالحق، والحق: هو الشرع، يعني كل واحد منهم يوصي الآخر إذا رآه مفرطاً في واجب، أوصاه وقال: يا أخي، قم بالواجب، إذا رآه فاعلاً لمحرم أوصاه، قال: يا أخي اجتنب الحرام، فهم لم يقتصروا على نفع أنفسهم، بل نفعوا أنفسهم وغيرهم.

---

(١) مسلم، برقم ٢٩٨٥.

(٢) مسلم، برقم ١٧١٨.

الصفة الرابعة: ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أي: يوصي بعضهم بعضاً بالصبر، والصبر حبس النفس عما لا ينبغي فعله، وقسمه أهل العلم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صبر على طاعة اللَّه.

القسم الثاني: صبر عن محارم اللَّه.

القسم الثالث: صبر على أقدار اللَّه.

الصبر على الطاعة، كثير من الناس يكون فيه كسل عن الصلاة مع الجماعة مثلاً: لا يذهب إلى المسجد، يقول: أصلي في البيت، وأديت الواجب فيكسل، فقال له: يا أخي أصبر نفسك، احبسها كلفها على أن تصلي مع الجماعة، كثير من الناس إذا رأى زكاة ماله كثيرة، شح، وبخل، وصار يتردد، أخرج هذا المال الكثير، أو أتركه وما أشبه ذلك، فيقال له: يا أخي اصبر نفسك على أداء الزكاة، وهكذا بقية العبادات؛ فإن العبادات كما قال اللَّه تعالى في الصلاة: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[البقرة: ٤٥]، أكثر عباد اللَّه تجد أن العبادات عليهم ثقيلة، فهم يتواصون بالصبر على الطاعة، كذلك الصبر عن المعصية بعض الناس مثلاً تجره نفسه إلى أكساب محرمة: إما بالربا، وإما بالغش، وإما بالتدليس، أو بغير ذلك من أنواع الحرام، فيقال له: اصبر يا أخي، أصبر نفسك لا تتعامل على وجه محرم، بعض الناس أيضاً يبتلى بالنظر إلى النساء، تجده ماشياً في السوق، وكل ما مرت امرأة أتبعها بصره، فيقال له: يا أخي اصبر نفسك عن هذا الشيء، ويتواصون على أقدار اللَّه، يصاب الإنسان بمرض في بدنه، يصاب الإنسان بفقد شيء من ماله، يصاب الإنسان بفقد أحبته، فيجزع، ويتسخط، ويتألم، فيتواصون فيما بينهم، اصبر يا أخي هذا أمر مقدر، والجزع لا يفيد شيئاً، واستمرار الحزن لا يرفع الحزن، إنسان امتحن بموت ابنه نقول: يا أخي اصبر، قدر أن هذا الابن لم يُخلق، ثم كما قال الرسول عَلَيهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لإحدى بناته: «**إن للَّه ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب**»[(١)]، الأمر كله للَّه ، فإذا أخذ اللَّه تعالى ملكه كيف تعتب على ربك؟ كيف تتسخط، فإن قيل: أي أنواع الصبر أشق على النفوس؟ فالجواب: هذا يختلف، فبعض الناس يشق

---

(١) البخاري، برقم ٦٦٠٢، ومسلم، برقم ٩٢٣.

عليه القيام بالطاعة، وتكون ثقيلة عليه جداً، وبعض الناس بالعكس الطاعة هينة عليه، لكن ترك المعصية صعب، شاق مشقة كبيرة، وبعض الناس يسهل عليه الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، لكن لا يتحمل الصبر على المصائب، يعجز حتى إنه قد تصل به الحال إلى أن يرتد، والعياذ بالله، كما قال الله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾ [الحج: ١١]، إذاً نأخذ من هذه السورة أن الله ﷻ أكد بالقسم المؤكد بـ«إن»، واللام أن جميع بني آدم في خسر، والخسر محيط بهم من كل جانب، إلا من اتصف بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لو لم ينزل الله على عباده حجة إلا هذه السورة لكفتهم»، يعني: كفتهم موعظة وحثاً على التمسك بالإيمان والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة، لكن كفتهم موعظة، فكل إنسان عاقل يعرف أنه في خُسر إلا إذا اتصف بهذه الصفات الأربع، فإنه سوف يحاول بقدر ما يستطيع أن يتصف بهذه الصفات الأربع، وإلى تخليص نفسه من الخسران، نسأل الله أن يجعلنا من الرابحين الموفقين، إنه على كل شيء قدير»[1].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣١١- ٣١٧.

١٠٤- تَفْسِيرُ سُورَةِ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)﴾

١- **الْهَمَّازُ**: بِالْقَوْلِ، وَاللَّمَّازُ: بِالْفِعْلِ، يَعْنِي: يَزْدَرِي بِالنَّاسِ، وَيَنْتَقِصُ بِهِمْ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ طَعَّانٍ مِعْيَابٍ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: الْهُمَزَة، يَهْمِزُهُ فِي وَجْهِهِ، وَاللُّمَزَةُ مِنْ خَلْفِهِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: هَمْزُهُ وَلَمْزُهُ بِلِسَانِهِ وَعَيْنِهِ، وَيَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ، ويطعنُ عَلَيْهِمْ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْهُمَزَةُ: بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ، واللمزةُ: بِاللِّسَانِ، وَهَكَذَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُمَزَة لُحُوم النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ، وَقِيلَ غَيْرُهُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هِيَ عَامَّةٌ[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَيْلٌ﴾ أي: وعيد، ووبال، وشدة عذاب ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله»[٢].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ في هذه السورة يبتدئ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بكلمة «ويل»، وهي كلمة وعيد، أي: أنها تدل على ثبوت وعيد لمن اتصف بهذه الصفات، ﴿همزة لمزة﴾ إلى آخره، وقيل: إن «**ويل**» اسم لوادٍ في جهنم، ولكن الأول أصح، ﴿لكل همزة لمزة﴾ كل من صيغ العموم، والهمزة واللمزة وصفان لموصوف واحد، فهل هما بمعنى واحد؟ أو يختلفان في المعنى؟ قال بعض العلماء: إنهما لفظان لمعنى واحد، يعني أن الهمزة هو اللمزة، وقال بعضهم: بل

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٣، وانظر: تفسير البغوي، ٤/ ٥٢٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٣.

لكل واحد منهما معنى غير المعنى الآخر، وثم قاعدة أحب أن أنبه عليها في التفسير، وغير التفسير، وهي: أنه إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد، أو لكل كلمة معنى، فإننا نجعل لكل واحدة معنى؛ لأننا إذا جعلنا الكلمتين بمعنى واحد صار في هذا تكرار لا داعي له، لكن إذا جعلنا كل واحدة لها معنى صار هذا تأسيسًا وتفريقًا بين الكلمتين، والصحيح في هذه الآية ﴿لكل همزة لمزة﴾ أن بينهما فرقًا: فالهمز: بالفعل، واللمز: باللسان، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، فالهمز بالفعل يعني أنه يسخر من الناس بفعله، إما أن يلوي وجهه، أو يعبس بوجهه، أو بالإشارة يشير إلى شخص، انظروا إليه ليعيبه، أو ما أشبه ذلك، فالهمز يكون بالفعل، واللمز باللسان، وبعض الناس، والعياذ بالله، مشغوف بعيب البشر، إما بفعله، وهو الهمَّاز، وإما بقوله، وهو اللمَّاز، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠-١١]»[١].

٢- ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ﴾، أَيْ: جَمَعَهُ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَحْصَى عَدَدَهُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [الْمَعَارِجِ: ١٨]، قَالَهُ السُّدِّيُّ، وَابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ﴾: أَلْهَاهُ مَالُهُ بِالنَّهَارِ، هَذَا إِلَى هَذَا، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ، نَامَ كَأَنَّهُ جِيفَةٌ[٢].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ... وَعَدَّدَهُ، أَحْصَاهُ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: اسْتَعَدَّهُ، وَادَّخَرَهُ، وَجَعَلَهُ عَتَادًا لَهُ، يُقَالُ: أَعْدَدْتُ الشَّيْءَ وَعَدَّدْتُهُ إِذَا أمسكته»[٣].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا همَّ له سوى جمع المال، وتعديده، والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات، وصلة الأرحام، ونحو ذلك»[٤].

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣١٨- ٣١٩.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٣.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٥٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٣.

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: « ﴿الذي جمع مالاً وعدده﴾ هذه أيضاً من أوصافه القبيحة جَمَّاع مَنَّاع، يجمع المال، ويمنع العطاء، فهو بخيل لا يعطي يجمع المال ويعدده، ﴿وعدده﴾، وقيل: معنى التعديد يعني الإحصاء، يعني لشغفه بالمال كل مرة يذهب إلى الصندوق ويعد، يعد الدراهم في الصندوق في الصباح، وفي آخر النهار يعدها، وهو يعرف أنه لم يأخذ منه شيئاً، ولم يضف إليه شيئاً، لكن لشدة شغفه بالمال يتردد عليه، ويعدده؛ ولهذا جاءت بصيغة المبالغة «عدده» يعني أكثر تعداده لشدة شغفه، ومحبته له يخشى أن يكون نقص، أو يريد أن يطمئن زيادة على ما سبق، فهو دائماً يعدد المال، وقيل: معنى «عدده» أي: جعله عُدة له يعني ادخره لنوائب الدهر، وهذا وإن كان اللفظ يحتمله، لكنه بعيد؛ لأن إعداد المال لنوائب الدهر مع القيام بالواجب بأداء ما يجب فيه من زكاة، وحقوق ليس مذموماً، وإنما المذموم أن يكون أكبر هم الإنسان هو المال، يتردد إليه ويعدده، وينظر هل زاد، هل نقص، فالقول بأن المراد عدده أي: جمعه، للمستقبل قول ضعيف»[1].

٣- ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾، أَيْ: يَظُنُّ أَنَّ جَمْعَهُ الْمَالَ يُخْلِدُهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ؟

٤- ﴿كَلَّا﴾ أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، وَلَا كَمَا حَسِبَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾، أَيْ: لَيُلْقَيَنَّ هَذَا الَّذِي جَمَعَ مَالًا فَعَدَّدَهُ فِي الْحُطْمَةِ، وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ صِفَةٌ؛ لِأَنَّهَا تُحَطِّمُ مَنْ فِيهَا[2].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «﴿يَحْسَبُ﴾ بجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ في الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه كله في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدر أن البخل يقصف الأعمار، ويخرب الديار، وأن البر يزيد في العمر»[3].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ يعني: يظن هذا الرجل أن ماله سيخلده، ويبقيه، إما بجسمه، وإما بذكره؛ لأن عمر الإنسان ليس ما

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣١٩.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٤.

بقي في الدنيا، بل عمر الإنسان حقيقة ما يخلده بعد موته، ويكون ذكراه في قلوب الناس، وعلى ألسنتهم، فيقول في هذه الآية: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ أي: أخلد ذكره، أو أطال عمره، والأمر ليس كذلك، فإن أهل الأموال إذا لم يُعرفوا بالبذل، والكرم، فإنهم يخلدون لكن بالذكر السيئ، فيقال: أبخل من فلان، وأبخل من فلان، ويذكر في المجالس ويعاب؛ ولهذا قال: ﴿كَلاّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ «كلا» هنا يسميها العلماء حرف ردع، أي: تردع هذا القائل، أو هذا الحاسب عن قوله، أو عن حسبانه، ويحتمل أن تكون بمعنى حقًّا «يعني: حقاً لينبذن»، وكلاهما صحيح، هذا الرجل لن يخلده ماله، ولن يخلد ذكراه، بل سينسى، ويطوى ذكره، وربما يذكر بالسوء لعدم قيامه بما أوجب الله عليه من البذل، ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ اللام هذه واقعة في جواب القسم المقدر، والتقدير: والله لينبذن في الحطمة، أي: يطرح طرحاً، وإذا قلنا: أن اللام لجواب القسم صارت هذه الجملة مؤكدة باللام، ونون التوكيد، والقسم المحذوف، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم، أي: تأكيد الشيء باليمين، واللام، والنون، والله تعالى يقسم بالشيء تأكيداً له وتعظيماً لشأنه، وقوله: ﴿لينبذن﴾ ما الذي يُنبذ هل هو صاحب المال، أو المال؟ كلاهما ينبذ، أما صاحب المال، فإن الله يقول في آية أخرى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، أي: يدفعون، وهنا يقول: «ينبذ» أي: يطرح في الحطمة، والحطمة هي التي تحطم الشيء، أي: تفتته وتكسره فما هي؟»[١].

٥- ٧- وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾، قَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ: تَحْرِقُهُمْ إِلَى الْأَفْئِدَةِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، ثُمَّ يَقُولُ: لَقَدْ بَلَغَ مِنْهُمُ الْعَذَابُ، ثُمَّ يَبْكِي.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: تَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ فُؤَادَهُ حَذْوَ حَلْقِهِ تَرْجِعُ عَلَى جَسَدِهِ.

٨- ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أَيْ: مُطْبَقَةٌ كَمَا تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْبَلَدِ.

٩- ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾، قَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: عَمَدٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَالَ السُّدِّي:

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٢٠.

مِنْ نَارٍ، وَقَالَ شَبِيبُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾، يَعْنِي: الْأَبْوَابُ هِيَ الْمَمْدُودَةُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدَّةٍ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَدْخَلَهُمْ فِي عَمَدٍ فَمُدَّتْ عَلَيْهِمْ بِعِمَادٍ، وَفِي أَعْنَاقِهِمُ السَّلَاسِلُ فَسَدَّتْ بِهَا الْأَبْوَابَ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: كُنَّا نُحَدِّثُ أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ فِي النَّارِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ يَعْنِي الْقُيُودَ الطِّوَالَ[١].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ﴾ أي: ليطرحن ﴿فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ تعظيم لها، وتهويل لشأنها، ثم فسرها بقوله: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ التي وقودها الناس والحجارة «الَّتِي» من شدتها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب، ومع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾، أي: مغلقة ﴿فِي عَمَدٍ﴾ من خلف الأبواب ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾ لئلا يخرجوا منها ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: « ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ وهذه الصيغة للتعظيم والتفخيم ﴿نار الله الموقدة﴾ هذا الجواب أي: هي نار الله الموقدة، وأضافها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى نفسه؛ لأنه يعذب بها من يستحق العذاب، فهي عقوبة عدل، وليست عقوبة ظلم، أي: نار يحرق الله بها من يستحق أن يُعذب بها، إذاً هي نار عدل، وليست نار ظلم؛ لأن الإحراق بالنار قد يكون ظلماً، وقد يكون عدلاً، فتعذيب الكافرين في النار لا شك أنه عدل، وأنه يُثنى به على الرب عَزَّ وَجَلَّ؛ حيث عامل هؤلاء بما يستحقون، وتأمل قوله: ﴿الحطمة﴾ مع فعل هذا الفاعل ﴿همزة لمزة﴾ حطمة، وهمزة لمزة، على وزن واحد ليكون الجزاء مطابقاً للعمل حتى في اللفظ ﴿نار الله الموقدة﴾ أي: المسجّرة المسعرة، ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ الأفئدة جمع فؤاد،

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٣٤)

وهو القلب، والمعنى: أنها تصل إلى القلوب، والعياذ بالله، من شدة حرارتها، مع أن القلوب مكنونة في الصدور، وبينها وبين الجلد الظاهر ما بينها من الطبقات لكن مع ذلك تصل هذه النار إلى الأفئدة، ﴿إنها عليهم﴾ أي: الحطمة، وهي نار الله الموقدة، أي: على الهمَّاز، واللمَّاز، الجمَّاع للمال المناع للخير، وأعاد الضمير بلفظ الجمع مع أن المرجع مفرد باعتبار المعنى، لأن ﴿لكل همزة﴾ عام يشمل جميع الهمَّازين، وجميع اللمَّازين ﴿مؤصدة﴾ أي: مغلقة، مغلقة الأبواب لا يُرجى لهم فرج، والعياذ بالله، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، يعني: يرفعون إلى أبوابها حتى يطمعوا في الخروج، ثم بعد ذلك يركسون فيها، ويعادون فيها، كل هذا لشدة التعذيب؛ لأن الإنسان إذا طمع في الفرج، وأنه سوف ينجو، ويخلص يفرح، فإذا أعيد صارت انتكاسة جديدة، فهكذا يعذبون بضمائرهم، وأبدانهم، وعذاب أهل النار مذكور مفصل في القرآن الكريم، والسنة النبوية، تأمل الآن لو أن إنسانًا كان في حجرة، أو في سيارة اتقدت النيران فيها، وليس له مهرب، الأبواب مغلقة ماذا يكون؟ في حسرة عظيمة، لا يمكن أن يماثلها حسرة، فهم، والعياذ بالله، هكذا في النار، النار عليهم مؤصدة ﴿في عمد ممددة﴾ أي: أن هذه النار مؤصدة، وعليها أعمدة ممدة، أي: ممدودة على جميع النواحي والزوايا حتى لا يتمكن أحد من فتحها، أو الخروج منها، حكى الله سبحانه وتعالى ذلك علينا، وبينه لنا في هذه السورة، لا لمجرد أن نتلوه بألسنتنا، أو نعرف معناه بأفهامنا، لكن المراد أن نحذر من هذه الأوصاف الذميمة: عيب الناس بالقول، وعيب الناس بالفعل، والحرص على المال حتى كأن الإنسان إنما خلق للمال ليخلد له، أو يخلد المال له، ونعلم أن من كانت هذه حاله، فإن جزاءه هذه النار التي هي كما وصفها الله، الحطمة، تطلع على الأفئدة، مؤصدة، في عمد ممدة، نسأل الله تعالى أن يجيرنا منها، وأن يرزقنا الإخلاص في القول، والعمل، والاستقامة على دينه»[1].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٢١- ٣٢٢.

١٠٥- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفِيلِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ(٥)﴾

١-٤-قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هَذِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي امْتَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى قُرَيْشٍ، فِيمَا صَرَفَ عَنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْفِيلِ، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى هَدْمِ الْكَعْبَةِ، وَمَحْوِ أَثَرِهَا مِنَ الْوُجُودِ، فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ، وَأَرْغَمَ آنَافَهُمْ، وَخَيَّبَ سَعْيَهُمْ، وَأَضَلَّ عَمَلَهُمْ، وَرَدهم بِشَرِّ خَيْبَةٍ، وَكَانُوا قَوْمًا نَصَارَى، وَكَانَ دِينُهُمْ إِذْ ذَاكَ أَقْرَبَ حَالًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِرْهَاصِ، وَالتَّوْطِئَةِ لِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وُلِدَ عَلَى أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ، [وكأنه قيل]... لَمْ نَنْصُرْكُمْ -يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ- عَلَى الْحَبَشَةِ لِخَيْرِيَّتِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ صِيَانَةً لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي سَنُشَرِّفُهُ، وَنُعَظِّمُهُ، وَنُوَقِّرُهُ بِبَعْثَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ»(١).

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ أي: أما رأيت من قدرة اللَّه، وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق رسوله محمد ﷺ، ما فعله اللَّه بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام، وأرادوا إخرابه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه، وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفًا على أنفسهم منهم، أرسل اللَّه عليهم طيرًا أبابيل، أي: متفرقة، تحمل حجارة محمّاة من سجيل، فرمتهم بها، وتتبعت قاصيهم ودانيهم، فخمدوا وهمدوا، وصاروا

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٥٥.

كعصف مأكول، وكفى اللَّه شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وقصتهم معروفة مشهورة، وكانت تلك السنة التي ولد فيها رسول اللَّه ﷺ، فصارت من جملة إرهاصات دعوته، ومقدمات رسالته، فلله الحمد والشكر»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ يخاطب اللَّه تعالى النبي ﷺ، أو يخاطب كل من يصحّ توجيه الخطاب إليه، فعلى الأول يكون خطاب النبي ﷺ خطاباً له وللأمة؛ لأن أمته تابعة له، وعلى الثاني يكون الخطاب عاماً له ولأمته، ابتداءً، وعلى كلٍّ فإن اللَّه تعالى يقرر ما فعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأصحاب الفيل، وأصحاب الفيل هم أهل اليمن الذين جاؤوا لهدم الكعبة بفيل عظيم، أرسله إليهم ملك الحبشة، وسبب ذلك أن ملك اليمن أراد أن يصد الناس عن الحج إلى الكعبة، بيت اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فبنى بيتاً يشبه الكعبة، ودعا الناس إلى حجه؛ ليصدهم عن حج بيت اللّه، فغضب لذلك العرب، وذهب رجل منهم إلى هذا البيت الذي جعله ملك اليمن بدلاً عن الكعبة، وتغوَّط فيه، ولطخ جدرانه بالقذر، فغضب ملك اليمن غضباً شديداً، وأخبر ملك الحبشة بذلك، فأرسل إليه هذا الفيل العظيم، قيل: وكان معه ستة فيلة لتساعده، فجاء ملك اليمن بجنوده ليهدم الكعبة على زعمه، ولكن اللَّه سبحانه حافظ بيته، فلما وصلوا إلى مكان يسمى المغمَّس، وقف الفيل وحرن، وأبى أن يتجه إلى الكعبة، فزجره سايسه، ولكنه أبى، فإذا وجّهوه إلى اليمن انطلق يهرول، وإن وجّهوه إلى مكة وقف، وهذه آية من آيات اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، ثم بقوا حتى أرسل اللَّه عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ قال العلماء: ﴿طيراً أبابيل﴾ يعني: جماعات متفرقة، كل طير في منقاره حجر صلب ﴿من سجيل﴾، وهو الطين المشوي؛ لأنه يكون أصلب، وهذا الحجر ليس كبيراً، بل هو صغير، يضرب الواحد من هؤلاء مع رأسه، ويخرج من دبره، والعياذ بالله، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٤.

أي: كزرع أكلته الدواب، ووطئته بأقدامها حتى تفتَّتَ.

هذا مجمل هذه السورة العظيمة التي بيّن الله ﷻ فيها ما فعل بأصحاب الفيل، وأن كيدهم صار في نحورهم، وهكذا كل من أراد الحق بسوء، فإن الله تعالى يجعل كيده في نحره، وإنما حمى الله ﷻ الكعبة عن هذا الفيل، مع أنه في آخر الزمان سوف يُسلط عليها رجل من الحبشة، يهدمها حجراً حجراً، حتى تتساوى بالأرض؛ لأن قصة أصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول محمد ﷺ التي يكون فيها تعظيم البيت، أما في آخر الزمان؛ فإن أهل البيت إذا أهانوه، وأرادوا فيه بإلحاد بظلم، ولم يعرفوا قدره، حينئذ يسلط الله عليهم من يهدمه، حتى لا يبقى على وجه الأرض، ولهذا يجب على أهل مكة خاصة أن يحترزوا من المعاصي، والذنوب، والكبائر؛ لئلا يُهينوا الكعبة فيذلهم الله ﷻ، نسأل الله تعالى أن يحمي ديننا، وبيته الحرام من كيد كل كائد، إنه على كل شيء قدير»[١].

وَهَذِهِ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ عَلَى وَجْهِ الْإِيجَازِ، وَالِاخْتِصَارِ، وَالتَّقْرِيبِ[٢]، قَدْ تَقَدَّمَ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ أَنَّ ذَا نُوَاس، وَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ حِمْيَرَ، وَكَانَ مُشْرِكًا، هُوَ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ، وَكَانُوا نَصَارَى، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ عِشْرِينَ أَلْفًا، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا دَوس ذُو ثَعْلَبَانِ، فَذَهَبَ فَاسْتَغَاثَ بِقَيْصَرَ مَلِكِ الشَّامِ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، فَكَتَبَ لَهُ إِلَى النَّجَاشِيّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ؛ لِكَوْنِهِ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثَ مَعَهُ أَمِيرَيْنِ: أَرِيَاطَ، وَأَبْرَهَةَ بْنَ الصَّبَاحِ أَبَا يَكْسُومَ، فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ، فَدَخَلُوا الْيَمَنَ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَاسْتَلَبُوا الْمُلْكَ مِنْ حِمْيَرَ، وَهَلَكَ ذُو نُوَاسٍ غَرِيقًا فِي الْبَحْرِ، وَاسْتَقَلَّ الْحَبَشَةُ بِمُلْكِ الْيَمَنِ، وَعَلَيْهِمْ هَذَانَ الْأَمِيرَانِ: أَرِيَاطُ، وَأَبْرَهَةُ، فَاخْتَلَفَا فِي أَمْرِهِمَا، وَتَصَاوَلَا، وَتَقَاتَلَا، وَتَصَافَّا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: إِنَّهُ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى اصْطِدَامِ الْجَيْشَيْنِ بَيْنَنَا، وَلَكِنِ ابْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزُ إِلَيْكَ، فَأَيُّنَا قَتَلَ الْآخَرَ، اسْتَقَلَّ بَعْدَهُ بِالْمُلْكِ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ فَتَبَارَزَا، وخَلَفَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَنَاةٌ، فَحَمَلَ أَرِيَاطُ عَلَى أَبْرَهَةَ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَشَرَمَ أَنْفَهُ، وَفَمَهُ، وَشَقَّ وَجْهَهُ، وَحَمَلَ

---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٢٤.

(٢) انظر قصة أصحاب الفيل بالتفصيل في: سيرة ابن هشام، ١/ ٤٥، وتاريخ الطبري، ٢/ ١٣١، والبداية والنهاية للإمام ابن كثير، ٢/ ١٦٩.

عَتَوْدَة مَوْلَى أَبْرَهَةَ عَلَى أَرِيَاطَ فَقَتَلَهُ، وَرَجَعَ أَبْرَهَةُ جَرِيحًا، فَدَاوَى جُرْحَهُ فَبَرأ، وَاسْتَقَلَّ بِتَدْبِيرِ جَيْشِ الْحَبَشَةِ بِالْيَمَنِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ يَلُومُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ، وَيَتَوَعَّدُهُ وَيَحْلِفُ لَيَطَأَنَّ بِلَادَهُ وَيَجِزَّنَّ نَاصِيَتَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبْرَهَةُ يَتَرَقَّقُ لَهُ وَيُصَانِعُهُ، وَبَعَثَ مَعَ رَسُولِهِ بِهَدَايَا وَتُحَفٍ، وَبِجِرَابٍ فِيهَا مِنْ تُرَابِ الْيَمَنِ، وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ، وَأَرْسَلَهَا مَعَهُ، وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: لِيَطَأَ الْمَلِكُ عَلَى هَذَا الْجِرَابِ فَيَبَرُّ قَسَمَهُ، وَهَذِهِ نَاصِيَتِي قَدْ بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ، فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ أَعْجَبَهُ مِنْهُ، وَرَضِيَ عَنْهُ، وَأَقَرَّهُ عَلَى عَمَلِهِ، وَأَرْسَلَ أَبْرَهَةُ يَقُولُ لِلنَّجَاشِيّ: إِنِّي سَأَبْنِي لَكَ كَنِيسَةً بِأَرْضِ الْيَمَنِ لَمْ يُبْنَ قَبْلَهَا مِثْلُهَا، فَشَرَعَ فِي بِنَاءِ كَنِيسَةٍ هَائِلَةٍ بِصَنْعَاءَ، رَفِيعَةَ الْبِنَاءِ، عَالِيَةَ الْفِنَاءِ، مُزَخْرَفَةَ الْأَرْجَاءِ، سَمَّتْهَا الْعَرَبُ: «الْقُلَّيس»؛ لِارْتِفَاعِهَا؛ لِأَنَّ النَّاظِرَ إِلَيْهَا تَكَادُ تَسْقُطُ قُلُنْسُوَتُهُ عَنْ رَأْسِهِ مِنَ ارْتِفَاعِ بِنَائِهَا، وَعَزَمَ أَبْرَهَةُ الْأَشْرَمُ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ حَجَّ الْعَرَبِ إِلَيْهَا كَمَا يُحَج إِلَى الْكَعْبَةِ بِمَكَّةَ، وَنَادَى بِذَلِكَ فِي مَمْلَكَتِهِ، فَكَرِهَتِ الْعَرَبُ الْعَدْنَانِيَّةُ وَالْقَحْطَانِيَّةُ ذَلِكَ، وَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ لِذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، حَتَّى قَصَدَهَا بَعْضُهُمْ، وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ دَخَلَهَا لَيْلًا، فَأَحْدَثَ فِيهَا[1] وَكَرَّ رَاجِعًا، فَلَمَّا رَأَى السَّدَنَةُ ذَلِكَ الْحَدَثَ، رَفَعُوا أَمْرَهُمْ إِلَى مَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا صَنَعَ هَذَا بَعْضُ قُرَيْشٍ غَضَبًا لِبَيْتِهِمُ الَّذِي ضَاهَيْتَ هَذَا بِهِ، فَأَقْسَمَ أَبْرَهَةُ لَيَسِيرَنَّ إِلَى بَيْتِ مَكَّةَ، وَلَيُخَرِّبَنَّهُ حَجَرًا حَجَرًا.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّ فِتْيَةً مِنْ قُرَيْشٍ دَخَلُوهَا، فَأَجَّجُوا فِيهَا نَارًا، وَكَانَ يَوْمًا فِيهِ هَوَاءٌ شَدِيدٌ فَأَحْرَقَتْهُ، وَسَقَطَتْ إِلَى الْأَرْضِ.

فَتَأَهَّبَ أَبْرَهَةُ لِذَلِكَ، وَصَارَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ عَرَمْرَمٍ؛ لِئَلَّا يَصُدَّهُ أَحَدٌ عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَ مَعَهُ فِيلًا عَظِيمًا كَبِيرَ الْجُثَّةِ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ، يُقَالُ لَهُ: مَحْمُودٌ، وَكَانَ قَدْ بَعَثَهُ إِلَيْهِ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ لِذَلِكَ، وَيُقَالُ: كَانَ مَعَهُ أَيْضًا ثَمَانِيَةُ أَفْيَالٍ، وَقِيلَ: اثْنَا عَشَرَ فِيلًا، وَقِيلَ غَيْرُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ يَعْنِي لِيَهْدِمَ بِهِ الْكَعْبَةَ، بِأَنْ يَجْعَلَ السَّلَاسِلَ فِي الْأَرْكَانِ، وَتُوضَعَ فِي عُنُقِ الْفِيلِ، ثُمَّ يُزْجَرَ لِيُلْقِيَ الْحَائِطَ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

فَلَمَّا سَمِعَتِ الْعَرَبُ بِمَسِيرِهِ أَعْظَمُوا ذَلِكَ جِدًّا، وَرَأَوْا أَنَّ حَقًّا عَلَيْهِمُ

---

(١) أحدث فيها: أي: قضى حاجته فيها بالبول والغائط.

الْمُحَاجَبَةُ دُونَ الْبَيْتِ، وَرَد مَنْ أَرَادَهُ بِكَيْدٍ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَمُلُوكِهِمْ، يُقَالُ لَهُ «ذُو نَفْر»، فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنْ سَائِرِ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ أَبْرَهَةَ، وَجِهَادِهِ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ، وَمَا يُرِيدُه مِنْ هَدْمِهِ وَخَرَابِهِ، فَأَجَابُوهُ، وَقَاتَلُوا أَبْرَهَةَ، فَهَزَمَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ كَرَامَةِ الْبَيْتِ وَتَعْظِيمِهِ، وَأُسِرَ «ذُو نُفْر»، فَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ، ثُمَّ مَضَى لِوَجْهِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَرْضِ خَثْعَمٍ، عَرَضَ لَهُ نُفَيل بْنُ حَبِيب الخَثْعمي فِي قَوْمِهِ: شَهْرَانُ وَنَاهِسُ، فَقَاتَلُوهُ، فَهَزَمَهُمْ أَبْرَهَةُ، وَأُسِرَ نُفَيل بْنُ حَبِيبٍ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ ثُمَّ عَفَا عَنْهُ، وَاسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ لِيَدُلَّهُ فِي بِلَادِ الْحِجَازِ.

فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرْضِ الطَّائِفِ، خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهَا ثَقِيفٌ، وَصَانَعُوهُ خِيفَةً عَلَى بَيْتِهِمْ، الَّذِي عِنْدَهُمْ، الَّذِي يُسَمُّونَهُ اللَّاتَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَبَعَثُوا مَعَهُ «أَبَا رِغَال» دَلِيلًا، فَلَمَّا انْتَهَى أَبْرَهَةُ إِلَى «الْمُغَمّس»، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَكَّةَ، نَزَلَ بِهِ، وَأَغَارَ جَيْشُهُ عَلَى سَرْح أَهْلِ مَكَّةَ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهَا، فَأَخَذُوهُ، وَكَانَ فِي السَّرْحِ مِائَتَا بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ الَّذِي أَغَارَ عَلَى السَّرْحِ بِأَمْرِ أَبْرَهَةَ أَمِيرِ الْمُقَدّمَةِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: «الْأَسْوَدُ بْنُ مَفْصُودٍ»، فَهَجَاهُ بَعْضُ الْعَرَبِ، فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَبَعَثَ أَبْرَهَةُ حُنَاطَةَ الْحِمْيَرِيَّ إِلَى مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَشْرَفِ قُرَيْشٍ، وَأَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَجِئْ لِقِتَالِكُمْ إِلَّا أَنْ تَصُدوه عَنِ الْبَيْتِ، فَجَاءَ حُنَاطَةُ فَدُل عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَبَلَّغَهُ عَنْ أَبْرَهَةَ مَا قَالَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ، وَمَا لَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ، هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامُ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ، فَإِنْ يَمْنَعْهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمُهُ، وَإِنْ يُخَلِّي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْع عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ حُنَاطَةُ: فَاذْهَبْ مَعِي إِلَيْهِ، فَذَهَبَ مَعَهُ، فَلَمَّا رَآهُ أَبْرَهَةُ أَجَلَّهُ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ رَجُلًا جَمِيلًا حَسَنَ الْمَنْظَرِ، وَنَزَلَ أَبْرَهَةُ عَنْ سَرِيرِهِ، وَنَزَلَ مَعَهُ عَلَى الْبِسَاطِ، وَقَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ لِلتُّرْجُمَانِ: إِنَّ حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مِائَتَيْ بَعِيرٍ أَصَابَهَا لِي، فَقَالَ أَبْرَهَةُ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ: لَقَدْ كُنْتَ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ، ثُمَّ قَدْ زَهِدت فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي، أَتُكَلِّمُنِي فِي مِائَتَيْ بَعِيرٍ أَصَبْتُهَا لَكَ، وَتَتْرُكُ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ، قَدْ جِئْتُ لِهَدْمِهِ، لَا تُكَلِّمُنِي فِيهِ؟! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رِبًّا سَيَمْنَعُهُ، قَالَ: مَا كَانَ لِيَمْتَنِعَ مِنِّي! قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ.

وَيُقَالُ: إِنَّهُ ذَهَبَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، فَعَرَضُوا عَلَى أَبْرَهَةَ ثُلْثَ أَمْوَالِ تِهَامَةَ، عَلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنِ الْبَيْتِ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، وَرَدَّ أَبْرَهَةُ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِبِلَهُ، وَرَجَعَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى قُرَيْشٍ، فَأَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالتَّحَصُّنِ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ، تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ، ثُمَّ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ، وَقَامَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَدْعُونَ اللَّهَ، وَيَسْتَنْصِرُونَهُ عَلَى أَبْرَهَةَ وَجُنْدِهِ، وَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ آخِذٌ بِحَلْقَةِ بَابِ الْكَعْبَةِ:

لاهُمَّ إنَّ المرء يمـ ... ـنَعُ رَحْلَه فامْنع رِحالَك[1]
لَا يغلبنَّ صَليبُهم ... ومحَالُهم غَدْوًا مِحالك

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَرْسَلَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَلْقَة الْبَابِ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى رُءُوسِ الْجِبَالِ.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَنَّهُمْ تَرَكُوا عِنْدَ الْبَيْتِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدة، لَعَلَّ بَعْضُ الْجَيْشِ يَنَالُ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقٍّ، فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبْرَهَةُ تَهَيَّأَ لِدُخُولِ مَكَّةَ، وَهَيَّأَ فِيلَهُ، وَكَانَ اسْمُهُ مَحْمُودًا، وَعَبَّأَ جَيْشَهُ، فَلَمَّا وَجَّهُوا الْفِيلَ نَحْوَ مَكَّةَ أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ وَقَالَ: ابْرُكْ مَحْمُودُ، وَارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، ثُمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ، فَبَرَكَ الْفِيلُ، وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَشتد حَتَّى أَصْعِدَ فِي الْجَبَلِ، وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَى، فَضَرَبُوا فِي رَأْسِهِ بِالطَّبرزين، وَأَدْخَلُوا مَحَاجِنَهُمْ فِي مَرَاقه، وَبَزَغُوهُ بِهَا لِيَقُومَ، فَأَبَى، فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ يُهَرْوِلُ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الشَّامِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى مَكَّةَ فَبَرَكَ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ وَالْبَلَسَانِ، مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا: حَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ، وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، أَمْثَالُ الْحُمصِ وَالْعَدَسِ، لَا تُصِيبُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَتْ، وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَبْتَدِرُونَ الطَّرِيقَ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلٍ لِيَدُلَّهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، هَذَا وَنُفَيْلٌ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ مَعَ قُرَيْشٍ وَعَرَبِ الْحِجَازِ، يَنْظُرُونَ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ مِنَ النِّقْمَةِ، وَجَعَلَ نُفَيْلٌ يقول:

(١) ابن هشام، والمنمق في أخبار قريش، ص ٧٦ بلفظ: «فامنع رحالك»، ومثلها في مروج الذهب، ٢/ ١٠٥، والكامل في التاريخ، ١/ ٣٤٤، ٣٤٤، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٢/ ١٢٥، والبداية والنهاية، ٢/ ١٧٢.

أيـــنَ المَفَـــرُّ؟ والإلـــهُ الغَالـــب والأشــرمُ المغلــوبُ غَيْــرُ الْغَالِــبْ

... وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ، وَغَيْرُهُ: لَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَهُ الْعَذَابُ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ هَلَكَ سَرِيعًا، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ يَتَسَاقَطُ عُضْوًا عُضْوًا وَهُمْ هَارِبُونَ، وَكَانَ أَبْرَهَةُ مِمَّنْ يَتَسَاقَطُ عُضْوًا عُضْوًا، حَتَّى مَاتَ بِبِلَادِ خَثْعَمٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجُوا يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيَهْلَكُونَ عَلَى كُلِّ مَنْهَلٍ، وَأُصِيبَ أَبْرَهَةُ فِي جَسَدِهِ، وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ يَسْقُطُ أَنْمُلَة أَنْمُلَة، حَتَّى قَدِمُوا بِهِ صَنْعَاءَ، وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطَّائِرِ، فَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ فِيمَا يَزْعُمُونَ.

وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابُوا مَالًا جَزِيلًا مِنْ أَسْلَابِهِمْ، وَمَا كَانَ مَعَهُمْ، وَأَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَصَابَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الذَّهَبِ مَا مَلأَ حُفْرَةً.

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ: أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ أَوَّلَ مَا رُؤِيَتِ الحَصبة والجُدري بِأَرْضِ الْعَرَبِ ذَلِكَ الْعَامَ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَا رُؤِيَ بِهِ مَرائر الشَّجَرِ الحَرْمل، وَالْحَنْظَلِ والعُشر، ذَلِكَ الْعَامُ.

وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ عِكْرِمَةَ، مِنْ طَرِيقٍ جَيِّدٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ كَانَ فِيمَا يَعُد بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ مِنْ نعْمته عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِ، مَا رَدَّ عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ الْحَبَشَةِ، لِبَقَاءِ أَمْرِهِمْ وَمُدَتِهِمْ، فَقَالَ: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾**، **﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾** [سُورَةُ قُرَيْشٍ]، أَيْ: لِئَلَّا يُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ حَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ لَوْ قَبِلُوهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَبَابِيلُ: الْجَمَاعَاتُ، وَلَمْ تَتَكَلَّمِ الْعَرَبُ بِوَاحِدَةٍ، قَالَ: وَأَمَّا السِّجِّيلُ، فَأَخْبَرَنِي يُونُسُ النَّحْوِيُّ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الشَّدِيدُ الصُّلْبُ، قَالَ: وَذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ بِالْفَارِسِيَّةِ، جَعَلَتْهُمَا الْعَرَبُ كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هُوَ سَنْجُ وَجِلُّ يَعْنِي بِالسَّنْجِ: الْحَجَرَ، وَالْجِلِّ: الطِّينُ، يَقُولُ: الْحِجَارَةُ مِنْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ: الْحَجَرِ وَالطِّينِ، قَالَ: والعصفُ: ورقُ الزَّرْعِ الَّذِي لَمْ يُقضب، وَاحِدَتُهُ عَصْفَةٌ. انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ.

وَقَدْ قَالَ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ: عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ،: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قَالَ: الْفِرَقُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ: أَبَابِيلُ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَقَتَادَةُ: الْأَبَابِيلُ: الْكَثِيرَةُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَبَابِيلُ: شَتَّى مُتَتَابِعَةٌ مُجْتَمِعَةٌ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْأَبَابِيلُ: الْمُخْتَلِفَةُ، تَأْتِي مِنْ هَاهُنَا، وَمِنْ هَاهُنَا، أَتَتْهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: سَمِعْتُ النَّحْوِيِّينَ يَقُولُونَ: أَبُّولُ مِثْلُ الْعُجُّولِ، قَالَ: وَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ النَّحْوِيِّينَ يَقُولُ: وَاحِدُ الْأَبَابِيلِ: إِبِّيلٌ.

وروى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ؛ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، هي: الأقاطيع، كالإبل المؤبلة...[1].

وَعَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قَالَ: لَهَا خَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الطَّيْرِ، وَأَكُفٌّ كَأَكُفِّ الْكِلَابِ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾، قَالَ: كَانَتْ طَيْرًا خُضْرًا خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، لَهَا رُؤُوسٌ كَرُؤُوسِ السِّبَاعِ.

وَعَنْ عبيد بن عُمَيْرٍ: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ قَالَ: هِيَ طَيْرٌ سُودٌ بَحْرِيَّةٌ، فِي مِنْقَارِهَا وَأَظَافِيرِهَا الْحِجَارَةُ، وَهَذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ[2].

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: كَانَتْ طَيْرًا خُضْرًا لَهَا مَنَاقِيرُ صُفْرٌ، تَخْتَلِفُ عَلَيْهِمْ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ: كَانَتِ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ مِثْلَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا عَنْقَاءُ مُغْرِب، رَوَاهُ عَنْهُمُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ، بَعَثَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أُنْشِئَتْ مِنَ الْبَحْرِ، أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ، كُلُّ طَيْرٍ مِنْهَا تَحْمِلُ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ مُجَزَّعَةٍ: حَجَرَيْنِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجَرًا فِي مِنْقَارِهِ، قَالَ: فَجَاءَتْ حَتَّى صُفَّتْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، ثُمَّ صَاحَتْ وَأَلْقَتْ مَا فِي أَرْجُلِهَا وَمَنَاقِيرِهَا، فَمَا يَقَعُ حَجَرٌ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ إِلَّا خَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ، وَلَا يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ إِلَّا خَرَجَ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ، وَبَعَثَ اللَّهُ

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٠٦.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٠٧، وانظر: تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦١.

رِيحًا شَدِيدَةً، فَضَرَبَتِ الْحِجَارَةَ، فَزَادَتْهَا شِدَّةً فَأُهْلِكُوا جَمِيعًا[١].

وَقَالَ السُّدِّي، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾، قَالَ: طِينٌ فِي حِجَارَةٍ: «سَنْكُ -وَكِلُّ»[٢].

٥- وَقَوْلُهُ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: يَعْنِي التِّبْنَ الَّذِي تسميه العامة: هَبُّور، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ سَعِيدٍ: وَرَقُ الْحِنْطَةِ، وَعَنْهُ أَيْضًا: الْعَصْفُ: التِّبْنُ، وَالْمَأْكُولُ: الْقَصِيلُ يُجَزُّ لِلدَّوَابِّ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: الْعَصْفُ: الْقِشْرَةُ الَّتِي عَلَى الْحَبَّةِ، كَالْغُلَافِ عَلَى الْحِنْطَةِ.

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ، وَوَرَقُ الْبَقْلِ، إِذَا أَكَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَرَاثَتْهُ، فَصَارَ دَرِينًا.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَرَدَّهُمْ بِكَيْدِهِمْ وَغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَأَهْلَكَ عَامَّتَهُمْ، وَلَمْ يَرْجِعْ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا وَهُوَ جَرِيحٌ، كَمَا جَرَى لِمَلِكِهِمْ أَبْرَهَةَ، فَإِنَّهُ انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ حِينَ وَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ صَنْعَاءَ، وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا جَرَى لَهُمْ، ثُمَّ مات، فملك بعده ابنه يَكْسُومُ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ أَخُوهُ مَسْرُوقُ بْنُ أَبْرَهَةَ، ثُمَّ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ الْحِمْيَرِيُّ إِلَى كِسْرَى، فَاسْتَغَاثَهُ عَلَى الْحَبَشَةِ، فَأَنْفَذَ مَعَهُ مِنْ جُيُوشِهِ فَقَاتَلُوا مَعَهُ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مُلْكَهُمْ، وَمَا كَانَ فِي آبَائِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ، وَجَاءَتْهُ وُفُودُ الْعَرَبِ لِلتَّهْنِئَةِ.

وَقَدْ روى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ بِمَكَّةَ أَعْمَيَيْنِ مُقْعَدَين، يَسْتَطْعِمَانِ، وَرَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ، عَنْ عَائِشَةَ مِثْلَهُ، وَرَوَاهُ أَيْضًا عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَا مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ...[٣].

ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ شَيْئًا مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ، فِيمَا كَانَ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْفِيلِ، وَمِنْ ذَلِكَ الشعر شِعْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزِّبَعْرِيّ... .[٤]:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ، إِنَّهَا كانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَام حَريمها

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٦٦.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦١.
(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٢.
(٤) سيرة ابن هشام، ١/ ٥٧.

لَـمْ تُخلَـق الشِّـعرَى لَيَـالِيَ حُرِّمـتْ ... إذْ لَا عزيـزَ مِـنَ الْأنَـامِ يَرُومهـا
سَـائِلْ أميـرَ الْجَـيْشِ عَنْهَـا: مَـا رَأى؟ ... فلسـوف يُنبـي الْجَـاهِلِينَ عَلَيْمُهَـا
سـتونَ ألْفًـا لَـمْ يَؤُوبُـوا أرَضـهـم ... بَـلْ لَـمْ يَعِـشْ بَعْـدَ الإيَـابِ سَـقِيمُهَا
كانـتْ بِهَـا عـادٌ وجُـرْهُم قَـبْلَهَمُ ... والله مِـنْ فَـوْقِ الْعِبَـادِ يُقيمهـا(١)

[وَ] فِي تَفْسِيرِ «سُورَةِ الْفَتْحِ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَطَلَّ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى الثَّنِيَّةِ الَّتِي تَهْبِطُ بِهِ عَلَى قُرَيْشٍ، بَرَكَتْ نَاقَتُهُ، فَزَجَرُوهَا فألحَّت، فَقَالُوا: خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، أَيْ: حَرَنت. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطَّةً يُعَظمون فِيهَا حُرُمات اللَّهِ، إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهَا**»، ثُمَّ زَجَرَهَا فَقَامَتْ(٢).

وَثبتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهُ قَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب**»(٣) [والله ﷻ أعلم] (٤).



---
(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٥٧.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢.
(٣) صحيح البخاري، برقم ١١٢، وصحيح مسلم، برقم ١٣٥٥.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٤.

١٠٦- تَفْسِيرُ سُورَةِ لإِيلافِ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (١) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)﴾

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هَذِهِ السُّورَةُ مَفْصُولَةٌ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ، كَتَبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، وَإِنْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِمَا قَبْلَهَا، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى عِنْدَهُمَا: حَبَسْنَا عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَأَهْلَكْنَا أَهْلَهُ ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾، أَيْ: لِائْتِلَافِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ فِي بَلَدِهِمْ آمِنِينَ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَأْلَفُونَهُ مِنَ الرِّحْلَةِ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ فِي الْمَتَاجِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى بَلَدِهِمْ آمِنِينَ فِي أَسْفَارِهِمْ؛ لِعَظَمَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ؛ لِكَوْنِهِمْ سُكَّانَ حَرَمِ اللَّهِ، فَمَنْ عَرَفهم احْتَرَمَهُمْ، بَلْ مَنْ صُوفِيَ إِلَيْهِمْ، وَسَارَ مَعَهُمْ أَمِنَ بِهِمْ، هَذَا حَالُهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ، وَرِحْلَتِهِمْ فِي شِتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ، وَأَمَّا فِي حَالِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْبَلَدِ، فَكَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧]، وَلِهَذَا قَالَ:

١-٢- ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾، بَدَلٌ مِنَ الْأَوَّلِ، وَمُفَسِّرٌ لَهُ؛ ولهذا قال: ﴿إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾»[1].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها، أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل؛ لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب، فأهلك اللَّه من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب، حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي سفر أرادوا»[2].

وَقَالَ الإمام ابْنُ جريرٍ: الصَّوَابُ أَنَّ اللَّامَ لَامُ التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٤.

اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، وَنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، قَالَ: وَذَلِكَ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُمَا سُورَتَانِ مُنْفَصِلَتَانِ مُسْتَقِلَّتَانِ»[1].

وقال **الإمام البغوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**لِإِيلَافِ**﴾ تَتَعَلَّقُ بِالسُّورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَّرَ أَهْلَ مَكَّةَ عَظِيمَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا صَنَعَ بِالْحَبَشَةِ، وَقَالَ: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ**﴾، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، أَيْ: يُرِيدُ إِهْلَاكَ أَهْلِ الْفِيلِ لِتَبْقَى قُرَيْشٌ، وَمَا أَلِفُوا مِنْ رِحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَلِفُوا ذَلِكَ، فَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

وَالْعَامَّةُ عَلَى أَنَّهُمَا سُورَتَانِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْعِلَّةِ الْجَالِبَةِ لِلَّامِ فِي قَوْلِهِ ﴿**لِإِيلَافِ**﴾، قَالَ الْكِسَائِيُّ، وَالْأَخْفَشُ: هِيَ لَامُ التَّعَجُّبِ، يَقُولُ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ، كَمَا تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: لِزَيْدٍ، وَإِكْرَامِنَا إِيَّاهُ، عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ: اعْجَبُوا لِذَلِكَ، وَالْعَرَبُ إِذَا جَاءَتْ بِهَذِهِ اللَّامِ اكْتَفَوْا بِهَا دَلِيلًا عَلَى التَّعَجُّبِ مِنْ إِظْهَارِ الْفِعْلِ مِنْهُ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هِيَ مَرْدُودَةٌ إِلَى مَا بَعْدَهَا تَقْدِيرُهُ: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ لِإِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لِنِعْمَتِي عَلَى قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ هُمْ وَلَدُ النَّضِرِ بْنِ كِنَانَةَ، وَكُلُّ مَنْ وَلَدَهُ النَّضْرُ فَهُوَ قُرَشِيٌّ، وَمَنْ لَمْ يَلِدْهُ النَّضْرُ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ، وعن وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[2].

وَسُمُّوا قُرَيْشًا مِنَ الْقَرْشِ، وَالتَّقَرُّشِ وَهُوَ التَّكَسُّبُ وَالْجَمْعُ، يُقَالُ: فَلَانٌ يَقْرِشُ لِعِيَالِهِ وَيَقْتَرِشُ أَيْ: يَكْتَسِبُ، وَهُمْ كَانُوا تُجَّارًا حُرَّاصًا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَالْإِفْضَالِ، وَقَالَ أَبُو رَيْحَانَةَ: سَأَلَ مُعَاوِيَةُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ: لِمَ سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا؟ قَالَ: لِدَابَّةٍ تَكُونُ فِي الْبَحْرِ مِنْ أَعْظَمِ دَوَابِّهِ، يُقَالُ لَهَا الْقِرْشُ، لَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ مِنَ الْغَثِّ وَالسَّمِينِ إِلَّا أَكَلَتْهُ، وَهِيَ تَأْكُلُ، وَلَا تُؤْكَلُ، وَتَعْلُو وَلَا تُعْلَى،

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٢١.

(٢) مسلم، برقم ٢٣٧٦.

قَالَ: وَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِهَا؟ قَالَ: نعم، فأنشده شِعْرَ الْجُمَحِيّ:

وقُـرَيْشٌ هِـيَ الّتِـي تَسْـكُنُ الْبَحْـرَ	بِهَـــا سُـــمِّيَتْ قُـــرَيْشٌ قُرَيْشَـــا
سُـلِّطَتْ بِـالعُلُوّ فِـي لُجَّـةِ الْبَحْـرِ	عَلَـــى سَـــائِرِ الْبُحُـــورِ جُيُوشَـــا
تَأْكُـلُ الْغَـثَّ وَالسَّـمِينَ وَلَا تَتْـرُكْ	فِيـــهِ لِـــذِي الْجَنَـــاحَيْنِ رِيشَـــا
وَلَهُـمْ فِـي آخِـرِ الزَّمَـانِ نَبِـيٌّ	يُكْثِـــرُ الْقَتْـــلَ فِـــيهِمْ وَالْخُمُوشَـــا

﴿إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيلَافِهِمْ﴾ بَدَلٌ مِنَ الْإِيلَافِ الْأَوَّلِ ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ «رِحْلَةَ» نَصْبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيِ ارْتِحَالَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، رَوَى عِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانُوا يُشْتُونَ بِمَكَّةَ وَيُصِيفُونَ بِالطَّائِفِ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُقِيمُوا بِالْحَرَمِ، وَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، وَقَالَ الْآخَرُونَ: كَانَتْ لَهُمْ رِحْلَتَانِ فِي كُلِّ عَامٍ لِلتِّجَارَةِ، إِحْدَاهُمَا فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ؛ لِأَنَّهَا أَدْفَأُ، وَالْأُخْرَى فِي الصَّيْفِ إِلَى الشام، وَكَانَ الْحَرَمُ وَادِيًا جَدْبًا، لَا زَرْعَ فِيهِ، وَلَا ضَرْعَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَعِيشُ بِتِجَارَتِهِمْ، وَرِحْلَتِهِمْ، وَكَانَ لَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ، كَانُوا يَقُولُونَ: قُرَيْشٌ سُكَّانُ حَرَمِ اللَّهِ وَوُلَاةُ بَيْتِهِ فَلَوْلَا الرِّحْلَتَانِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِمَكَّةَ مَقَامٌ، وَلَوْلَا الْأَمْنُ بِجِوَارِ الْبَيْتِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى التَّصَرُّفِ، وَشَقَّ عَلَيْهِمُ الِاخْتِلَافُ إِلَى الْيَمَنِ وَالشَّامِ، فَأَخْصَبَتْ تَبَالَةُ، وَجَرَشُ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ، فَحَمَلُوا الطَّعَامَ إِلَى مَكَّةَ، أَهْلُ السَّاحِلِ مِنَ الْبَحْرِ عَلَى السُّفُنِ، وَأَهْلُ الْبَرِّ عَلَى الْإِبِلِ، وَالْحَمِيرِ، فَأَلْقَى أَهْلُ السَّاحِلِ بِجُدَّةَ، وَأَهْلُ الْبَرِّ بِالْمُحَصَّبِ، وَأَخْصَبَ الشَّامُ، فَحَمَلُوا الطَّعَامَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَلْقَوْا بِالْأَبْطَحِ، فَامْتَارُوا مِنْ قَرِيبٍ، وَكَفَاهُمُ اللَّهُ مُؤْنَةَ الرِّحْلَتَيْنِ، وَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ رَبِّ الْبَيْتِ»[1].

٣- ثُمَّ أَرْشَدَهُمْ إِلَى شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ فَقَالَ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، أَيْ: فَلْيُوَحِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ، كَمَا جَعَلَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا، وَبَيْتًا مُحَرَّمًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ

(١) تفسير البغوي، ٤/ ٥٣٠.

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النَّمل:٩١].

٤- ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أَيْ: هُوَ رَبُّ الْبَيْتِ، وَهُوَ ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾، أَيْ: تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْنِ وَالرُّخْصِ، فَلْيُفْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَعْبُدُوا مِنْ دُونِهِ صَنَمًا، وَلَا نِدًّا، وَلَا وَثَنًا؛ وَلِهَذَا مَنِ اسْتَجَابَ لِهَذَا الْأَمْرِ، جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ أَمْنِ الدُّنْيَا، وَأَمْنِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ عَصَاهُ سَلَبَهُمَا مِنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النَّحل:١١٢-١١٣].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾، والإلاف بمعنى الجمع والضم، ويراد به التجارة التي كانوا يقومون بها مرة في الشتاء، ومرة في الصيف، أما في الشتاء فيتجهون نحو اليمن للمحصولات الزراعية فيه، ولأن الجو مناسب، وأما في الصيف فيتجهون إلى الشام؛ لأن غالب تجارة الفواكه وغيرها تكون في هذا الوقت في الصيف، مع مناسبة الجو البارد، فهي نعمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على قريش في هاتين الرحلتين؛ لأنه يحصل منها فوائد كثيرة، ومكاسب كبيرة من هذه التجارة، أمرهم الله أن يعبدوا رب هذا البيت قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ شكراً له على هذه النعمة، والفاء هذه إما أن تكون فاء السببية، أي: فبسبب هاتين الرحلتين ليعبدوا رب هذا البيت، أو أن تكون فاء التفريع، وأيًّا كان، فهي مبنية على ما سبق، أي فبهذه النعم العظيمة يجب عليهم أن يعبدوا اللَّه، والعبادة هي التذلل للَّه عَزَّ وَجَلَّ محبةً وتعظيماً، أن يتعبد الإنسان للَّه يتذلل له بالسمع والطاعة، فإذا بلغه عن اللَّه ورسوله أمر، قال: سمعنا وأطعنا، وإذا بلغه خبر قال: سمعنا وآمنا، على وجه المحبة والتعظيم، فبالمحبة يقوم الإنسان بفعل الأوامر، وبالتعظيم يترك النواهي خوفاً من هذا العظيم عَزَّ وَجَلَّ، هذا معنى من معاني العبادة، وتطلق العبادة على نفس المتعبد به، وقد حدّها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا المعنى فقال: إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه، من الأقوال، والأعمال الظاهرة، والباطنة، وقوله: ﴿رَبَّ هَذَا البَيْتِ﴾ يعني به: الكعبة المعظمة، وقد أضافها اللَّه تعالى إلى نفسه في قوله

تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦]، وهنا أضاف ربوبيته إليه قال: ﴿رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، وإضافة الربوبية إليه على سبيل التشريف والتعظيم ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ أضاف الله البيت إليه تشريفاً وتعظيماً، إذاً خصص البيت بالربوبية مرة، وأضافه إلى نفسة مرة أخرى تشريفاً وتعظيماً، وفي آية ثانية قال: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾، وبعدها قال: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ احتراز من أن يتوهم واهم بأنه رب البلدة وحدها فقال: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾، ولكل مقام صيغة مناسبة، ففي قوله: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٩١]، مناسبة بيان عموم ملكه، لئلا يدعي المشركون أنه رب للبلدة فقط، أما هنا، فالمقام مقام تعظيم للبيت، فناسب ذكره وحده.

قوله: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ «الذي» هذه صفة للرب، إذاً فمحلها النصب، ولهذا يحسن أن تقف فتقول: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ ثم تقول: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ﴾؛ لأنك لو وصلت فقلت: «رب هذا البيت الذي أطعمهم» لظن السامع أن «الذي» صفة للبيت، وهذا بعيد من المعنى ولا يستقيم به المعنى، ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ بيّن الله نعمته عليهم، النعمة الظاهرة والباطنة، فإطعامهم من الجوع وقاية من الهلاك في أمر باطن، وهو الطعام الذي يأكلونه، ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ وقاية من الخوف في الأمر الظاهر؛ لأن الخوف ظاهر، إذا كانت البلاد محوطة بالعدو، وخاف أهلها وامتنعوا عن الخروج، وبقوا في ملاجئهم، فذكرهم الله بهذه النعمة، ﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ آمن مكان في الأرض هو مكة، ولذلك لا يُقطع شجرها، ولا يُحش حشيشها، ولا تُلتقط ساقطتها، ولا يصاد صيدها، ولا يسفك فيها دم، وهذه الخصائص لا توجد في البلاد الأخرى حتى المدينة، محرمة ولها حرم، لكن حرمها دون حرم مكة بكثير، حرم مكة لا يمكن أن يأتيه أحد من المسلمين لم يأتها، ولا مرة إلا محرماً، والمدينة ليست كذلك، حرم مكة يحرم حشيشه، وشجره مطلقاً، وأما حرم المدينة، فرخص في بعض شجره للحرث ونحوه، صيد مكة حرام، وفيه الجزاء، وصيد المدينة ليس فيه الجزاء، فأعظم مكان آمن هو مكة، حتى الأشجار

آمنة فيه، وحتى الصيود آمنة فيه، ولولا أن الله تعالى يسر على عباده لكان حتى البهائم التي ليست صيوداً تحرم، لكن الله تعالى رحم العباد وأذن لهم أن يذبحوا، وينحروا في هذا المكان، وهذه النعمة ذكرهم الله بها في قوله: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ**﴾ [العنكبوت: ٦٧]، يعني أفلا يشكرون الله على هذا؟! فهذه السورة كلها تذكير لقريش بما أنعم الله عليهم في هذا البيت العظيم، وفي الأمن من الخوف، وفي الإطعام من الجوع، فإذا قال قائل: ما واجب قريش نحو هذه النعمة؟ وكذلك ما واجب من حلّ في مكة الآن من قريش أو غيرهم؟ قلنا: الواجب الشكر لله تعالى بالقيام بطاعته، بامتثال أمره واجتناب نهيه؛ ولهذا إذا كثرت المعاصي في الحرم، فالخطر على أهله أكثر من الخطر على غيرهم؛ لأن المعصية في مكان فاضل أعظم من المعصية في مكان مفضول؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج: ٢٥]، فتوعد الله تعالى من أراد فيه أي من هم فيه بإلحاد فضلاً عمن ألحد، والواجب على المرء أن يذكر نعمة الله عليه في كل مكان، لا في مكة فحسب، فبلادنا، ولله الحمد، اليوم من آمن بلاد العالم، وهي من أشد بلاد العالم رغداً وعيشاً، أطعمنا الله تعالى من الجوع، وآمننا من الخوف، فعلينا أن نشكر هذه النعمة، وأن نتعاون على البر والتقوى، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الدعوة إلى الله على بصيرة، وتأنٍ، وتثبت، وأن نكون إخوة متآلفين، والواجب علينا، ولاسيما على طلبة العلم إذا اختلفوا فيما بينهم أن يجلسوا للتشاور، وللمناقشة الهادئة التي يقصد منها الوصول إلى الحق، ومتى تبين الحق للإنسان، وجب عليه اتباعه، ولا يجوز أن ينتصر لرأيه؛ لأنه ليس مشرعاً معصوماً، حتى يقول إن رأيه هو الصواب، وأن ما عداه هو الخطأ، الواجب على الإنسان المؤمن أن يكون كما أراد الله منه، ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦]، أما كون الإنسان ينتصر لرأيه، ويصر على ما هو عليه، ولو تبيّن له أنه باطل، فهذا خطأ، وهذا من

دأب المشركين الذين أبوا أن يتبعوا الرسول وقالوا: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٢٢]، نسأل الله أن يديم علينا نعمة الإسلام، والأمن في الأوطان، وأن يجعلنا إخوة متآلفين على كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، إنه على كل شيء قدير»[1].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص٣٢٩.

١٠٧- تَفْسِيرُ السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْمَاعُونُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)﴾

١- يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ- ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾، وَهُوَ: الْمَعَادُ وَالْجَزَاءُ وَالثَّوَابُ والحساب[١].

٢- ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾، أَيْ: هُوَ الَّذِي يَقْهَرُ الْيَتِيمَ، وَيَظْلِمُهُ حَقَّهُ، وَلَا يُطْعِمُهُ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِ[٢].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ يَقْهَرُهُ، وَيَدْفَعُهُ عَنْ حَقِّهِ، وَالدَّعُّ: الدَّفْعُ بِالْعُنْفِ، وَالْقُوَّةِ»[٣].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف، وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا»[٤].

٣- ﴿وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الْفَجْر: ١٧ - ١٨]، يَعْنِي: الْفَقِيرَ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ يَقُومُ بِأَوْدِهِ وَكِفَايَتِهِ[٥].

وقال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ لَا يَطْعَمُهُ، وَلَا يَأْمُرُ بِإِطْعَامِهِ؛ لِأَنَّهُ يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ»[٦].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا

---

(١) انظر: تفسير البغوي، ٤/ ٥٣١، وتفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٨.

(٣) تفسير البغوي، ٤/ ٤٣٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٥.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٨.

(٦) تفسير البغوي، ٤/ ٤٣٢.

﴿يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ فجمع بين أمرين:

الأمر الأول: عدم الرحمة بالأيتام الذين هم محل الرحمة؛ لأن الأيتام هم الذين مات آباؤهم قبل أن يبلغوا، وهم محل الشفقة والرحمة؛ لأنهم فاقدون لآبائهم، فقلوبهم منكسرة، يحتاجون إلى جابر؛ ولهذا وردت النصوص بفضل الإحسان إلى الأيتام، لكن هذا، والعياذ بالله، ﴿يدع اليتيم﴾ أي: يدفعه بعنف؛ لأن الدّعَّ هو الدفع بعنف، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣]، أي: دفعاً شديداً، فتجد اليتيم إذا جاء إليه يستجديه شيئاً، أو يكلمه في شيء يحتقره، ويدفعه بشدة، فلا يرحمه.

الأمر الثاني: لا يحثون على رحمة الغير ﴿وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾، فالمسكين: الفقير المحتاج إلى الطعام، لا يحض هذا الرجل على إطعامه؛ لأن قلبه حجر قاسٍ، فقلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، إذاً ليس فيه رحمة، لا للأيتام، ولا للمساكين، فهو قاسي القلب»[1].

٤-٥- ثُمَّ قَالَ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُ: يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَلَا يُصَلُّونَ فِي السِّرِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ أَيْ: الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، وَقَدِ الْتَزَمُوا بِهَا، ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ، إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَإِمَّا عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَهُ مَسْرُوقٌ، وَأَبُو الضُّحَى.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ: ﴿عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: فِي صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.

وَإِمَّا عَنْ وَقْتِهَا الْأَوَّلِ فَيُؤَخِّرُونَهَا إِلَى آخِرِهِ دَائِمًا أَوْ غَالِبًا، وَإِمَّا عَنْ أَدَائِهَا بِأَرْكَانِهَا، وَشُرُوطِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَإِمَّا عَنِ الْخُشُوعِ فِيهَا، والتدبر لمعانيها، فاللفظ يشمل هذا كله، ولكلِّ مَن اتَّصَفَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ قِسْطٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمَنِ اتَّصَفَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ، فَقَدْ تَمَّ نَصِيبُهُ مِنْهَا، وَكَمُلَ لَهُ النِّفَاقُ الْعَمَلِيُّ، كَمَا ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ**

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣٠- ٣٣١.

الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»[1].

فَهَذَا أَخَّرَ صَلَاةَ الْعَصْرِ الَّتِي هِيَ الْوُسْطَى، كَمَا ثَبَتَ بِهِ النَّصُّ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا، وَهُوَ وَقْتُ كَرَاهَةٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَنَقَرَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ، لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَا خَشَعَ فِيهَا أَيْضًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: «**لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**»، وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا مُرَاءَاةَ النَّاسِ، لا ابتغاء وجه اللَّهِ، فَهُوَ إِذًا لَمْ يُصَلِّ بِالْكُلِّيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا**﴾ [النِّساء: ١٤٢]، وَقَالَ هَاهُنَا: ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾.

وَعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ سامعَ خَلْقِهِ، وحَقَّره وصَغَّره**»[2].

٦- وَمِمَّا يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أَنَّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لِلَّهِ فَاطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، أَنَّ هَذَا لَا يُعَدُّ رِيَاءً، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ، فَأَعْجَبَنِي ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**كُتِبَ لَكَ أَجْرَانِ: أَجْرُ السِّرِّ، وَأَجْرُ الْعَلَانِيَةِ**»[3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»[4].

وَتَأْخِيرُ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا يَحْتَمِلُ تَرْكَهَا بِالْكُلِّيَّةِ، أَوْ صَلَاتَهَا بَعْدَ وَقْتِهَا شَرْعًا، أَوْ تَأْخِيرَهَا عَنْ أَوَّلِ الْوَقْتِ سَهْوًا حَتَّى ضَاعَ الْوَقْتُ[5].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ**﴾، أي: الملتزمون لإقامة الصلاة، ولكنهم ﴿**عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾، أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها،

---

(١) صحيح مسلم، برقم ٦٢٢.

(٢) مسند أحمد، ١١/ ٥٦٦، برقم ٦٩٨٦،، ورقم ٥٦، ورقم ٦٥٠٩، ورقم ٦٨٣٩، وصحح إسناده محققو المسند.

(٣) مسند أبي داود الطيالسي ٤/ ١٧٦، برقم ٢٥٥٢، وشعب الإيمان للبيهقي، ٩/ ٢٣٨، كلاهما من طريق أبي داود، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ص ٦٩١، برقم ، وسنن الترمذي بالإسناد نفسه مرفوعاً، ٤/ ٥٩٤، برقم ٢٣٨٤، وابن ماجه، برقم ٤٢٢٦، وقد وثقه الأرنؤوط مرسلاً في تحقيق سنن ابن ماجه، برقم ٤٢٢٦، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ص ٦٩١، برقم ٤٧٨٧.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٢٦٤٢.

(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٦٩.

مفوتون لأركانها، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله؛ حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات، وأفضل القربات، والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الذم، واللوم، وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي ﷺ؛ ولهذا وصف الله هؤلاء بالرياء، والقسوة، وعدم الرحمة، فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أي: يعملون الأعمال لأجل رئاء الناس»[1].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾، ويل: هذه كلمة وعيد، وهي تتكرر في القرآن كثيراً، والمعنى الوعيد الشديد على هؤلاء، ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ هؤلاء مصلون يصلون مع الناس أو أفراداً لكنهم ﴿عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي: غافلون عنها، لا يقيمونها على ما ينبغي، يؤخرونها عن الوقت الفاضل، لا يقيمون ركوعها، ولا سجودها، ولا قيامها، ولا قعودها، لا يقرأون ما يجب فيها من قراءة، سواء كانت قرآناً، أو ذكراً، إذا دخل في صلاته هو غافل، قلبه يتجول يميناً وشمالاً، فهو ساهٍ عن صلاته، وهذا مذموم، الذي يسهو عن الصلاة، ويغفل عنها، ويتهاون بها، لا شك أنه مذموم، أما الساهي في صلاته، فهذا لا يُلام، والفرق بينهما أن الساهي في الصلاة معناه: أنه نسي شيئاً، نسي عدد الركعات، نسي شيئًا من الواجبات، وما أشبه ذلك؛ ولهذا وقع السهو من رسول الله ﷺ، وهو أشد الناس إقبالاً على صلاته، بل إنه قال عليه الصلاة والسلام: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»[2]، ومع ذلك سها في صلاته؛ لأن السهو في الشيء معناه: أنه نسي شيئًا على وجه لا يلام عليه، أما الساهي عن صلاته، فهو متعمد للتهاون في صلاته، ومن السهو عن الصلاة أولئك القوم الذين يدعون للصلاة مع الجماعة، فإنهم لا شك عن صلاتهم ساهون، فيدخلون في هذا الوعيد، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ أيضاً إذا فعلوا الطاعة فإنما يقصدون بها التزلف إلى الناس، وأن يكون لهم قيمة في المجتمع،

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٥.

(٢) مسند أحمد، ١٩/ ٣٠٥، برقم ١٢٢٩٣، وحسّن إسناده محققو المسند، وسنن النسائي، برقم، ٣٩٣٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ٤٢٤، برقم ١٨٠٩.

ليس قصدهم التقرب إلى الله ﷻ، فهذا المرائي يتصدق من أجل أن يقول الناس ما أكرمه، هذا المصلي يحسن صلاته من أجل أن يقول الناس ما أحسن صلاته، وما أشبه ذلك، هؤلاء يراؤون، فأصل العبادة لله، لكن يريدون مع ذلك أن يحمدهم الناس عليها، ويتقربون إلى الناس بتقربهم إلى الله، هؤلاء هم المراؤون، أما من يصلي لأجل الناس بمعنى أنه يصلي بين يدي الملك مثلاً، أو غيره، يخضع له ركوعاً، أو سجوداً، فهذا مشرك كافر، قد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار، لكن هذا يصلي لله مع مراعاة أن يحمده الناس على عبادته، على أنه عابد لله ﷻ، وهذا يقع كثيراً في المنافقين، كما قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء: ١٤٢]، انظر إلى هذا الوصف إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، إذاً هم عن صلاتهم ساهون، يراؤون الناس، وهنا يقول الله ﷻ: ﴿**الذين هم يراؤون**﴾ فهل الذين يسمّعون مثلهم؟ يعني إنسان يقرأ قرآنًا، ويجهر بالقراءة، ويحسن القراءة، ويحسن الأداء والصوت من أجل أن يقال: ما أقرأه، هل يكون مثل الذي يرائي؟ الجواب: نعم كما جاء في الحديث، «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به**»[(١)]، المعنى من سمّع فضحه الله، وبيّن للناس أن الرجل ليس مخلصاً، ولكنه يريد أن يسمعه الناس، فيمدحوه على عبادته، ومن راءى كذلك راءى الله به، فالإنسان الذي يرائي الناس، أو يسمّع الناس سوف يفضحه الله، وسوف يتبين أمره إن عاجلاً أم آجلاً»[(٢)].

٧- ﴿**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾، أَيْ: لَا أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ، وَلَا أَحْسَنُوا إِلَى خَلْقِهِ، حَتَّى وَلَا بِإِعَارَةِ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ، وَيُسْتَعَانُ بِهِ، مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَيْهِمْ، فَهَؤُلَاءِ لِمَنْعِ الزَّكَاةِ وَأَنْوَاعِ الْقُرُبات أُولَى وَأُولَى، وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: قَالَ عَلِيٌّ: الْمَاعُونُ: الزَّكَاةُ، وَكَذَا رَوَاهُ السُّدِّيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَلِيٍّ، وَكَذَا رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَبِهِ يَقُولُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وعِكْرِمة، وَمُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٤٩٩، ومسلم، برقم ٢٩٨٧.

(٢) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣١- ٣٣٢.

وَالْحُسْنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنْ صَلَّى رَاءَى، وَإِنْ فَاتَتْ لِمَ يَأْسَ عَلَيْهَا، وَيَمْنَعُ زَكَاةَ مَالِهِ، وَفِي لَفْظٍ: صَدَقَةَ مَالِهِ.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: هُمُ الْمُنَافِقُونَ، ظَهَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّوْهَا، وضَمنَت الزَّكَاةُ فَمَنَعُوهَا.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، وَشُعْبَةُ، عَنِ الْحَكَمِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ: أَنَّ أَبَا الْعُبَيْدَيْنِ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَنِ الْمَاعُونِ، فَقَالَ: هُوَ مَا يَتَعَاوَرُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَأْسِ، وَالْقِدْرِ.

وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ أَبِي العُبَيدين: أَنَّهُ سُئِلَ ابنُ مَسْعُودٍ عَنِ الْمَاعُونِ، فَقَالَ: هُوَ مَا يَتَعَاطَاهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ، مِنَ الْفَأْسِ وَالْقِدْرِ، وَالدَّلْوِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ[1].

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ أَبِي العُبَيدين، وَسَعْدِ بْنِ عِيَاضٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ الْمَاعُونَ الدَّلْوُ، وَالْفَأْسُ، وَالْقِدْرُ، لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُنَّ[2].

وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ أيضاً قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ عِيَاضٍ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ[3].

وَعَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمَاعُونِ، فَقَالَ: مَا يَتَعَاوَنُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ: الْفَأْسُ وَالدَّلْوُ وَشَبَهُهُ[4].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ نَبِيِّنَا ﷺ وَنَحْنُ نَقُولُ: الْمَاعُونُ: مَنْعُ الدَّلْوِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ[5].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَكُنَّا نَعُدُّ الْمَاعُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عاريَّةَ الدَّلْوِ وَالْقِدْرِ»[6].

وَعن حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: الْمَاعُونُ:

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٧٣.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٣٨.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٣٩.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٣٩.
(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤١.
(٦) أبو داود، برقم ١٦٥٧ نحوه، والسنن الكبرى للنسائي بلفظه، ١٠/ ٣٤٥، برقم ١١٦٣٧، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٣٥٤، برقم ١٤٦١.

العَواري: الْقِدْرُ، وَالْمِيزَانُ، وَالدَّلْوُ[١].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، يَعْنِي: مَتَاعَ الْبَيْتِ، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخعي، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّهَا العاريَّة لِلْأَمْتِعَةِ.

وَقَالَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، قَالَ: لَمْ يَجِئْ أهلها بعد[٢].

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، قَالَ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَمْنَعُونَ الزَّكَاةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَمْنَعُونَ الطَّاعَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَمْنَعُونَ الْعَارِيَّةَ[٣].

وَعَنِ الحارث، عن عَلِيٍّ: الْمَاعُونُ: مَنْعُ النَّاسِ الْفَأْسَ، وَالْقِدْرَ، وَالدَّلْوَ[٤].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَالَ عِكْرِمَةُ: رَأْسُ الْمَاعُونِ زَكَاةُ الْمَالِ، وَأَدْنَاهُ: الْمُنْخُلُ، وَالدَّلْوُ، وَالْإِبْرَةُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ عِكْرِمَةُ حَسَنٌ؛ فَإِنَّهُ يَشْمَلُ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا، وَتَرْجِعُ كُلُّهَا إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ تَرْكُ الْمُعَاوَنَةِ بِمَالٍ أَوْ مَنْفَعَةٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، قَالَ: الْمَعْرُوفُ[٥]؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**»[٦].

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قَالَ: بِلِسَانِ قُرَيْشٍ: الْمَالُ[٧].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللهُ: «﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به، فهؤلاء، لشدة حرصهم، يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه، وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم، والمساكين، والتحضيض على ذلك،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٦٨.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٧٣.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤١.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤١.
(٥) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٧٤.
(٦) صحيح البخاري، برقم ٦٠٢١.
(٧) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٦٩.

ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها، وفي جميع الأعمال، والحث على فعل المعروف، وبذل الأموال الخفيفة، كعارية الإناء، والدلو، والكتاب، ونحو ذلك؛ لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، والله ﷻ أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين»[١].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ أي: يمنعون ما يجب بذله من المواعين، وهي الأواني، يعني يأتي الإنسان إليهم، يستعير آنية، يقول: أنا محتاج إلى دلو، أو محتاج إلى إناء أشرب به، أو محتاج إلى مصباح كهرباء، وما أشبه ذلك، فيمنع، فهذا أيضاً مذموم، ومنع الماعون ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: قسم يأثم به الإنسان.

القسم الثاني: قسم لا يأثم به، لكن يفوته الخير.

فما وجب بذله؛ فإن الإنسان يأثم بمنعه، وما لم يجب بذله؛ فإن الإنسان لا يأثم بمنعه، لكن يفوته الخير، مثال ذلك: إنسان جاءه رجل مضطر يقول: أعطني ماءً أشربه، فإن لم أشرب مت، فبذل الإناء له واجب، يأثم بتركه الإنسان، حتى إن بعض العلماء يقول: لو مات هذا الإنسان؛ فإنه يضمنه بالدية، لأنه هو سبب موته، ويجب عليه بذل ما طلبه، فيجب على المرء أن ينظر في نفسه هل هو ممن اتصف بهذه الصفات أو لا؟ إن كان ممن اتصف بهذه الصفات قد أضاع الصلاة، وسها عنها، ومنع الخير عن الغير فليتب وليرجع إلى الله، وإلا فليبشر بالويل، والعياذ بالله، وإن كان قد تنزه عن ذلك فليبشر بالخير، والقرآن الكريم ليس المقصود منه أن يتلوه الإنسان، ليتعبد لله تعالى بتلاوته فقط، المقصود أن يتأدب به؛ ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: «**إن النبي ﷺ كان خلقه القرآن**»[٢]، خُلقه يعني أخلاقه التي يتخلق بها، يأخذها من القرآن، وفقنا الله لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، إنه على كل شيء قدير»[٣].



(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٥.

(٢) مسلم، برقم ٧٤٦.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣٣- ٣٣٤.

١٠٨- تَفْسِيرُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ(٣)﴾

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءَةً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، إِمَّا قَالَ لَهُمْ، وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عليَّ آنِفًا سُورَةٌ»، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي ﷻ فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، تردُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدَ الْكَوَاكِبِ، يُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[(١)].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ وَرَدَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ آنِيَةً عدد نُجُومِ السَّمَاءِ، وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَلَفْظُ مُسْلِمٍ عن أنسٍ قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، قُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ»، فَقَرَأَ: «﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدنيه رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النُّجُومِ، فَيختلجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ»[(٢)].

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ مِنَ السُّورَةِ، وَأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ مَعَهَا.

١- فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ

---

(١) مسند أحمد، ١٩/ ٥٤، برقم ١١٩٩٦، وصحح إسناده محققو المسند.

(٢) صحيح مسلم، برقم ٤٠٠، وسنن أبي داود، برقم ٤٧٤٧، وسنن النسائي، برقم ٩٠٤.

أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى، عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أعطيتُ الْكَوْثَرَ، فَإِذَا هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي، وَلَمْ يُشق شَقًّا، وَإِذَا حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي فِي تُرْبَتِهِ، فَإِذَا مِسْكُهُ ذَفِرة، وَإِذَا حَصَاهُ اللُّؤْلُؤُ**»[١].

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ، حَافَّتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ ﷻ**»[٢].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: «**أتيتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجوَّفِة، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ**»، وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

وَعَنْ شَرِيكِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَضَى بِهِ جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَذَهَبَ يُشَمّ تُرَابه، فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ، قَالَ: «**يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا النَّهْرُ؟ قَالَ: هُوَ الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبأَ لَكَ رَبُّكَ**»[٤].

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ، حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجوف، فَقَالَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى أَرْضِه، فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ الْمِسْكَ**»[٥].

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الْكَوْثَرِ، فَقَالَ: «**هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ فِي الْجَنَّةِ، تُرَابُهُ الْمِسْكُ، مَاؤُهُ أَبْيَض مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُزُرِ**»، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ، فَقَالَ: «**آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**»[٦].

---

(١) مسند أحمد، ٢١/ ٢٠٠، برقم ١٣٥٧٨، وصحح إسناده على شرط مسلم محققو المسند.
(٢) مسند أحمد، ١٩/ ٦٦، برقم ١٢٠٠٨، وصححه محققو المسند.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٤، وفي مسلم، برقم ١٦٢ حديث المعراج، وليس فيه ذكر للكوثر.
(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤٦، وهو في صحيح البخاري، برقم ٣٤٩، وصحيح مسلم، برقم ١٦٢.
(٥) مسند أحمد، ٢١/ ١٠٦، برقم ١٣٤٢٥، وصحح إسناده محققو المسند. وبنحوه في صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٤، ولفظه: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ».
(٦) مسند أحمد، ٢١/ ١٣٢، برقم ١٣٤٧٥، وصحح إسناده محققو المسند.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قَالَتْ: «**نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ: شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ**»[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ: «هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنَّ نَاسًا يَزْعُمون أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ»[٢].

وَعَنْ أَبِي بِسرٍ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ[٣].

وَهَذَا التَّفْسِيرُ يَعُمُّ النَّهْرَ وَغَيْرَهُ؛ لِأَنَّ الْكَوْثَرَ مِنَ الْكَثْرَةِ، وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَمُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ، وَالْحسْنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ، حَتَّى قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ النُّبُوَّةُ وَالْقُرْآنُ، وَثَوَابُ الْآخِرَةِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِالنَّهْرِ أَيْضًا، وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ، يَجْرِي عَلَى الْيَاقُوتِ وَالدُّرِّ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ[٤].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ ذَهَبٌ وفضة، يجري على الدر وَالْيَاقُوتِ، مَاؤُهُ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ[٥].

وَقَدْ صَحَّ أَصْلُ هَذَا، بَلْ قَدْ تَوَاتَرَ مِنْ طرقٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَكَذَلِكَ أَحَادِيثُ الْحَوْضِ،... وَهَكَذَا رُوِي عَنْ أَنَسٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَمُجَاهِدٍ، وَغَيْرِ واحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَنَّ الْكَوْثَرَ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ. وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ حَوْضٌ فِي الْجَنَّةِ[٦].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٥.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٦.

(٣) صحيح البخاري، برقم ٦٥٧٨.

(٤) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٤٥، ورواه الترمذي، برقم ٣٣٦١ مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٥٠٦، برقم ٣٧٢٤.

(٥) مسند أحمد، ٩/ ٢٥٧، برقم ٥٣٥٥، وقوّاه محققو المسند. وهكذا رواه الترمذي، برقم ٣٣٦١، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه، ماجه، برقم ٤٣٣٤، وابن أبي حاتم في تفسيره، ١٠/ ٣٤٧٠، برقم ١٩٥٠٧، والطبري في تفسيره، ٢٤/ ٦٤٥.

(٦) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٠.

٢- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، أَيْ: كَمَا أَعْطَيْنَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ومن ذلك النهرُ الَّذِي تَقَدَّمَ صِفَتُهُ، فَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ صَلَاتَكَ الْمَكْتُوبَةَ، وَالنَّافِلَةَ، ونَحْرَك، فَاعْبُدْهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَانْحَرْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ: يَعْنِي بِذَلِكَ نَحْرَ الْبُدْنِ وَنَحْوِهَا، وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، والربيع، وعطاء الخراساني، والحكم، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَهَذَا بِخِلَافِ مَا كَانَ الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ مِنَ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَالذَّبْحِ عَلَى غَيْرِ اسْمِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الْآيَةَ [الأنعام:١٢١].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «...المراد بالنحر: ذبح المناسك...، وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يصلي الْعِيدَ، ثُمَّ يَنْحَرُ نُسُكَهُ وَيَقُولُ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُكَ. وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلَا نُسُكَ لَهُ**»، فَقَامَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَسكتُ شَاتِي قَبْلَ الصَّلَاةِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ يُشْتَهَى فِيهِ اللَّحْمُ، قَالَ: «**شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ**»، قَالَ: فَإِنَّ عِنْدِي عِنَاقًا هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتَيْنِ، أَفَتُجْزِئُ عَنِّي؟ قَالَ: «**تُجْزِئُكَ، وَلَا تُجْزِئُ أَحَدًا بَعْدَكَ**»[1].

قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ: وَالصَّوَابُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: فَاجْعَلْ صَلَاتَكَ كُلَّهَا لِرَبِّكَ خَالِصًا دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْآلِهَةِ، وَكَذَلِكَ نَحْرَكَ اجْعَلْهُ لَهُ دُونَ الْأَوْثَانِ؛ شُكْرًا لَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكَ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالْخَيْرِ، الَّذِي لَا كِفَاء لَهُ، وَخَصَّك بِهِ[2].

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى: مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَعَطَاءٌ[3].

٣- وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ أَيْ: إِنَّ مُبْغِضَكَ -يَا مُحَمَّدُ- وَمُبْغِض

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، برقم ٩٨٣، ومسلم، برقم ١٩٦١.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٤٨٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٣.

مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ، وَالنُّورِ الْمُبِينِ، هُوَ الْأَبْتَرُ الْأَقَلُّ الْأَذَلُّ الْمُنْقَطِعُ ذِكْرُه.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ: نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ.

وَقَالَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ قَالَ: كَانَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ إِذَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقول: دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عقب لَهُ، فَإِذَا هَلَكَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ[1]، وَقَالَ شَمِرِ بْنُ عَطِيَّةَ: نَزَلَتْ فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعِيط، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَعِكْرِمَةُ: نَزَلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ سَيِّدُهُمْ أَلَّا تَرَى إِلَى هَذَا الْمُصنبر الْمُنْبَتِرِ مِنْ قَوْمِهِ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ، وَأَهْلُ السِّدَانَةِ وَأَهْلُ السِّقَايَةِ؟ فَقَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ. قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ، وَعَنْهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾، يَعْنِي: عَدُوَّكَ، وَهَذَا يَعُمُّ جميعَ مَن اتصف بِذَلِكَ ممن ذكر، وغيرهم.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: الْأَبْتَرُ: الْفَرْدُ. وَقَالَ السُّدِّي: كَانُوا إِذَا مَاتَ ذكورُ الرَّجُلِ قَالُوا: بُتر. فَلَمَّا مَاتَ أَبْنَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: بُتِرَ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَاهُ مِنْ أَنَّ الْأَبْتَرَ الَّذِي إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فَتَوَهَّمُوا لِجَهْلِهِمْ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ بَنُوهُ، يَنْقَطِعُ ذِكْرُهُ، وَحَاشَا وَكَلَّا، بَلْ قَدْ أَبْقَى اللَّهُ ذِكْرَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، وَأَوْجَبَ شَرْعَهُ عَلَى رِقَابِ الْعِبَادِ، مُسْتَمِرًّا عَلَى دَوَامِ الْآبَادِ، إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمَعَادِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ دَائِمًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِّ»[3].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أي: الخير الكثير،

---

(١) سيرة ابن هشام، ١/ ٣٩٣.

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار، ٣/ ٨٣، برقم ٢٢٩٣، وهو في السنن الكبرى للنسائي، ١٠/ ٣٤٧، برقم ١١٦٤٣، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٩/ ٢٩٢، برقم ٦٥٣٨. وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره، ١٤/ ٤٨٢: «هَكَذَا رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ».

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٣.

والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له «الكوثر» ومن الحوض طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم السماء في، كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات؛ ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح لله، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك وذامك ومنتقصك ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾ أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر، وأما محمد ﷺ، فهو الكامل حقًا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والأتباع ﷺ»[1].

وقال **ابن عثيمين** رحمه الله: «﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر: في اللغة العربية هو الخير الكثير، وهكذا كان النبي ﷺ أعطاه الله تعالى خيراً كثيراً في الدنيا والآخرة، فمن ذلك النهر العظيم الذي في الجنة، والذي يصبّ منه ميزابان على حوضه المورود ﷺ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى مذاقاً من العسل، «**وأطيب رائحة من المسك**»[2]، وهذا الحوض في القيامة في عرصات القيامة، يرده المؤمنون من أمة النبي ﷺ، وآنيته كنجوم السماء كثرة وحسناً، فمن كان وارداً على شريعته في الدنيا كان وارداً على حوضه في الآخرة، ومن لم يكن وارداً على شريعته، فإنه محروم منه في الآخرة، ومن الخيرات الكثيرة التي أعطيها النبي ﷺ في الدنيا ما ثبت في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ**

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٥.

(٢) مسند أحمد، ٣٦/ ٤٧٩، برقم ٢٢١٥٦، و سنن الترمذي، برقم ٣٣٦١، وصححه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/ ٢٣٢، برقم ٣٦١٤.

لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[1]، هذا من الخير الكثير؛ لأن بعثه إلى الناس عامة يستلزم أن يكون أكثر الأنبياء اتباعاً، وهو كذلك، فهو أكثرهم أتباعاً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن المعلوم أن الدال على الخير كفاعل الخير، والذي دلّ هذه الأمة العظيمة التي فاقت الأمم كثرة، هو محمد ﷺ، وعلى هذا فيكون للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أجر كل واحد من أمته نصيب، ومن يحصي الأمة إلا الله ﷻ، ومن الخير الذي أعطيه في الآخرة المقام المحمود، ومنه الشفاعة العظمى، فإن الناس في يوم القيامة يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيطلبون الشفاعة، فيأتون إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام حتى تصل إلى النبي ﷺ، فيقوم ويشفع، ويقضي الله تعالى بين العباد بشفاعته، وهذا مقام يحمده عليه الأولون والآخرون، وداخل في قوله تعالى: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩]، إذاً الكوثر يعني الخير الكثير، ومنه النهر الذي في الجنة، فالنهر الذي في الجنة هو الكوثر لا شك، ويسمى كوثراً، لكنه ليس هو فقط الذي أعطاه الله نبيه محمدًا ﷺ من الخير، ولما ذكر منته عليه بهذا الخير الكثير قال: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ شكراً لله على هذه النعمة العظيمة، أن تصلي وتنحر لله، والمراد بالصلاة هنا جميع الصلوات، وأول ما يدخل فيها الصلاة المقرونة بالنحر، وهي صلاة عيد الأضحى، لكن الآية شاملة عامة ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ**﴾ الصلوات المفروضة والنوافل: صلوات العيد، والجمعة «وانحر» أي: تقرب إليه بالنحر، والنحر يختص بالإبل، والذبح للبقر والغنم، لكنه ذكر النحر، لأن الإبل أنفع من غيرها بالنسبة للمساكين، ولهذا أهدى النبي ﷺ في حجة الوداع مائة بعير، ونحر منها ثلاثة وستين بيده، وأعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الباقي فنحرها، وتصدق بجميع أجزائها إلا بضعة واحدة من كل ناقة، فأخذها، وجعلت في قدر، فطبخها فأكل من لحمها، وشرب من مرقها، وأمر بالصدقة حتى بجلالها، وجلودها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والأمر في الآية أمر له وللأمة، فعلينا أن نخلص الصلاة لله، وأن نخلص النحر لله

(١) صحيح البخاري، برقم ٣٣٥، ومسلم، برقم ٥٢١.

كما أُمر بذلك نبينا ﷺ، ثم قال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾، هذا في مقابل إعطاء الكوثر قال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ «﴿شانئك﴾» أي مبغضك، والشنآن هو البغض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]، أي: لا يحملنكم بغضهم أن تعتدوا، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨]، أي: لا يحملنكم بغضهم على ترك العدل ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ فشانئك في قوله: ﴿إن شانئك﴾ يعني: مبغضك ﴿هو الأبتر﴾ الأبتر: اسم تفضيل من بتر بمعنى: قطع، يعني هو الأقطع، المنقطع من كل خير، وذلك أن كفار قريش يقولون: محمد أبتر، لا خير فيه، ولا بركة فيه، ولا في أتباعه، أبتر لما مات ابنه القاسم رضي الله عنه قالوا: محمد أبتر، لا يولد له، ولو ولد له فهو مقطوع النسل، فبين الله عز وجل أن الأبتر هو مبغض الرسول عليه الصلاة والسلام، فهو الأبتر المقطوع عن كل خير، الذي ليس فيه بركة، وحياته ندامة عليه، وإذا كان هذا في مبغضه، فهو أيضاً في مبغض شرعه، فمن أبغض شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شعيرة من شعائر الإسلام، أو أبغض أي طاعة مما يتعبد به الناس في دين الإسلام، فإنه كافر، خارج عن الدين لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، ولا حبوط للعمل إلا بالكفر، فمن كره فرض الصلوات فهو كافر ولو صلى، ومن كره فرض الزكاة، فهو كافر ولو زكى، لكن من استثقلها مع عدم الكراهة، فهذا فيه خصلة من خصال النفاق؛ لكنه لا يكفر، وفرق بين من استثقل الشيء ومن كره الشيء، إذاً هذه السورة تضمنت بيان نعمة الله على رسوله ﷺ بإعطائه الخير الكثير، ثم الأمر بالإخلاص لله عز وجل في الصلوات والنحر، وكذلك في سائر العبادات، ثم بيان أن من أبغض الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شيئاً من شريعته، فإنه هو الأقطع الذي لا خير فيه، ولا بركة فيه، نسأل الله العافية والسلامة»[1].



---

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣٥- ٣٣٨.

١٠٩- تَفْسِيرُ سُورَةِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ

عَنْ جَابِرٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهَذِهِ السُّورَةِ، وَبِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِي رَكْعَتِي الطَّوَافِ»[(١)].

وَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ بِهِمَا فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ»[(٢)].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً -أَوْ: بِضْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[(٣)].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أيضاً قَالَ: «رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ -أَوْ: خَمْسًا وَعِشْرِينَ- مَرَّةً، يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ، وَالرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ بِـ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾»[(٤)].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «رَمقتُ النَّبِيَّ ﷺ شَهْرًا، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ بِـ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[(٥)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «...وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِرُبُعِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ»[(٦)].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... وَ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ تَعْدِلُ رُبُعَ الْقُرْآنِ»[(٧)].

وَعَنْ فروةَ ابْنِ نَوفل -هُوَ ابْنُ مُعَاوِيَةَ- عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «هَلْ لَكَ فِي رَبِيبَةٍ لَنَا تَكْفُلُهَا؟»، قَالَ: أَرَاهَا زَيْنَبَ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهَا، قَالَ: «مَا فَعَلَتِ الْجَارِيَةُ؟»، قَالَ: تَرَكْتُهَا عِنْدَ أُمِّهَا، قَالَ: «فَمَجِيءُ مَا

---

(١) صحيح مسلم، برقم ١٢١٨.
(٢) صحيح مسلم، برقم ٧٢٦.
(٣) مسند أحمد، ٨/ ٣٨١، برقم ٤٧٦٣، وصحح إسناده محققو المسند.
(٤) مسند أحمد، ٩/ ٥٠٩، برقم ٥٦٩٩، وصحح إسناده محققو المسند.
(٥) مسند أحمد، ٩/ ٥٠١، برقم ٥٦٩١، وصحح إسناده محققو المسند، وكذا رواه الترمذي، برقم ٤١٧، وابن ماجه، برقم ١١٤٩، والنسائي، برقم ٩٩٢، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي، ٣/ ١٣٦.
(٦) سنن الترمذي، برقم ٢٨٩٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/ ١٥٨.
(٧) سنن الترمذي، برقم ٢٨٩٤، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/ ١٥٨، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٩٥.

جَاءَ بِكَ؟»، قَالَ: جِئْتُ لِتُعَلِّمَنِي شَيْئًا أَقُولُهُ عِنْدَ مَنَامِي، قَالَ: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾، ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا براءة من الشرك»[1].

وَعَنْ خَبَّابٍ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَرَأَ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ حَتَّى يَخْتِمَهَا»[2]. والله أعلم[3].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾

هَذِهِ السُّورَةُ سُورَةُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَهِيَ آمِرَةٌ بِالْإِخْلَاصِ فِيهِ، فَقَوْلُهُ:

١- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ شَمِلَ كُلَّ كَافِرٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ الْمُوَاجَهِينَ بِهَذَا الْخِطَابِ هُمْ كفارُ قُرَيْشٍ.

وَقِيلَ: إِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ دَعَوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ سَنَةً، وَيَعْبُدُونَ مَعْبُودَهُ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ، وَأَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ فِيهَا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ، فَقَالَ:

٢- ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، يَعْنِي: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ.

٣- ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَـ«مَا» هَاهُنَا بِمَعْنَى «مَنْ».

٤- ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾، أَيْ: وَلَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، أَيْ: لَا أَسْلُكُهَا، وَلَا أَقْتَدِي بِهَا، وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

٥- وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، أَيْ: لَا تَقْتَدُونَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ وَشَرْعِهِ فِي عِبَادَتِهِ، بَلْ قَدِ اخْتَرَعْتُمْ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النَّجم: ٢٣]،

---

(١) مسند أحمد، ٣٩/ ٤٨٨، برقم ٤٩، وحسنه محققو المسند، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٣٨٩، برقم ٦٠٥: «حسن لغيره».

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٤/ ٨١، برقم ٣٧٠٨، وكشف الأستار عن زوائد البزار، ٤/ ٢٧، برقم ٣١١٣، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح، برقم ٢١٦١، وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ٨٥١، برقم ٤٦٤٨.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ١٩٥.

فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّ الْعَابِدَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْبُودٍ يَعْبُدُهُ، وعبادة يَسْلُكُهَا إِلَيْهِ، فَالرَّسُولُ وَأَتْبَاعُهُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِمَا شَرَعَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ**»، أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا طَرِيقَ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ عِبَادَةً لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ.

٦- وَلِهَذَا قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [يونس:٤١]، وَقَالَ: ﴿**لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ**﴾ [القصص:٥٥]، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يُقَالُ: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ**﴾ الْكُفْرُ، ﴿**وَلِيَ دِينِ**﴾ الْإِسْلَامُ، وَلَمْ يَقُلْ: «دِينِي»؛ لِأَنَّ الْآيَاتِ بِالنُّونِ، فَحُذِفَ الْيَاءُ، كَمَا قَالَ: ﴿**فَهُوَ يَهْدِينِ**﴾ [الشعراء:٧٨]، وَ﴿**يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء:٨٠]، وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ الْآنَ، وَلَا أُجِيبُكُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِي، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ: ﴿**وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا**﴾ [المائدة:٦٤]، انْتَهَى مَا ذَكَرَهُ[١].

وَنَقَلَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّأْكِيدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرح:٥-٦]، وَكَقَوْلِهِ: ﴿**لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا * عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾ [التكاثر:٦-٧]، وَحَكَاهُ بَعْضُهُمْ -كَابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَغَيْرِهِ- عَنِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ[٢].

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَوَّلُهَا مَا ذَكَرْنَاهُ أَوَّلًا، الثَّانِي: مَا حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُرَادَ: ﴿**لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ فِي الْمَاضِي، ﴿**وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، الثَّالِثُ: أَنَّ ذَلِكَ تَأْكِيدٌ مَحْضٌ.

وَثَمَّ قَوْلٌ رَابِعٌ، نَصَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ تيمية فِي بَعْضِ كُتُبِهِ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿**لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾: نَفْيُ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّهَا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ، ﴿**وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**﴾: نَفْيُ قَبُولِهِ لِذَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ آكَدُ، فَكَأَنَّهُ نَفَى الْفِعْلَ، وَكَوْنُهُ قَابِلًا لِذَلِكَ، وَمَعْنَاهُ نَفْيُ الْوُقُوعِ، وَنَفْيُ الْإِمْكَانِ الشَّرْعِيِّ

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة الكافرون، ٦/ ١٧٨.
(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٦٦٣.

أَيْضًا، وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ أَيْضًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»[١].

ثم قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ كُلَّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ، تُورِثُهُ الْيَهُودُ مِنَ النَّصَارَى، وَبِالْعَكْسِ؛ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نَسَبٌ، أَوْ سَبَبٌ يُتَوَارَثُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَدْيَانَ -مَا عَدَا الْإِسْلَامِ- كُلَّهَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ فِي الْبُطْلَانِ.

وَذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَمَنْ وَافَقَهُ إِلَى عَدَمِ تَوْرِيثِ النَّصَارَى مِنَ الْيَهُودِ وَبِالْعَكْسِ؛ لِحَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى**»[٢]»[٣].

قال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه السورة هي إحدى سورتي الإخلاص؛ لأن سورتي الإخلاص ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وكان النبي ﷺ يقرأ بهما في سُنة الفجر، وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف؛ لما تضمنتاه من الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، والثناء عليه بالصفات الكاملة في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾ يناديهم يعلن لهم بالنداء ﴿أَيُّهَا الكَافِرُونَ﴾، وهذا يشمل كل كافر سواء كان من المشركين، أو من اليهود، أو من النصارى، أو من الشيوعيين، أو من غيرهم، كل كافر يجب أن تناديه بقلبك، أو بلسانك إن كان حاضراً؛ لتتبرأ منه، ومن عبادته ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، كُررت الجمل على مرتين مرتين: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد الذين تعبدونهم، وهم الأصنام ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله، و«ما» هنا في قوله: «ما أعبد» بمعنى «من»؛ لأن اسم الموصول إذا عاد إلى الله؛ فإنه يأتي بلفظ «من» ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، يعني: أنا لا أعبد أصنامكم، وأنتم لا تعبدون الله ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ *

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٧.

(٢) مسند أحمد، ١١/ ٢٤٥، برقم ٦٦٦٤، وحسنه محققو المسند، سنن أبي داود، برقم ٢٩١١، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ١٢٦١، برقم ٧٦١٤.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٨٧.

﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ قد يظن الظان أن هذه مكررة للتوكيد، وليس كذلك؛ لأن الصيغة مختلفة ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فعل، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ «عابد»، و«عابدون» اسم، والتوكيد لابد أن تكون الجملة الثانية كالأولى، إذاً القول بأنه كرر للتوكيد ضعيف، إذاً لماذا هذا التكرار؟

قال بعض العلماء: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي: الآن ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ في المستقبل، فصار ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، أي: في الحال، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ يعني في المستقبل؛ لأن الفعل المضارع يدل على الحال، واسم الفاعل يدل على الاستقبال، بدليل أنه عمل، واسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان للاستقبال، ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآن ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ يعني الآن، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ يعني في المستقبل ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ يعني في المستقبل

لكن أورد على هذا القول إيراد كيف قال: ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ مع أنهم قد يؤمنون فيعبدون اللَّه؟! وعلى هذا فيكون في هذا القول نوع من الضعف، وأجابوا عن ذلك بأن قوله: ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ يخاطب المشركين الذين عَلِمَ اللَّه تعالى أنهم لن يؤمنوا، فيكون الخطاب ليس عامًّا، وهذا مما يضعف القول بعض الشيء.

فعندنا الآن قولان:

الأول: إنها توكيد.

والثاني: إنها في المستقبل.

[و]- **القول الثالث**: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي: لا أعبد الأصنام التي تعبدونها، ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: لا تعبدون اللَّه، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: في العبادة يعني ليست عبادتي كعبادتكم، ولا عبادتكم كعبادتي، فيكون هذا نفي للفعل، لا للمفعول به، يعني ليس نفيًا للمعبود؛ لكنه نفي للعبادة، أي: لا أعبد كعبادتكم، ولا تعبدون أنتم كعبادتي، لأن عبادتي خالصة للَّه، وعبادتكم عبادة شرك.

[و]- **القول الرابع**: واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن قوله: ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ هذا الفعل. فوافق القول الأول في هذه الجملة، ﴿لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: في القبول، بمعنى:

ولن أقبل غير عبادتي، ولن أقبل عبادتكم، وأنتم كذلك لن تقبلوا، فتكون الجملة الأولى عائدة على الفعل، والجملة الثانية عائدة على القبول، والرضا، يعني لا أعبده، ولا أرضاه، وأنتم كذلك، لا تعبدون الله، ولا ترضون بعبادته، وهذا القول إذا تأملته، لا يرد عليه شيء من الهفوات السابقة، فيكون قولاً حسناً جيداً، ومن هنا نأخذ أن القرآن الكريم ليس فيه شيء مكرر لغير فائدة إطلاقاً، ليس فيه شيء مكرر إلا وله فائدة؛ لأننا لو قلنا: إن في القرآن شيئاً مكرراً بدون فائدة، لكان في القرآن ما هو لغو، وهو منزه عن ذلك، وعلى هذا، فالتكرار في سورة الرحمن ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، وفي سورة المرسلات ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] تكرار لفائدة عظيمة، وهي أن كل آية مما بين هذه الآية المكررة، فإنها تشمل على نعم عظيمة، وآلاء جسيمة، ثم إن فيها من الفائدة اللفظية التنبيه للمخاطب حيث يكرر عليه ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ويكرر عليه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم قال ﷻ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ «**لكم دينكم**» الذي أنتم عليه، وتدينون به، ولي ديني، فأنا بريء من دينكم، وأنتم بريئون من ديني، قال بعض أهل العلم: وهذه السورة نزلت قبل فرض الجهاد؛ لأنه بعد الجهاد لا يقر الكافر على دينه إلا بالجزية، إن كانوا من أهل الكتاب، وعلى القول الراجح، أو من غيرهم.

ولكن الصحيح أنها لا تنافي الأمر بالجهاد حتى نقول إنها منسوخة، بل هي باقية، ويجب أن نتبرأ من دين اليهود، والنصارى، والمشركين، في كل وقت وحين؛ ولهذا نقر اليهود، والنصارى على دينهم بالجزية، ونحن نعبد الله، وهم يعبدون ما يعبدون، فهذه السورة فيها البراءة، والتخلي من عبادة غير الله ﷻ، سواء في المعبود، أو في نوع الفعل، وفيها الإخلاص لله ﷻ، وأن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له»[1].



(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٣٩- ٣٤٢.

١١٠- تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح

عَنْ عُبَيد اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا ابْنَ عُتْبَةَ، أَتَعْلَمُ آخِرَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قَالَ: صَدَقْتَ»[١].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ، وَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ نُعِيت إِلَيَّ نَفْسِي»، فَبَكَتْ ثُمَّ ضَحِكَتْ، وَقَالَتْ: أَخْبَرَنِي أَنَّهُ نُعيت إِلَيْهِ نفسُه فَبَكَيْتُ، ثُمَّ قَالَ: «اصْبِرِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي»، فَضَحِكْتُ[٢].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا(٣)﴾

١-٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ يُدخلني مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَكَأَنَّ بعضهم وَجد في نفسه، فقال: لم يَدْخل هَذَا مَعَنَا، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُؤِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي فِيهِمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُريهم، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرَنَا أَنْ نحمد اللَّهَ، وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نَصَرَنَا، وفُتح عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَلِكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: مَا تَقُولُ؟ فَقُلْتُ: هُوَ أَجلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ لَهُ، قَالَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، فَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ»[٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ قَدْ نُعِيت إِلَيْهِ نَفْسُهُ، فَقِيلَ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾ السُّورَةُ كُلُّهَا[٤].

وعَنْ أَبِي رَزِين: أَنَّ عُمَرَ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ

(١) السنن الكبرى للنسائي، ١٠/ ٣٤٩، برقم ١١٦٤٩، وهو في صحيح مسلم من طريق ابن أبي شيبة، برقم ٣٠٢٤.
(٢) سنن الدارمي، ١/ ٥١، برقم ٧٩، ودلائل النبوة للبيهقي، ٧/ ١٦٧، وصححه، وصححه حسين سليم أسد في تعليقه على سنن الدارمي.
(٣) صحيح البخاري، برقم ٤٩٧٠.
(٤) مسند أحمد، ٥/ ٢٧٥، برقم ٣٢٠١، وحسّن إسناده محققو المسند.

اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ نُعِيت إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسُهُ»[(١)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾** قَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ: «**النَّاسُ حَيِّزٌ، وَأَنَا وَأَصْحَابِي حَيِّزٌ**»، وَقَالَ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**»، فَقَالَ لَهُ مَرْوان: كَذَبْتَ -وَعِنْدَهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قَاعِدَانِ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ - فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَوْ شَاءَ هَذَانِ لَحَدَّثَاكَ، وَلَكِنَّ هَذَا يَخَافُ أَنْ تَنْزِعَهُ عَنْ عِرَافَةِ قَوْمِهِ، وَهَذَا يَخْشَى أَنْ تَنْزِعَهُ عَنِ الصَّدَقَةِ، فَرَفَعَ مَرْوَانُ عَلَيْهِ الدِّرَّةَ لِيَضْرِبَهُ، فَلَمَّا رَأَيَا ذَلِكَ قَالَا: صَدَقَ»[(٢)].

وَهَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ مَرْوَانُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ، فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ الْفَتْحِ: «**لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَلَكِنْ إِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»[(٣)].

فَالَّذِي فَسَّرَ بِهِ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنْ جُلَسَاءِ عُمَرَ ﷺ أَجْمَعِينَ، مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَمَرَنَا إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْمَدَائِنَ وَالْحُصُونَ أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ، وَنَشْكُرَهُ، وَنُسَبِّحَهُ، يَعْنِي نُصَلِّي له، وَنَسْتَغْفِرَهُ: مَعْنًى مَلِيحٌ، صَحِيحٌ، وَقَدْ ثَبَتَ لَهُ شَاهِدٌ مِنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَقْتَ الضُّحَى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، فَقَالَ قَائِلُونَ: هِيَ صَلَاةُ الضُّحَى، وَأُجِيبُوا بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُوَاظِبُ عَلَيْهَا، فَكَيْفَ صَلَّاهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَقَدْ كَانَ مُسَافِرًا لَمْ يَنْوِ الْإِقَامَةَ بِمَكَّةَ؟ وَلِهَذَا أَقَامَ فِيهَا إِلَى آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ، قَرِيبًا مِنْ تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا، يقصرُ الصَّلَاةَ، ويُفطِر هُوَ وَجَمِيعُ الْجَيْشِ، وَكَانُوا نَحْوًا مِنْ عَشَرَةِ آلَافٍ، قَالَ هَؤُلَاءِ: وَإِنَّمَا كَانَتْ صَلَاةُ الْفَتْحِ، قَالُوا: فَيُسْتَحَبُّ لِأَمِيرِ الْجَيْشِ إِذَا فَتَحَ بَلَدًا أَنْ يُصَلِّيَ فيه أول ما يدخله ثماني ركعات، وَهَكَذَا فَعَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَ فَتَحَ الْمَدَائِنَ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ: يُصَلِّيهَا كُلَّهَا بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ.

وَأَمَّا مَا فَسَّرَ بِهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما مِنْ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نُعِيَ فِيهَا إِلَى رَسُولِ

---

(١) مسند أحمد، ٥/ ٣٥٦، برقم ٣٣٥٣، وحسّن إسناده محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ١٧/ ٢٥٨)، برقم ١١١٦٧، وصححه لغيره محققو المسند.

(٣) صحيح البخاري برقم (١٨٣٤، وصحيح مسلم، برقم ١٣٥٣.

اللهِ ﷺ نَفْسُهُ الْكَرِيمَةُ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا فَتَحْتَ مَكَّةَ، وَهِيَ قَرْيَتُكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَقَدْ فَرَغَ شُغْلُنَا بِكَ فِي الدُّنْيَا، فَتَهَيَّأْ لِلْقُدُومِ عَلَيْنَا، وَالْوُفُودِ إِلَيْنَا، فَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.

٣- وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، قَالَ: نُعِيت لِرَسُولِ اللهِ ﷺ نفسُه حِينَ أُنْزِلَتْ، فَأَخَذَ فِي أَشَدِّ مَا كَانَ اجْتِهَادًا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ: «**جَاءَ الْفَتْحُ، وَجَاءَ نَصْرُ اللهِ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا أَهْلُ الْيَمَنِ؟ قَالَ: «**قوم رقيقة قلوبهم، لَيِّنة قلوبهم، الإيمان يمانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ**»[1].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»[2].

وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكْثِرُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ مِنْ قَوْلِ: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**»، وَقَالَ: «إِنَّ رَبِّي كَانَ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، وَأَمَرَنِي إِذَا رَأَيْتُهَا أَنْ أُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرَهُ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، فَقَدْ رَأَيْتُهَا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾»[3].

قال **الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْمُرَادُ بِالْفَتْحِ هَاهُنَا فَتْحُ مَكَّةَ قَوْلًا وَاحِدًا، فَإِنَّ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَتَلَوَّم بِإِسْلَامِهَا فَتْحَ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنْ ظَهَرَ عَلَى قَوْمِهِ فَهُوَ نَبِيٌّ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَلَمْ تَمْضِ سَنَتَانِ حَتَّى اسْتَوْسَقَتْ جَزِيرَةُ الْعَرَبِ إِيمَانًا، وَلَمْ يَبْقَ فِي سَائِرِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَّا مُظْهِرٌ لِلْإِسْلَامِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ»[4].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: «لَمَّا كَانَ الْفَتْحُ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى

---

(١) سنن النسائي الكبرى، برقم ١١٦٤٨، والمعجم الكبير للطبراني، ١١/ ٣٢٨، برقم ١١٩٠٣، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧/ ١١٠٧.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٦٨، ومسلم، برقم ٤٨٤.
(٣) مسند أحمد، ٤٠/ ٧٥، برقم ٢٤٠٦٥، وصحح إسناده محققو المسند، وهو في صحيح مسلم، برقم ٤٨٤.
(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٩٤.

رسـول الله ﷺ، وَكَانَـتِ الْأَحْيَـاءُ تَتَلَـوَّمُ بِإِسْـلَامِهَا فَـتْحَ مَكَّـةِ، يَقُولُـونَ: دَعُـوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ...» الْحَدِيثُ[١].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذه السورة الكريمة بشارة، وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك، فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به، وأما الأمر بعد حصـول النصـر والفـتح، فـأمر رسـوله أن يشـكر ربـه علـى ذلـك، ويسـبح بحمـده ويستغفره، وأما الإشارة، فإن في ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقـول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقـد وجـد ذلـك فـي زمـن الخلفـاء الراشدين، وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرًا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان، ودخل فيه ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمـة مـن مخالفـة أمـر الله مـا حـدث، فـابتلاهم الله بتفـرق الكلمـة، وتشـتت الأمـر، فحصل ما حصل، ومع هذا فلهذه الأمة، وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال، وأما الإشـارة الثانيـة، فهـي الإشـارة إلـى أن أجـل رسول الله ﷺ قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به، وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك، فأمر الله لرسوله بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه، فكان ﷺ يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر «**أن يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»[٢]»[٣].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ الخطاب للنبي ﷺ، «**نصـر الله**» النصـر هـو تسـليط الله الإنسـان علـى عـدوه، بحيـث يـتمكن منـه،

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٣٠٢.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧٩٤، ومسلم، برقم ٤٨٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٦- ١١٠٧.

ويخذله، ويكبته، والنصر أعظم سرور يحصل للعبد في أعماله؛ لأن المنتصر يجد نشوة عظيمة، وفرحاً، وطرباً، لكنه إذا كان بحق فهو خير، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**»[1]، أي أن عدوه مرعوب منه إذا كان بينه وبينه مسافة شهر، والرعب أشد شيء يفتك بالعدو، لأن من حصل في قلبه الرعب لا يمكن أن يثبت أبداً، بل سيطير طيران الريح فقوله: ﴿**إذا جاء نصر الله**﴾ أي نصر الله إياك على عدوك «والفتح» معطوف على النصر، وعطفه على النصر مع أن الفتح من النصر تنويه بشأنه، وهو من باب عطف الخاص على العام، كقوله تعالى: ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**﴾ [القدر: ٤]، أي: في ليلة القدر، فجبريل من الملائكة، وخصه لشرفه، و(ال) في الفتح للعهد الذهني، أي: الفتح المعهود المعروف في أذهانكم، وهو فتح مكة، وكان فتح مكة في رمضان من السنة الثامنة للهجرة، وسببه أن النبي ﷺ لما صالح قريشاً في الحديبية في السنة السادسة - الصلح المشهور - نقضت قريش العهد، فغزاهم النبي ﷺ، وخرج إليهم من المدينة بنحو عشرة آلاف مقاتل خرج مختفياً...

فلم يفجأهم إلا وهو محيط بهم، ودخل مكة في العشرين من رمضان، من السنة الثامنة للهجرة، مظفراً منصوراً مؤيداً، حتى إنه في النهاية اجتمع إليه كفار قريش حول الكعبة، فوقف على الباب، وقريش تحته ينتظرون ما يفعل، فأخذ بعضادتي الباب، وقال: **يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟** وهو الذي كان قبل ثمان سنوات هارباً منهم، وصاروا الآن في قبضته، وتحت تصرفه، قال: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ**﴾ [يوسف: ٩٢]، **اذهبوا فأنتم الطلقاء**[2]، فعفا عنهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، هذا الفتح سماه الله فتحاً مبيناً، فقال تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**﴾ [الفتح: ١]، أي: بيناً، عظيماً، واضحاً، ولما حصل عرف الناس جميعاً أن العاقبة لمحمد ﷺ، وأن دور قريش، وأتباعها

(١) صحيح البخاري، برقم ٣٣٥، ومسلم، برقم ٥٢١.
(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ٩/ ٢٠٠، موقوفاً على أبي يوسف، وهي في سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٢، وعنه السيرة النبوية لابن كثير، ٣/ ٥٧٠.

قد انقضى، فصار الناس ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: جماعات بعد أن كانوا يدخلون فيه أفراداً، ولا يدخل فيه الإنسان في بعض الأحوال إلا مختفياً، وصاروا يدخلون في دين الله أفواجاً، وصارت الوفود ترد على النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في المدينة من كل جانب حتى سمي العام التاسع «**عام الوفود**» يقول الله عز وجل إذا رأيت هذه العلامة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ كان المتوقع أن يكون الجواب، فاشكر الله على هذه النعمة، واحمد الله عليها، ولكن ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٣- ٢٤].

كان المتوقع فاشكر ربك على هذا التنزيل، وقم بحقه، ولكن قال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إيذاناً بأنه سوف ينال أذىً بواسطة إبلاغ هذا القرآن ونشره بين الأمة ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ عند التأمل تتبين الحكمة، فالمعنى أنه إذا جاء نصر الله والفتح، فقد قرب أجلك، وما بقي عليك إلا التسبيح بحمد ربك والاستغفار ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: سبحه تسبيحاً مقروناً بالحمد، والتسبيح: تنزيه الله تعالى عما لا يليق بجلاله، والحمد: هو الثناء عليه بالكمال مع المحبة، والتعظيم، اجمع بين التنزيه وبين الحمد «واستغفره» يعني اسأله المغفرة، فأمره الله تعالى بأمرين:

الأمر الأول: التسبيح المقرون بالحمد.

والثاني: الاستغفار، والاستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة ستر الله تعالى على عبده ذنوبه، مع محوها، والتجاوز عنها، وهذا غاية ما يريد العبد، لأن العبد كثير الذنب يحتاج إلى مغفرة إن لم يتغمده الله برحمته هلك، ولهذا قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته**»[1]؛ لأن عملك هذا لو أردت أن تجعله في مقابلة نعمة من النعم، نعمة واحدة لأحاطت به النعم، فكيف يكون عوضاً تدخل به الجنة؟ ولهذا قال بعض العارفين في نظم له:

(١) البخاري، برقم ٦٤٦٣، ومسلم، وبرقم ٢٨١٦.

إذا كـان بشـكري نعمـة الله نعمـة | علـي لـه فـي مثلها يجـب الشـكر
فكيـف بلـوغ الشـكر إلا بفضلـه | وإن طالـت الأيـام واتصـل العمـر

﴿إنه كان تواباً﴾ أي: لم يزل ﷻ تواباً على عباده، فإذا استغفرته تاب عليك، هذا هو معنى السورة، لكن السورة لها مغزى عظيم، لا يتفطن له إلا الأذكياء؛ ولهذا لما سمع عمر بن الخطاب ﷺ أن الناس انتقدوه في كونه يُدني عبد الله بن عباس ﷺ مع صغر سنه، ولا يدني أمثاله من شباب المسلمين، وعمر ﷺ من أعدل الخلفاء، أراد أن يبين للناس أنه لم يحابِ ابن عباس في شيء، فجمع كبار المهاجرين والأنصار في يوم من الأيام، ومعهم عبد الله بن عباس، وقال لهم: ما تقولون في هذه السورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ حتى ختم السورة، ففسروها بحسب ما يظهر فقط، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله، ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئاً، فقال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: يا أمير المؤمنين، هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه الله له: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فقال عمر: «والله ما أعلم منها إلا ما تعلم»[١]، فتبين بذلك فضل ابن عباس، وتميزه، وأن عنده من الذكاء والمعرفة بمراد الله ﷻ، لما نزلت هذه السورة جعل رسول الله ﷺ الذي هو أشد الناس عبادة لله، وأتقاهم لله جعل يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»[٢]، فنقول: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين»[٣].



---

(١) البخاري، برقم ٤٢٩٤.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٤- ٣٤٧.

١١١- تفسير سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٤) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٥) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٦)﴾

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَصَعِدَ الْجَبَلَ فَنَادَى: «**يَا صَبَاحَاهُ**»، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ حدثتكم أَنَّ الْعَدُوَّ مُصبحكم أَوْ مُمْسيكم، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟**»، قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَإِنِّي نذيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٌ شَدِيدٍ**»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إِلَى آخِرِهَا»[(١)].

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَامَ يَنْفُضُ يَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ. أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[(٢)].

الْأَوَّلُ دُعَاءٌ عَلَيْهِ، وَالثَّانِي خَبَرٌ عَنْهُ، فَأَبُو لَهَبٍ هَذَا هُوَ أَحَدُ أَعْمَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عُتبة، وَإِنَّمَا سُمِّيَ «أَبَا لَهَبٍ» لِإِشْرَاقِ وَجْهِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَذِيَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْبُغْضَةِ لَهُ، وَالِازْدِرَاءِ بِهِ، وَالتَّنَقُّصِ لَهُ وَلِدِينِهِ.

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ -يُقَالُ لَهُ: رَبِيعَةُ بْنُ عَبَّادٍ، مِنْ بَنِي الدِّيلِ، وَكَانَ جَاهِلِيًّا فَأَسْلَمَ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أحولُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتْبَعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقَالُوا: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ»[(٣)].

١- فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، أَيْ: خَسِرَتْ، وَخَابَتْ، وَضَلَّ عَمَلُهُ وَسَعْيُهُ، ﴿وَتَبَّ﴾، أَيْ: وَقَدْ تَبَّ تَحَقُّقُ خَسَارَتِهِ وَهَلَاكِهِ.

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٤٩٧٢، ومسلم، برقم ٢٠٨.
(٢) صحيح البخاري، برقم ١٣٩٤، ٣٥٢٥،٤٨٠١) .
(٣) مسند أحمد، ٣١/ ٣٤٢، برقم ١٩٠٠٤، وصححه لغيره محققو المسند.

٢- وَقَوْلُهُ: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾، يَعْنِي: وَلَدَهُ، وَرُوِي عَنْ عَائِشَةَ، وَمُجَاهِدٍ، وَعَطَاءٍ، وَالْحُسْنِ، وَابْنِ سِيرِينَ، مِثْلَهُ، وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لما دعا قَوْمَهُ إِلَى الْإِيمَانِ، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: إِذَا كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا، فَإِنِّي أَفْتَدِي نَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ بِمَالِي، وَوَلَدِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

٣- وَقَوْلُهُ: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أَيْ: ذَاتَ شَرَرٍ، وَلَهِيبٍ، وَإِحْرَاقٍ شَدِيدٍ.

٤- ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ سَادَاتِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَهِيَ: أُمُّ جَمِيلٍ، وَاسْمُهَا أَرْوَى بنت حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَهِيَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَكَانَتْ عَوْنًا لِزَوْجِهَا عَلَى كُفْرِهِ، وَجُحُودِهِ، وَعِنَادِهِ؛ فَلِهَذَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَونًا عَلَيْهِ فِي عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، يَعْنِي: تَحْمِلُ الْحَطَبَ فَتُلْقِي عَلَى زَوْجِهَا، لِيَزْدَادَ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ، وَهِيَ مُهَيَّأَة لِذَلِكَ مُسْتَعِدَّةٌ لَهُ.

٥- ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعُرْوَةُ: مِنْ مَسد النَّارِ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالثَّوْرِيِّ، وَالسُّدِّيِّ: ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾: كَانَتْ تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَطِيَّةَ الْجَدَلِيِّ، وَالضَّحَّاكِ، وَابْنِ زَيْدٍ: كَانَتْ تَضَعُ الشَّوْكَ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقِيلَ: كَانَتْ تُعَيِّرُ النَّبِيَّ ﷺ بِالْفَقْرِ، وَكَانَتْ تَحْتَطِبُ، فَعُيِّرَتْ بِذَلِكَ. كَذَا حَكَاهُ، وَلَمْ يَعْزُهُ إِلَى أَحَدٍ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ(١).

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: كَانَتْ لَهَا قِلَادَةٌ فَاخِرَةٌ، فَقَالَتْ: لَأُنْفِقَنَّهَا فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ، يَعْنِي: فَأَعْقَبَهَا اللَّهُ بِهَا حَبْلًا فِي جِيدِهَا من مسد النار.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: الْمَسَدُ: اللِّيفُ.

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: الْمَسَدُ: سِلْسِلَةٌ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَعَنِ الثَّوْرِيِّ: هُوَ قِلَادَةٌ مِنْ نَارٍ، طُولُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٩٧.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: المَسَدُ: اللِّيفُ، والمَسَد أَيْضًا: حَبْلٌ مِنْ لِيفٍ، أَوْ خُوصٍ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ أَوْ أَوْبَارِهَا، وَمَسَدْتُ الْحَبْلَ أمسدُهُ مَسْدًا: إِذَا أَجْدتُ فتله.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، أَيْ: طَوْقٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْعَرَبَ يُسَمُّوْنَ البَكْرة مَسَدًا؟

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ، وَلَهَا وَلْوَلَةٌ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ، وَهِيَ تَقُولُ، لعنها الله:

مُذَمَّمًا أَبَيْنَا ودينَه قَلَينا

وَأَمْرَه عَصَينا

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَرَاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**»، وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا**﴾ [الإسراء: ٤٥]، فَأَقْبَلَتْ حَتَّى وَقَفَتْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي؟ قَالَ: لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ، فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي ابْنَةُ سَيِّدِهَا، قَالَ: وَقَالَ الْوَلِيدُ فِي حَدِيثِهِ أَوْ غَيْرِهِ: فعثَرت أُمُّ جَمِيلٍ فِي مِرْطها، وَهِيَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَتْ: تَعس مُذَمَّم، فَقَالَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي لحصان، فَمَا أكلَّم، وثَقَاف فَمَا أعلَّم، وَكُلُّنَا مِنْ بَنِي الْعَمِّ، وَقُرَيْشٌ بَعْدُ أَعْلَمُ[١].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى النُّبُوَّةِ، فَإِنَّهُ مُنْذُ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، فَأَخْبَرَ عَنْهُمَا بِالشَّقَاءِ، وَعَدَمِ الْإِيمَانِ، لَمْ يُقَيِّضْ لَهُمَا أَنْ يُؤْمِنَا، وَلَا وَاحِدَ مِنْهُمَا، لَا ظَاهِرًا، وَلَا بَاطِنًا، لَا مُسِرًّا، وَلَا مُعْلِنًا، فَكَانَ هَذَا مِنْ أَقْوَى الْأَدِلَّةِ الْبَاهِرَةِ عَلَى النُّبُوَّةِ الظَّاهِرَةِ[٢].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: خسرت يداه، وشقي

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٧٢، ودلائل النبوة لأبي نعيم، ص ٥٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٣٩٣، وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٤٩٩.

﴿وَتَبَّ﴾ فلم يربح، ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذي كان عنده، وأطغاه، ولا ما كسبه، فلم يرد عنه شيئًا من عذاب الله إذ نزل به، ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾، أي: ستحيط به النار من كل جانب، هو ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾، وكانت أيضًا شديدة الأذية لرسول الله ﷺ، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول ﷺ، وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطبًا، قد أعد له في عنقه حبلا ﴿مِنْ مَسَدٍ﴾ أي: من ليف، أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلاً من مسد، وعلى كل، ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامرأته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار، ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ وهذا رد على أبي لهب حين جمعهم النبي ﷺ ليدعوهم إلى الله، فبشر وأنذر، قال أبو لهب: تبًّا لك ألهذا جمعتنا[2]، قوله: «ألهذا جمعتنا» إشارة للتحقير، يعني هذا أمر حقير لا يحتاج أن يُجمع له زعماء قريش وهذا كقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، والمعنى تحقيره، فليس بشيء، ولا يهتم به كما قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١]، فالحاصل أن أبا لهب قال: تبًّا لك ألهذا جمعتنا، فرد الله عليه بهذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ والتباب الخسار، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧]، أي: خسار. وبدأ بيديه قبل ذاته؛ لأن اليدين هما آلتا العمل والحركة، والأخذ والعطاء، وما أشبه ذلك، وهذا اللقب: أبو لهب، لقب مناسب تماماً لحاله ومآله، وجه المناسبة أن هذا الرجل سوف يكون في نار تلظى، تتلظى لهباً عظيماً مطابقة لحاله ومآله، يقول الشاعر:

قل إن أبصرت عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٧.

(٢) البخاري، برقم ٤٩٧٣، ومسلم، برقم ٢٠٨.

ولما أقبل سهيل بن عمرو في قصة غزوة الحديبية قال الرسول ﷺ: «**هذا سهيل بن عمرو، وما أراه إلا سهل لكم من أمركم**»[١]؛ لأن الاسم مطابق للفعل.

يقول الله ﷻ: ﴿**ما أغنى عنه ماله**﴾ «ما» هذه يحتمل أن تكون استفهامية، والمعنى: أي شيء أغنى عنه ماله وما كسب؟ والجواب: لا شيء، ويحتمل أن تكون (ما) نافية، أي: ما أغنى عنه، أي: لم يغنِ عنه ماله، وما كسب شيئاً، وكلا المعنيين متلازمان، ومعناهما: أن ماله وما كسب لم يغنِ عنه شيئاً، مع أن العادة أن المال ينفع، فالمال يفدي به الإنسان نفسه، لو تسلط عليه عدو وقال: أنا أعطيك كذا، وكذا من المال، وأطلقني، يطلقه، لكن قد يطلب مالاً كثيراً أو قليلاً، ولو مرض انتفع بماله، ولو جاع انتفع بماله، فالمال ينفع، لكن النفع الذي لا ينجي صاحبه من النار، ليس بنفع؛ ولهذا قال: ﴿**ما أغنى عنه ماله**﴾، يعني من الله شيئاً قوله: ﴿**وما كسب**﴾، قيل المعنى: وما كسب من الولد، كأنه قال: ما أغنى عنه ماله وولده، كقول نوح: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا**﴾ [نوح: ٢١]، فجعلوا قوله: ﴿**وما كسب**﴾ يعني بذلك الولد، وأيدوا هذا القول بقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ**»[٢].

والصواب أن الآية أعم من هذا، وأن الآية تشمل الأولاد، وتشمل المال المكتسب الذي ليس في يده الآن، وتشمل ما كسبه من شرف وجاه، كل ما كسبه مما يزيده شرفاً وعزًّا فإنه لا يُغني عنه شيئاً ﴿**مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ**﴾ السين في قوله: «سيصلى» للتنفيس المفيد للحقيقة والقرب، يعني أن الله تعالى توعده بأنه سيصلى ناراً ذات لهب عن قريب؛ لأن متاع الدنيا والبقاء في الدنيا مهما طال، فإن الآخرة قريبة، حتى الناس في البرزخ، وإن مرت عليهم السنون الطوال، فكأنها ساعة ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وشيء مقدر بساعة من نهار فإنه قريب. ﴿**وامرأته حمالة**

---

(١) البخاري، برقم ٢٧٣١، ومسلم، برقم ١٨٦٦.

(٢) مسند أحمد، ٤٢/ ١٧٦، برقم ٢٥٢٩٦، وحسنه لغيره محققو المسند، وسنن الترمذي، برقم ٦٣٩، وسنن ابن ماجه، ٢٢٩٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ١/ ٣٢٦، برقم ٢٤٤٦.

﴿الحطب﴾ يعني: كذلك امرأته معه، وهي امرأة من أشراف قريش، لكن لم يغنِ عنها شرفها شيئاً؛ لكونها شاركت زوجها في العداء والإثم، والبقاء على الكفر، وقوله: ﴿حمالة الحطب﴾ قُرئت بالنصب والرفع، أما النصب، فإنها تكون حالاً لامرأة، يعني وامرأته حال كونها حمالة الحطب، أو تكون منصوبة على الذم؛ لأن النعت المقطوع يجوز نصبه على الذم، أي: أذم حمالة الحطب، وأما على قراءة الرفع، فهي صفة لامرأة ﴿حمالة الحطب﴾ «حمالة» صيغة مبالغة، أي: تحمله بكثرة، وذكروا أنها تحمل الحطب الذي فيه الشوك، وتضعه في طريق النبي ﷺ من أجل أذى الرسول ﷺ، ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ الجيد: العنق، والحبل معروف، والمسد: الليف، يعني: أنها متقلدة حبلاً من الليف، تخرج به إلى الصحراء لتربط به الحطب الذي تأتي به لتضعه في طريق النبي ﷺ، نعوذ بالله من ذلك، وهو إشارة إلى دنو نظرتها، وأنها أهانت نفسها، امرأة من قريش من أكابر قبائل قريش، تخرج إلى الصحراء، وتضع هذا الحبل في عنقها، وهو من الليف مع ما فيه من المهانة، لكن من أجل أذية الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نسأل الله العافية»[1].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٤٩- ٣٥٢.

١١٢- تَفْسِيرُ سُورَةِ الإِخْلَاصِ

ذِكْرُ سَبَبِ نُزُولِهَا وَفَضِيلَتِهَا

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)**﴾[1].

وعَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّة، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِـ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾، فَلَمَّا رَجعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**سَلُوهُ: لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ**»»[2].

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَؤُمهم فِي مَسْجِدِ قُبَاء، فَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ، افْتَتَحَ بِـ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ حَتَّى يَفرُغ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فكلّمه أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِالْأُخْرَى، فَإِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَدعَهَا، وتَقرأ بِأُخْرَى، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَونَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤمهم غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَخبرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «**يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا حَملَكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟**»، قَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، قَالَ: «**حُبك إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**»[3].

هَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا مَجْزُومًا بِهِ[4].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ «أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلا يَقْرَأُ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ

---

(١) مسند أحمد، ٣٥/ ١٤٣، برقم ٢١٢١٩، وضعفه محققو المسند، والترمذي، برقم ٣٣٦٤، وتفسير الطبري، ٢٤/ ٦٨٧، والتوحيد لابن خزيمة، ١/ ٩٦، والسنة لابن أبي عاصم، ١/ ٢٩٨، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ٢/ ٥٨٩، وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (ص: ٤٣٩)، وقال: «حسن دون قوله: «والصمد الذي..» ظلال الجنة، ٦٦٣، التحقيق الثاني».

(٢) صحيح البخاري، برقم ٧٣٧٥، ومسلم، برقم ٨١٣.

(٣) صحيح البخاري برقم ٧٧٤.

(٤) صحيح البخاري، ١/ ١٥٥، قبل الحديث رقم ٧٧٥.

ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لِتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احشُدوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَحُشِدَ مَنْ حُشِدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، إِنِّي لَأُرَى هَذَا خَبَرًا جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ: سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا وَإِنَّهَا تَعدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[٣].

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فِي لَيْلَةٍ، فَقَدْ قَرَأَ لَيْلَتَئِذٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[٤].

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَوْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِـ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ»[٥].

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أيعجزُ أحدُكم أَنْ يقرأ في ليلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟»، قَالُوا: وكيفَ نقرأُ ثلثَ القرآنِ؟ قالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[٦].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبيب، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَصَابَنَا عطَش وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي لَنَا، فَخَرَجَ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: «قُلْ»، فَسَكَتُّ، قَالَ: «قُلْ»، قُلْتُ: مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، تَكْفِكَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ»[٧].

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٧٣٧٤.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٥٠١٥.

(٣)صحيح مسلم، برقم ٨١٢.

(٤) مسند أحمد، ٣٨/ ٥٣٦، برقم ٢٣٥٥٤، وصححه لغيره محققو المسند.

(٥) مسند أحمد، ٣٥/ ١٩٧، برقم ٢١٢٧٥، وصححه لغيره محققو المسند.

(٦) صحيح مسلم، برقم ٨١١.

(٧) مسند أحمد، ٣٧/ ٣٣٥، برقم ٢٢٦٦٤، وحسنه محققو المسند، والترمذي، برقم ٣٥٧٥، وأبو داود، برقم ٥٠٨٢، والنسائي، برقم ٥٤٢٩، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٤١١، برقم ٦٤٩.

وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيدة، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي، يَدْعُو يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُك بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[١].

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَابْتَدَأْتُهُ فأخذت بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِمَ نَجَاةُ الْمُؤْمِنِ؟ قَالَ: «**يَا عُقْبَةُ، احْرُسْ لِسَانَكَ، وَلِيَسَعْكَ بيتُك، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»، قَالَ: ثُمَّ لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَابْتَدَأَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي، فَقَالَ: «**يَا عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ ثَلَاثِ سُوَرٍ أُنْزِلَتْ فِي التوراة، والإنجيل، وَالزَّبُورِ، وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «**فَأَقْرَأَنِي**: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾، وَ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾، وَ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُقْبَةُ، لَا تَنْسَهُن، وَلَا تُبِتْ لَيْلَةً حَتَّى تَقْرَأَهُنَّ**»، قَالَ: فَمَا نَسِيتُهُنَّ مُنْذُ قَالَ: «**لَا تَنْسَهُنَّ**»، وَمَا بِتُّ لَيْلَةً قَطُّ حَتَّى أَقْرَأَهُنَّ، قَالَ عُقْبَةُ، ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَابْتَدَأْتُهُ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الْأَعْمَالِ، فَقَالَ: «**يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وأَعْطِ مَنْ حَرَمَك، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»[٢].

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُل لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾، وَ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾، وَ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، وَهَكَذَا رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ، مِنْ حَدِيثِ عُقَيل بِهِ[٣].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)**﴾

---

(١) سنن أبي داود، برقم ١٤٩٣، وسنن الترمذي، برقم ٣٤٧٥، وسنن ابن ماجه، برقم ٣٨٥٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٢٩، برقم ١٣٤١.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٦٩، برقم ١٧٣٣٤، وحسنه محققو المسند، والترمذي، برقم ٢٤٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ١٣٩٢.

(٣) صحيح البخاري برقم، ٥٠١٧.

١- قَالَ عِكْرِمَةُ: لَمَّا قَالَتِ الْيَهُودُ: نَحْنُ نعبد عُزَيرَ ابْنَ اللهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ، وَقَالَتِ الْمَجُوسُ: نَحْنُ نَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ، أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، يَعْنِي: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ، وَلَا شَبِيهَ، وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطلَق هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﷻ؛ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

٢- وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، قَالَ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِي يَصْمُدُ الْخَلَائِقُ إِلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ، وَمَسَائِلِهِمْ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظْمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْعَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ، لَيْسَ لَهُ كُفْءٌ، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار.

وَقَالَ الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ: ﴿الصَّمَدُ﴾: السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدُدُهُ، وَرَوَاهُ عاصم، عن أَبِي وَائِلٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، مِثْلَهُ.

وَقَالَ مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: ﴿الصَّمَدُ﴾: السَّيِّدُ، وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: هُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ أَيْضًا: ﴿الصَّمَدُ﴾: الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ﴿الصَّمَدُ﴾: الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يُطْعَمُ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، كَأَنَّهُ جَعَلَ مَا بَعْدَهُ تَفْسِيرًا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، وَهُوَ تَفْسِيرٌ جَيِّدٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرِيدة، وَعِكْرِمَةُ أَيْضًا، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ: ﴿الصَّمَدُ﴾: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

قَالَ سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿الصَّمَدُ﴾: الْمُصْمَتُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ.

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ.
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيدة أَيْضًا: ﴿الصَّمَدُ﴾: نُورٌ يَتَلَأْلَأُ.

٣-٤- وَقَوْلُهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، أَيْ: لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَا وَالِدٌ، وَلَا صَاحِبَةٌ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، يَعْنِي: لَا صَاحِبَةَ لَهُ.

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠١]، أَيْ: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَوْ قَرِيبٌ يُدَانِيهِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨، ١٥٩]، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: «**لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ**»[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيرة، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**»[(٢)].

وقال **العلامة السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿قُلْ﴾ قولاً جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال،

---

(١) صحيح البخاري، برقم ٦٠٩٩.
(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٧٤، وبرقم ٤٩٧٥.

الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل، ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج، فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم؛ لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، ومن كماله أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ لا في أسمائه، ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى، فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات»[1].

وقال **العلامة ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر في سبب نزول هذه السورة: أن المشركين أو اليهود قالوا للنبي ﷺ: صف لنا ربك؟ فأنزل الله هذه السورة، ﴿**قل**﴾ الخطاب للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وللأمة أيضاً، و﴿**هو الله أحد**﴾ «هو» ضمير الشأن عند المعربين، ولفظ الجلالة «**الله**» هو خبر المبتدأ، و«أحد» خبر ثان، ﴿**الله الصمد**﴾ جملة مستقلة، ﴿**الله أحد**﴾ أي هو الله الذي تتحدثون عنه، وتسألون عنه «أحد»، أي: متوحد بجلاله وعظمته، ليس له مثيل، وليس له شريك، بل هو متفرد بالجلال والعظمة عَزَّ وَجَلَّ، ﴿**الله الصمد**﴾ جملة مستقلة، بين الله تعالى أنه «**الصمد**» أجمع ما قيل في معناه: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته، فقد روي عن ابن عباس **أن الصمد هو الكامل في علمه، الكامل في حلمه، الكامل في عزته، الكامل في قدرته**، إلى آخر ما ذكر في الأثر، وهذا يعني أنه مستغنٍ عن جميع المخلوقات؛ لأنه كامل، وورد أيضاً في تفسيرها أن الصمد **هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها**، وهذا يعني أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه، وعلى هذا فيكون المعنى الجامع للصمد هو: الكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته. ﴿**لم يلد**﴾ لأنه جل وعلا لا مثيل له، والولد مشتق من والده وجزء منه كما قال النبي ﷺ في فاطمة: «**إنها بَضْعَةٌ مني**»[2]، والله جل وعلا لا مثيل له، ثم إن الولد إنما يكون للحاجة إليه: إما في المعونة على مكابدة الدنيا، وإما في الحاجة إلى بقاء النسل، والله عَزَّ وَجَلَّ مستغنٍ عن

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٧.

(٢) البخاري، برقم ٣٧١٤، ومسلم، برقم ٢٤٤٩.

ذلك؛ فلهذا لم يلد؛ لأنه لا مثيل له؛ ولأنه مستغن عن كل أحد ﷻ، وقد أشار الله ﷻ إلى امتناع ولادته أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، فالولد يحتاج إلى صاحبة تلده، وكذلك هو خالق كل شيء، فإذا كان خالق كل شيء فكل شيء منفصل عنه بائن منه، وفي قوله: ﴿لم يلد﴾ رد على ثلاث طوائف منحرفة من بني آدم، وهم: المشركون، واليهود، والنصارى؛ لأن المشركين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، وقالوا: إن الملائكة بنات الله، واليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، فكذبهم الله بقوله: ﴿لم يلد ولم يولد﴾؛ لأنه ﷻ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكيف يكون مولوداً؟! ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ أي: لم يكن له أحد مساوياً في جميع صفاته، فنفى الله ﷻ عن نفسه أن يكون والداً، أو مولوداً، أو له مثيل، وهذه السورة لها فضل عظيم، قال النبي ﷺ: «**إنها تعدل ثلث القرآن**»[١]، لكنها تعدله، ولا تقوم مقامه، فهي تعدل ثلث القرآن، لكن لا تقوم مقام ثلث القرآن، بدليل أن الإنسان لو كررها في الصلاة الفريضة ثلاث مرات لم تكفه عن الفاتحة، مع أنه إذا قرأها ثلاث مرات، فكأنما قرأ القرآن كله، لكنها لا تجزئ عنه، ولا تستغرب أن يكون الشيء معادلاً للشيء، ولا يجزئ عنه، فها هو النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبر أن من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فكأنما أعتق أربعة أنفس من بني إسماعيل، أو من ولد إسماعيل»[٢]، ومع ذلك لو كان عليه رقبة كفارة، وقال هذا الذكر، لم يكفه عن الكفارة، فلا يلزم من معادلة الشيء للشيء أن يكون قائماً مقامه في الإجزاء.

هذه السورة كان الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقرأ بها في الركعة الثانية في سنة الفجر، وفي سنة المغرب، وفي ركعتي الطواف، وكذلك يقرأ بها في الوتر، لأنها مبنية على الإخلاص التام لله؛ ولهذا تسمى سورة الإخلاص» [٣].



(١) البخاري، برقم ٥٠١٥.

(٢) البخاري، برم ٦٤٠٤، ومسلم، برقم ٢٦٩٣.

(٣) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص٣٥٣- ٣٥٦.

تَفْسِيرُ سُورَتَي الْمُعَوِّذَتَيْنِ

عَنْ زِرِّ بْنُ حُبَيْش قَالَ: قُلْتُ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: إِنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام، قَالَ لَهُ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، فَقُلْتُهَا، قَالَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، فَقُلْتُهَا، فَنَحْنُ نَقُولُ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ»[١].

وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، وَحَدَّثَنَا عَاصِمٌ عَنْ زِرٍّ، قَالَ: سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّ أَخَاكَ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**قِيلَ لِي، فَقُلْتُ**»، فَنَحْنُ نَقُولُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٢].

قال **الإمام ابن كثير** رحمه الله: «وَهَذَا مَشْهُورٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْفُقَهَاءِ: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ لَا يَكْتُبُ الْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي مُصْحَفِهِ، فَلَعَلَّهُ لَمْ يَسْمَعْهُمَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ يَتَوَاتَرْ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَعَلَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ ذَلِكَ إِلَى قَوْلِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم كَتَبُوهُمَا فِي الْمَصَاحِفِ الْأَئِمَّةِ، وَنَفَّذُوهَا إِلَى سَائِرِ الْآفَاقِ كَذَلِكَ، وَلِلهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ»[٣].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»[٤].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُودُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي نَقبٍ مِنْ تِلْكَ النِّقَابِ، إِذْ قَالَ لِي: «**يَا عُقْبَةُ، أَلَا تركب؟**»، قَالَ: فَأَجْلَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ أَرْكَبَ مَرْكَبَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُقيب، أَلَا تَرْكَبُ؟**»، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً، قَالَ: فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَكِبْتُ هُنَيْهَةً، ثُمَّ رَكِبَ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُقَيْبُ، أَلَا أُعلمك سُورَتَيْنِ مِنْ خَيْرِ سُورَتَيْنِ قَرَأَ بِهِمَا النَّاسُ؟**»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَقْرَأَنِي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَ بِهِمَا، ثُمَّ مَرَّ بِي فَقَالَ: «**كَيْفَ رَأَيْتَ**

---

(١) مسند أحمد، ٣٥/ ١١٦، برقم ٢١١٨٦، وصححه محققو المسند.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٤٩٧٦، ورقم ٤٩٧٧، والسنن الكبرى للنسائي، ١٠/ ٣٥١، برقم ١١٦٥٣.

(٣) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٥١٧.

(٤) صحيح مسلم، برقم ٨١٤ .

يَا عُقَيْبُ، اقْرَأْ بِهِمَا كُلَّمَا نِمْتَ، وَكُلَّمَا قُمْتَ»(١).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ»(٢).

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا»(٣).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُهْدِيَتْ لَهُ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ، فَرَكِبَهَا فَأَخَذَ عُقْبَةُ يَقُودُهَا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، فَأَعَادَهَا لَهُ حَتَّى قَرَأَهَا، فَعَرَفَ أَنِّي لَمْ أَفْرَحْ بِهَا جِدًّا، فَقَالَ: «لَعَلَّكَ تَهَاوَنْتَ بِهَا؟ فَمَا قُمْتَ تَصِلِي بِشَيْءٍ مِثْلِهَا»(٤).

وَعَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَيْهِ، رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»(٥).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ أَعْيُنِ الْجَانِّ، وَعَيْنِ الْإِنْسَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا، وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا»(٦).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: «أَصَلَّيْتُمْ؟» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ»، فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»(٧).



(١) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٢٨، برقم ١٧٢٩٦، وصحح إسناده محققو المسند.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٦٣٣، برقم ١٧٤١٧، وصححه محققو المسند، وأبو داود، برقم ١٥٢٣، والترمذي، برقم ٢٩٠٣، والنسائي، برقم ١٣٣٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٥٤، برقم ١٣٦٣.

(٣) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٦٠، برقم ١٧٣٢٢، وصححه محققو المسند.

(٤) مسند أحمد، ٢٨/ ٥٧٦، برقم ١٧٣٤٢، وصححه محققو المسند، وسنن النسائي، برقم ٥٤٣٣.

(٥) صحيح البخاري، ٦/ ١٩٠، برقم ٥٠١٦، ومسلم، برقم ٣٩٠٢، وسنن أبي داود، برقم ٣٩٠٢، وسنن النسائي الكبرى، ٤/ ٢٥٥، برقم ٧٠٨٦، وسنن ابن ماجه، برقم ٣٥٢٩.

(٦) سنن الترمذي، برقم ٢٠٥٨، سنن النسائي، برقم ٥٤٩٤، سنن ابن ماجه، برقم ٣٥١١، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٨٨٢، برقم ٤٩٠٢.

(٧) سنن أبي داود، برقم ٥٠٨٢، واللفظ له، والترمذي، برقم ٣٥٧٥، والنسائي، برقم ٥٤٢٨، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٥٨، برقم ٦٤٩.

١١٣- تَفْسِيرُ سورة الفلق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)﴾

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: الْفَلَقُ: الصُّبْحُ[١].

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الْفَلَقِ﴾ الصُّبْحُ، ورُوِي عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُقَيْلٍ، وَالْحُسْنِ، وَقَتَادَةَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَابْنِ زَيْدٍ، وَمَالِكٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، مِثْلَ هَذَا.

قَالَ الْقُرَظِيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ: وَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿الْفَلَقِ﴾ الْخَلْقِ، وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ: أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَتَعَوَّذَ مِنَ الْخَلْقِ كُلِّهِ.

وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: ﴿الْفَلَقِ﴾: بَيْتٌ فِي جَهَنَّمَ، إِذَا فُتِحَ صَاحَ جَمِيعُ أَهْلِ النَّارِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهِ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ: ﴿الْفَلَقِ﴾ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ[٢].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ[٣]: وَالصَّوَابُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ، أَنَّهُ فَلَقُ الصُّبْحِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ[٤].

٢- وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، أَيْ: مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَقَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: جَهَنَّمُ، وَإِبْلِيسُ، وَذُرِّيَّتُهُ مِمَّا خَلَقَ.

٣- ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ: غاسقُ الليلُ إذا وقب غُرُوبُ الشَّمْسِ، حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْهُ[٥].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٤٧٥ .
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٥٢٣.
(٣) تفسير الطبري، ٢٤/ ٧٠١.
(٤) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٩٧٦.
(٥) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٩٧٦.

وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وخُصَيف، وَالْحُسْنُ، وقتادة: إنه الليل إذا أقبل بظلامه.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: الشَّمْسُ إِذَا غَرَبَتْ.

وَعَنْ عَطِيَّةَ وَقَتَادَةَ: إِذَا وَقَبَ اللَّيْلُ: إِذَا ذَهَبَ، وَقَالَ أَبُو الْمُهَزِّمِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: كَوْكَبٍ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: كَانَتِ الْعَرَبُ تَقُولُ: الْغَاسِقُ سُقُوطُ الثُّرَيَّا، وَكَانَ الْأَسْقَامُ وَالطَّوَاعِينُ تَكْثُرُ عِنْدَ وُقُوعِهَا، وَتَرْتَفِعُ عِنْدَ طُلُوعِهَا[١].

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ الْقَمَرُ[٢].

وَعُمْدَةُ أَصْحَابِ هَذَا الْقَوْلِ حديث عَائِشَةَ ﵂: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي، فَأَرَانِي الْقَمَرَ حِينَ طلع، وَقَالَ: «تَعوَّذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الْغَاسِقِ إِذَا وَقَبَ»»[٣].

قَالَ أَصْحَابُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ أَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا وَلَجَ: هَذَا لَا يُنَافِي قَوْلَنَا؛ لِأَنَّ الْقَمَرَ آيَةُ اللَّيْلِ، وَلَا يُوجَدُ لَهُ سُلْطَانٌ إِلَّا فِيهِ، وَكَذَلِكَ النُّجُومُ لَا تُضِيءُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ، فَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ[٤].

٤- وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحُسْنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ: يَعْنِي: السَّوَاحِرَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا رَقَيْنَ وَنَفَثْنَ فِي الْعُقَدِ.

وَعَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا مِنْ شَيْءٍ أَقْرَبُ مِنَ الشِّرْكِ مِنْ رُقْيَةِ الْحَيَّةِ وَالْمَجَانِينِ[٥].

وَثبت أَنَّ جِبْرِيلَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اشْتَكَيْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيك، مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ وعين، الله يشفيك»[٦].

وَلَعَلَّ هَذَا كَانَ مِنْ شَكْوَاهُ ﷺ، حِينَ سُحِرَ، ثُمَّ عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَفَاهُ، وَرَدَّ كَيْدَ السحرَة الحسَّاد مِنَ الْيَهُودِ فِي رُؤُوسِهِمْ، وَجَعَلَ تَدْمِيرَهُمْ فِي تَدْبِيرِهِمْ، وَفَضَحَهُمْ، وَلَكِنْ مَعَ هَذَا لَمْ يُعَاتِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، بَلْ كَفَى اللَّهُ وَشَفَى وَعَافَى.

---

(١) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٥٢٣.

(٢) تفسير الطبري، ٢٤/ ٧٠٣.

(٣) مسند أحمد، ٤٠/ ٣٧٨، برقم ٢٤٣٢٣، وحسنه محققو المسند.

(٤) تفسير ابن كثير، ١٤/ ٥٢٤.

(٥) تفسير الطبري، ٢٤/ ٧٠٥، وليس في التفسير المطبوع لفظ: (والحية).

(٦) المعجم الأوسط للطبراني، ٨/ ٢٥٧، برقم ٨٥٦٥، وبنحوه مسلم في صحيحه، برقم ٢١٨٦.

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُحر، حَتَّى كَانَ يُرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيهِنَّ، قَالَ سُفْيَانُ: وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ، إِذَا كَانَ كَذَا، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا استفتيته فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ**[1]**، قَالَ: وَمَنْ طَبَّه؟ قَالَ: لَبيد بْنُ أَعْصَمَ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيق حَليف ليهُود، كَانَ مُنَافِقًا، وَقَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشط ومُشاطة**[2]**، قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُف طَلْعَة ذكَرٍ**[3] **تَحت رَعُوفَةٍ**[4] **فِي بِئْرِ ذَرْوَان**»، قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْبِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ، فَقَالَ: «**هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعة الحنَّاء، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوس الشَّيَاطِينِ**»، قَالَ: فَاسْتخْرِجَ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلَا؟ أَيْ: تَنَشَّرْتَ؟[5]، فَقَالَ: «**أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا**»[6].

وَفِي رواية للبخاري «**قَالَتْ: حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَمْ يَفْعَلْهُ**»، وَعِنْدَهُ: «**فَأَمَرَ بِالْبِئْرِ فَدُفِنَتْ**»[7].

وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، يُرى أَنَّهُ يَأْتِي وَلَا يَأْتِي، فَأَتَاهُ مَلَكَانِ، فَجَلَسَ أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: مَا بَالُهُ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ...»[8].

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «﴿قل﴾ متعوذًا ﴿أَعُوذُ﴾ أي: ألجأ وألوذ، وأعتصم ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي: فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، وهذا يشمل جميع ما خلق اللَّه، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخالقها، من الشر

---

(١) مَطْبُوب: أَيْ مَسْحُور. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١١٠.

(٢) مشط ومشاطة: الشَّعَر الَّذِي يَسْقُط مِن الرَّأْسِ وَاللِّحْيَةِ، عِنْدَ التَّسْرِيح بالمُشْط. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٣٤.

(٣) الجُفُّ: وِعاء الطَّلْع، وَهُوَ الغِشاء الَّذِي يَكُونُ فَوْقَه: ذكراً أو أنثى، وخصّصه هنا بطلعة الذكر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٧٨.

(٤) الراعوفة: صخرةٌ تُترك فِي أَسْفَلِ الْبِئْرِ إِذَا حُفِرت تكُونُ نَاتِئَةً هُنَاكَ، فَإِذَا أرادُوا تَنْقِية الْبِئْرِ جَلَسَ المُنَقِّي عَلَيْهَا، وَقِيلَ هِيَ حَجَرٌ يكونُ عَلَى رَأْس البئر يَقُومُ المُسْتَقي عَلَيْهِ. النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٣٥.

(٥) تنشرت: النشرة: ضَرْبٌ مِنَ الرُّقْية والعِلاج، يُعالَج بِهِ مَن كَانَ يُظَنُّ أَنَّ بِهِ مَسّاً مِنَ الجِنّ، سُمِّيَتْ نُشْرةً لِأَنَّهُ يُنْشَر بِهَا عَنْهُ مَا خامَره مِنَ الدَّاءِ: أَيْ يُكْشَف ويُزال، وَقَالَ الْحَسَنُ: النُّشْرة مِنَ السِحر. النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٥٤)

(٦) صحيح البخاري، برقم ٥٧٦٥.

(٧) صحيح البخاري، الأرقام، ٥٧٦٦، ٥٨٦٣، ٦٣٩١.

(٨) صحيح مسلم، برقم ٢١٨٩، ومسند أحمد، ٤١/ ١٩٤، برقم ٢٤٦٥٠، وصححه محققو المسند، و٤٠/ ٤٠٥، برقم ٢٤٣٤٧، وصححه محققو المسند.

الذي فيها، ثم خص بعد ما عم، فقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود، فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين؛ لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عمومًا وخصوصًا، ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه، ومن أهله»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ رب الفلق هو الله، والفلق: الإصباح، ويجوز أن يكون أعم من ذلك أن الفلق كل ما يفلقه الله تعالى من الإصباح، والنوى، والحب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي: من شر جميع المخلوقات، ومنه النفس؛ لأن النفس أمارة بالسوء، فإذا قلت: من شر ما خلق، فأول ما يدخل فيه نفسك، كما جاء في خطبة الحاجة «**نعوذ بالله من شرور أنفسنا**»[2]، وقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، يشمل شياطين الإنس والجن والهوام، وغير ذلك، ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق قيل: إنه الليل، وقيل: إنه القمر، والصحيح إنه عام لهذا وهذا، أما كونه الليل، فلأن الله تعالى قال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، والليل تكثر فيه الهوام، والوحوش، فلذلك استعاذ من شر الغاسق أي: الليل، وأما القمر، فقد جاء في الحديث عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن النبي ﷺ أرى عائشة القمر، وقال: «**هذا هو الغاسق**»[3]، وإنما كان غاسقاً؛ لأن سلطانه

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٧.

(٢) مسند أحمد، ٤/ ٤٧٧، برقم ٢٧٤٩، وصححه محقق المسند، وسنن أبي داود، برقم ٢١٢٠، والترمذي، برقم ١١٠٥، وصححه الألباني في في صحيح أبي داود،٦/ ٣٤٥، برقم ١٨٤٤.

(٣) مسند أحمد، ٤٣/ ١٣٨، برقم ٢٦٠٠٠، وحسنه محقق المسند، وسنن الترمذي، برقم ٣٣٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، الصغير، ٢/ ١٣١١، برقم ١٣٨٧٦.

يكون في الليل، وقوله: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ هو معطوف على ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الغاسق من مخلوقات الله ﷻ، وقوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ أي: إذا دخل، فالليل إذا دخل بظلامه غاسق، وكذلك القمر إذا أضاء بنوره فإنه غاسق، ولا يكون ذلك إلا بالليل، ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ هن الساحرات، يعقدن الحبال وغيرها، وتنفث بقراءة مطلسمة، فيها أسماء الشياطين على كل عقدة تعقد، ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، تعقد ثم تنفث، وهي بنفسها الخبيثة تريد شخصاً معيناً، فيؤثر هذا السحر بالنسبة للمسحور، وذكر الله النفاثات دون النفاثين؛ لأن الغالب أن الذي يستعمل هذا النوع من السحر هن النساء؛ فلهذا قال: ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، ويحتمل أن يقال: إن النفاثات يعني: الأنفس النفاثات، فيشمل الرجال والنسا، ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحاسد هو الذي يكره نعمة الله على غيره، فتجده يضيق ذرعاً إذا أنعم الله على هذا الإنسان بمال، أو جاه، أو علم أو غير ذلك، فيحسده، ولكن الحسّاد نوعان: نوع يحسد، ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، لكنه لا يعتدي على صاحبه، والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد؛ ولهذا قال: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾، ومن حسد الحاسد: العين التي تصيب المُعان يكون هذا الرجل عنده كراهة لنعم الله على الغير، فإذا أحس بنفسه أن الله أنعم على فلان بنعمة خرج من نفسه الخبيثة (معنى) لا نستطيع أن نصفه؛ لأنه مجهول، فيصيب بالعين، ومن تسلّط عليه أحياناً يموت، وأحياناً يمرض، وأحياناً يُجن، حتى الحاسد يتسلط على الحديد فيوقف اشتغاله، وربما يصيب السيارة بالعين، وتنكسر، أو تتعطل، وربما يصيب رفَّاعة الماء، أو حراثة الأرض، فالعين حق تصيب بإذن الله ﷻ، وذكر الله ﷻ الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفيًا، الليل ستر وغشاء، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]، يكمن به الشر، ولا يعلم به، ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أيضاً السحر خفي لا يعلم، «الحاسد إذا حسد» العائن أيضاً خفي، تأتي العين من شخص تظن أنه من أحب الناس إليك، وأنت من أحب الناس إليه، ومع ذلك يصيبك بالعين؛ لهذا السبب خصّ الله هذه الأمور الثلاثة،

الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد، وإلا فهي داخلة في قوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، فإذا قال قائل: ما هو الطريق للتخلص من هذه الشرور الثلاثة؟

قلنا: الطريق للتخلص أن يعلق الإنسان قلبه بربه، ويفوّض أمره إليه، ويحقق التوكل على اللَّه، ويستعمل الأوراد الشرعية التي بها يُحصّن نفسه، ويحفظها من شر هؤلاء، وما كثر الأمر في الناس في الآونة الأخيرة من السحرة، والحساد، وما أشبه ذلك إلا من أجل غفلتهم عن اللَّه، وضعف توكلهم على اللَّه ﷻ، وقلة استعمالهم للأوراد الشرعية التي بها يتحصنون، وإلا فنحن نعلم أن الأوراد الشرعية حصن منيع، أشد من سد يأجوج ومأجوج، لكن مع الأسف أن كثيًرا من الناس لا يعرف عن هذه الأوراد شيئاً، ومن عرف فقد يغفل كثيراً، ومن قرأها فقلبه غير حاضر، وكل هذا نقص، ولو أن الناس استعملوا الأوراد على ما جاءت به الشريعة لسلموا من شرور كثيرة، نسأل اللَّه العافية والسلامة» [١].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٥٦- ٣٥٧.

١١٤- تَفْسِيرُ سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)﴾

١-٣- هَذِهِ الصِفَات مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ ﷻ: الرُّبُوبِيَّةُ، وَالْمُلْكُ، وَالْإِلَهِيَّةُ: فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَلِيكُهُ، وَإِلَهُهُ، فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مَخْلُوقَةٌ لَهُ، مَمْلُوكَةٌ، عَبِيدٌ لَهُ، فَأَمَرَ الْمُسْتَعِيذَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِالْمُتَّصِفِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ الْمُوَكَّلُ بِالْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلَّا وَلَهُ قَرِينٌ يُزَين لَهُ الْفَوَاحِشَ، وَلَا يَأْلُوهُ جُهْدًا فِي الْخَبَالِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ ﷺ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ وُكِلَ بِهِ قَرِينَةٌ**»، قَالُوا: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ فِي قِصَّةِ زِيَارَةِ صَفِيَّةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، وَخُرُوجِهِ مَعَهَا لَيْلًا لِيَرُدَّهَا إِلَى مَنْزِلِهَا، فَلَقِيَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيي**»، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ! يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا**»، أَوْ قَالَ: «**شَرًّا**»(٢).

وَعن عَاصِمٍ، سَمِعْتُ أَبَا تَمِيمَةَ يُحدث عَنْ رَدِيفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: عَثَر بِالنَّبِيِّ ﷺ حِمارُهُ، فَقُلْتُ: تَعِس الشَّيْطَانُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، تعاظَم، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَصَاغَرَ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ**»(٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، برقم ٢٨١٤.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٢٠٣٥، ٦٢١٩، ٧١٧١، وصحيح مسلم برقم، ٢١٧٤.

(٣) مسند أحمد، ٣٤/ ١٩٨، برقم ٢٠٥٩١، وصحح إسناده محققو المسند، وقال الإمام ابن كثير في تفسيره، ١٤/ ٥٣٠: «إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ قَوِيٌّ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقَلْبَ مَتَى ذَكَرَ اللَّهَ تَصَاغَرَ الشَّيْطَانُ وغُلِب، وَإِنْ لَمْ يُذْكَرِ اللَّهَ تَعَاظَمَ وَغَلَبَ».

٤- وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾، قَالَ: الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَس، وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ الْمُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ: ذُكِرَ لِي أَنَّ الشَّيْطَانَ، أَوِ: الْوَسْوَاسَ يَنْفُثُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ الْحُزْنِ، وَعِنْدَ الْفَرَحِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ.

وَقَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ قَالَ: هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْمُرُ، فَإِذَا أُطِيعَ خَنَسَ.

٥- وَقَوْلُهُ: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، هَلْ يَخْتَصُّ هَذَا بِبَنِي آدَمَ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ، أَوْ يَعُمُّ بَنِي آدَمَ وَالْجِنَّ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، وَيَكُونُونَ قَدْ دَخَلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيبًا.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَقَدِ اسْتَعْمَلَ فِيهِمْ ﴿رِجَالٌ مِنَ الْجِنِّ﴾، فَلَا بِدَعَ فِي إِطْلَاقِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ.

٦- وَقَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، هَلْ هُوَ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، ثُمَّ بَيَّنَهُمْ فَقَالَ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، وَهَذَا يُقَوِّي الْقَوْلَ الثَّانِيَ، وَقِيلَ قَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، تَفْسِيرٌ لِلَّذِي يُوسوس فِي صُدُورِ النَّاسِ، مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بِالشَّيْءِ لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ»[1].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس، ومالكهم، وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها، ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم

(١) مسند أحمد، ٤/ ١٠، برقم ٢٠٩٧، وصحح إسناده محققو المسند، وأبو داود، برقم ٥١١٢، وسنن النسائي الكبرى، ٦/ ١٧١، برقم ١٠٥٠٣، وصححه الألباني في تحقيق الإيمان لابن تيمية، ص ١٠٢.

الشر، ويريهم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريهم إياه في صورة غير صورته، وهو دائمًا بهذه الحال يوسوس، ويخنس، أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه، واستعان على دفعه، فينبغي له أن يستعين، ويستعيذ، ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم، وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها، وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها، ويحول بينهم وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه؛ ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس؛ ولهذا قال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، ونسأله تعالى أن يتم نعمته، وأن يعفو عنا ذنوبًا لنا حالت بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر آياته، ونرجوه، ونأمل منه أن لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا القوم الضالون»[1].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وهو الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو رب الناس وغيرهم، رب الناس، ورب الملائكة، ورب الجن، ورب السموات، ورب الأرض، ورب الشمس، ورب القمر، ورب كل شيء، لكن للمناسبة خص الناس. ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي: الملك الذي له السلطة العليا في الناس، والتصرف الكامل هو الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ أي مألوههم، ومعبودهم، فالمعبود حقًّا الذي تألهه القلوب، وتحبه، وتعظمه، هو الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾، «الوسواس» قال العلماء: إنها مصدر يراد به اسم الفاعل، أي: الموسوس، والوسوسة هي: ما يلقى في القلب من الأفكار، والأوهام، والتخيلات التي لا حقيقة لها، «الخناس» الذي يخنس، وينهزم، ويولي، ويدبر عند ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو الشيطان؛ ولهذا «**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان له ضراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٠٨.

قضي النداء، أقبل حتى إذا ثوّب للصلاة أدبر، حتى إذا قضي التثويب أقبل، حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى»(١)؛ ولهذا جاء في الأثر: «**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**»(٢)، والغيلان هي الشياطين التي تتخيل للمسافر في سفره، وكأنها أشياء مهولة، أو عدو، أو ما أشبه ذلك، فإذا كبر الإنسان انصرفت، وقوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ أي: أن الوساوس تكون من الجن، وتكون من بني آدم، أما وسوسة الجن، فظاهر لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأما وسوسة بني آدم، فما أكثر الذين يأتون إلى الإنسان يوحون إليه بالشر، ويزينونه في قلبه حتى يأخذ هذا الكلام بلبه وينصرف إليه.

هذه السور الثلاث: الإخلاص، والفلق، والناس، كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفه ومسح بذلك وجهه، وما استطاع من بدنه(٣)، وربما قرأها خلف الصلوات الخمس(٤)، فينبغي للإنسان أن يتحرّى السنة في تلاوتها في مواضعها»(٥).

وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين.



---

(١) البخاري، برقم ٦٠٨، ومسلم، برقم ٣٨٩.

(٢) مسند أحمد، ٢٢/ ١٧٨، برقم ١٤٢٧٧، وصححه محققو المسند، ومصنف عبد الرزاق، ٥/ ١٦٠، برقم ٩٢٤٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٢٩٥.

(٣) صحيح البخاري، ٦/ ١٩٠، برقم ٥٠١٦، ومسلم، برقم ٣٩٠٢.

(٤) مسند أحمد، ٢٨/ ٦٣٣، برقم ١٧٤١٧، وصححه محققو المسند، وأبو داود، برقم ١٥٢٣، والترمذي، برقم ٢٩٠٣، والنسائي، برقم ١٣٣٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥/ ٢٥٤، برقم ١٣٦٣.

(٥) تفسير القرآن الكريم جزء عم لابن عثيمين، ص ٣٥٩- ٣٦٠.

فهرس الموضوعات

كتب المؤلف

كتب (مترجمة) للمؤلف

* أولاً: حصن المسلم باللغات الآتية:

١- حصن المسلم باللغة الانجليزية
٢- حصن المسلم باللغة الفرنسية
٣- حصن المسلم باللغة الأوردية
٤- حصن المسلم باللغة الاندونيسية
٥- حصن المسلم باللغة البنغالية
٦- حصن المسلم باللغة الأمهرية
٧- حصن المسلم باللغة السواحلية
٨- حصن المسلم باللغة التركية
٩- حصن المسلم باللغة الهوساوية
١٠- حصن المسلم باللغة الفارسية
١١- حصن المسلم باللغة المالبيارية
١٢- حصن المسلم باللغة التاميلية
١٣- حصن المسلم باللغة اليوربا
١٤- حصن المسلم باللغة البشتو
١٥- حصن المسلم باللغة اللوغندية
١٦- حصن المسلم باللغة الهندية
١٧- حصن المسلم باللغة الصينية
١٨- حصن المسلم باللغة الشيشانية
١٩- حصن المسلم باللغة الروسية
٢٠- حصن المسلم باللغة الألبانية
٢١- حصن المسلم باللغة البوسنية
٢٢- حصن المسلم باللغة الألمانية
٢٣- حصن المسلم باللغة الإسبانية
٢٤- حصن المسلم باللغة الفلبينية (مرناو)
٢٥- حصن المسلم باللغة الفلبينية (تجالوج)
٢٦- حصن المسلم باللغة الصومالية
٢٧- حصن المسلم باللغة الطاجكية
٢٨- حصن المسلم باللغة الأذرية
٢٩- حصن المسلم باللغة اليابانية
٣٠- حصن المسلم باللغة النيبالية
٣١- حصن المسلم باللغة الأنكو
٣٢- حصن المسلم باللغة التلغو (جاليات الجهراء بالكويت)
٣٣- حصن المسلم باللغة الهولندية (تحت الطبع)
٣٤- حصن المسلم باللغة الشركسية (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٣٥- حصن المسلم. قرغيزي (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٣٦- حصن المسلم باللغة الرومانية (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٣٧- حصن المسلم باللغة الفيتنامية (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٣٨- حصن المسلم باللغة السنهالية (مكتب الجاليات بالربوة)
٣٩- حصن المسلم، ملايو (موقع دار الإسلام)
٤٠- حصن المسلم، سندي (موقع دار الاسلام)
٤١- شرح حصن المسلم، اوزبكي (موقع دار الإسلام)
٤٢- حصن المسلم باللغة (ايغوري) (موقع دار الإسلام)
٤٣- حصن المسلم باللغة (خميري) (موقع دار الاسلام)
٤٤- حصن المسلم باللغة الأورومو الأثيوبية (مكتب الدعوة بام الحمام)

* ثانياً: كتب مترجمة باللغة الأوردية:

٤٥- العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٤٦- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة
٤٧- شروط الدعاء وموانع الاجابة
٤٨- الدعاء من الكتاب والسنة
٤٩- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة
٥٠- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها
٥١- نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة
٥٢- الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة
٥٣- نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة
٥٤- طهور المسلم (مكتب الجاليات بالسليل (وادي الدواسر)
٥٥- منزلة الصلاة في الإسلام (الجاليات بحي السلام الرياض)
٥٦- صلاة التطوع في ضوء الكتاب والسنة
٥٧- نور التقوى وظلمات المعاصي (دار السلام)
٥٨- نور الإسلام وظلمات الكفر (دار السلام)
٥٩- الفوز العظيم والخسران المبين (دار السلام)
٦٠- النور والظلمات في الكتاب والسنة (دار السلام)
٦١- قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال (دار السلام)
٦٢- نور الهدى وظلمات الضلال (دار السلام)
٦٣- نور الشيب وحكم تغييره (دار السلام)
٦٤- رحمة للعالمين (دار السلام)
٦٥- شرح العقيدة الواسطية (موقع دار الإسلام)
٦٦- وداع الرسول صلى الله عليه وسلم (موقع دار الإسلام)
٦٧- العمرة والحج والزيارة (موقع دار الإسلام)

* ثالثاً: كتب مترجمة للغات الأخرى:

٦٨- مرشد الحاج والمعتمر والزائر (باللغة المالبيارية)
٦٩- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة الفارسية)
٧٠- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (باللغة الاندونيسية)
٧١- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة باللغة المالبيارية
٧٢- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة اللوغندية)
٧٣- صلاة المريض (باللغة التاميلية دار السلام)
٧٤- رحمة للعالمين (باللغة الانجليزية دار السلام)
٧٥- الدعاء من الكتاب والسنة (باللغة الإنجليزية دار السلام)
٧٦- صلاة الجماعة (باللغة البنغالية مكتب الجاليات بالروضة)
٧٧- رحمة للعالمين باللغة البنغالية (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٧٨- نور السنة وظلمات البدعة. بنغالي (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٧٩- نور الإيمان وظلمات النفاق. بوسني (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٨٠- الدعاء من الكتاب والسنة. شيشاني (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٨١- الاعتصام بالكتاب والسنة. إسباني (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٨٢- منزلة الصلاة في الاسلام. فارسي (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٨٣- شرح أسماء الله الحسنى. فارسي (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٨٤- صلاة المسافر. فارسي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٥- العلاج بالرقى. فارسي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٨٦- نور التوحيد وظلمات الشرك. كردي (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٨٧- نور السنة وظلمات البدعة. كردي (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٨٨- نور الاخلاص. كردي (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٨٩- العلاج بالرقى. كردي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٩٠- مرشد الحاج والمعتمر. روماني (موقع دار الاسلام بجاليات الربوة)
٩١- الحج والعمرة. تركي (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٩٢- فضائل الصيام وقيام رمضان. فيتنامي (موقع دار الإسلام)
٩٣- الذكر والدعاء والعلاج بالرقى. يوربا (موقع دار الإسلام)
٩٤- صلاة التطوع. صيني (موقع دار الإسلام بجاليات الربوة)
٩٥- منزلة الصلاة في الإسلام. صيني (موقع دار الإسلام)
٩٦- ورد الصباح والمساء باللغة الإنجليزية (دار السلام)
٩٧- الربا أضراره وآثاره باللغة البنغالية (موقع دار الإسلام)
٩٨- صلاة المؤمن باللغة الإندونيسية (مكتب الجاليات بالسلي)
٩٩- الفوز العظيم باللغة الروسية (موقع دار الإسلام)
١٠٠- الدعاء ويليه العلاج بالرقى باللغة الأذرية (موقع دار الإسلام)
١٠١- آفات اللسان باللغة الأذرية (موقع دار الإسلام)
١٠٢- نور السنة وظلمات البدعة باللغة البوسنية (موقع دار الإسلام)
١٠٣- الدعاء من الكتاب والسنة باللغة التركية
١٠٤- الأذان والإقامة باللغة البنغالية (موقع دار الإسلام)
١٠٥- المساجد في ضوء الكتاب والسنة بنغالي (موقع دار الإسلام)
١٠٦- شروط الدعاء وموانع الإجابة كردي (موقع دار الإسلام)
١٠٧- قرة عيون المصلين بنغالي (موقع دار الإسلام)
١٠٨- قيام الليل بنغالي (موقع دار الإسلام)
١٠٩- مواقف النبي ﷺ في الدعوة بنغالي (موقع دار الإسلام)


٣٢
ر.س
توزيع
مؤسسة الجريسي للتوزيع و الإعلان
ص.ب ١٤٠٥ - الرياض ١١٤٣١
هاتف: ٤٠٢٢٥٦٤
فاكس: ٤٠٢٣٠٧٦